بين الإسلام والمسيحية

كتاب أبي عبيدة الخزرجي

المتوفى سنة ٥٨٢ هجرية

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور محمد شامة

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠

فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

الطبعة الرابعة

مزيدة ومنقحة

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



" قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "







مقدمة الطبعة الرابعة

أرسى الإسلام قواعد التعامل مع معتنقى الأديان الأخرى على نحو لم تصل إليه الحضارة الحديثة ، إذ كانت العلاقات بين أتباع الأديان المختلفة منذ الأزل متوترة ، وصلت فى كثير من الأحيان إلى إراقة الدماء أنهاراً ، فإن سكنت قرقعة السلاح بين الحين والآخر ، فإن التراشق بالكلمات ظل متواصلاً ، لا يعرف الهدوء ، ولا يقر التوقف لسماع الآخر ، فالجدل الدينى ظل سيد الموقف بين المتدينين ، ورمى كلٌ الآخر بالهرطقة والكفر أصبح أسلوباً من أساليب التدين ، ومظهراً من مظاهر التقوى والصلاح ، وتفنيد ضلال الآخر وانحرافه نغمة محببة عند دعاة كل دين ، والدعاء على الآخر بالهلاك والدمار وتيتيم الأطفال ، وترميل النساء ... و ... و .... ألخ سنة — إن لم تكن واجباً — من سنن التقرب إلى المعبود ، وإجبار كلٌ الآخر على اعتناق عقيدته التى ارتضاها ديناً من أكبر الواجبات الدينية ، إن لم يكن أكبرها ، يضحى فى سبيلها المتدين بكل ما يملك .. حتى نفسه ، يقدمها قرباناً لمعبوده ، حتى ينال رضاه ، ويحصل على ثوابه .

احتلت قضية الصراع الدينى مكان الصدارة فى تاريخ صراع الجنس البشرى ، إذ لم يخل عصر من العصور من وجود خصومة بين الشعوب على أساس دينى ، تصل فى كثير من الأحيان إلى حد الصراع المسلح بينها ، كذلك لا يلتقى اثنان من أتباع دينين مختلفين إلا وتقوم بينهما مناقشات ومحاورات حول مبادئ وتعاليم عقيدة كل منهما ، تارة تكون بألفاظ مهذبة ، وأخرى تصل إلى حد التراشق بالألفاظ الخارجة عن موضوع البحث ، أو بأسلوب يتسم بالعنف والبعد عن الطريق الموصلة إلى الحقيقة.

كان هذا طابع الصراع الدينى والخصومة المذهبية منذ القدم ، شب عليها الجنس البشرى ، جيلاً بعد آخر ، فأورثه ذلك أحقاداً وخصوماً بين الشعوب ، كما أنه خلف من الضحايا والمآسى ما تقشعر منه الأبدان ، إذ لم تروع البشرية على امتداد التاريخ الإنسانى بمثل ما روعت

به مما حل بها من آثار التعصب الديني الذى مزق الجنس البشرى إلى معسكرات متحاربة ، يقتل بعضها بعضاً باسم الدين ، ويستحل بعضها دماء آخرين فى سبيل الدعوة إلى العقيدة ، بـل إن أبناء الدين الواحد تفرقوا شيعاً وأحزاباً يقتل بعضهم بعضاً فى سبيل فرض رأى على آخر .

حتى جاء الإسلام ، فنهى عن سباب أتباع الأديان الأخرى ، مهما كان وضع عقيـدتهم — سماوية أم بشرية — وعلى أى مستوى كانت درجات القيم والمبادئ التى يعتنقونها ويـدعون إليها ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْـرِ عِلْمٍ ﴾ [١] ، أى ولا تسبوا الذين يتخذون لأنفسهم معبوداً آخر غير الله إلها لهم ، سواء كان هذا المعبود بشراً ، أو حجراً ، أو أى صورة من الصور المادية فى هذا الكون.

كما رسم الإسلام منهج الدعوة إلى الإسلام ، بعيداً عن العنف والاستهزاء بالآخر ، أو التعـالى عليه ، فقال :

﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٢]،

بل إنه مدح الصالحين من أتباع الأديان الأخرى ، فقال : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْـهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [٣]، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالـصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٤] ،

وأثنى على من يخشع لله ويطلب المغفرة منه ، فقال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَـا

---

[1] الأنعام : ١٠٨ .

[2] النحل : ١٢٥ .

[3] آل عمران : ٧٥ .

[4] البقرة : ٦٢ .

جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ﴾ [1] ،

و لم يجبر من رفض الإسلام على الدخول فيه ، فقال تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [2] ،

بل إنه إستنكر حرص الرسول ﷺ على هدايه قومه ، حينما اقترب هذا الحرص من رغبته على إكراههم وحملهم بالقوة على اعتناق الإسلام ، فقال له : ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [3] ، وهذه من أهم المبادئ — إن لم يكن أهمها — فى مجال حرية الرأى والتعبير ، التى تحتل قائمة حقوق الإنسان فى العصر الحديث .

علّم الإسلام المسلمين أدب الحوار فى مجال تصحيح ما لدى الآخرين من أخطاء فى العقيدة، إذ ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة ، ترشد المخطئين إلى الصواب بأسلوب لين، وتعبيرات مهذبة ، وإشارات رقيقة ، منها قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [4]، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [5].

وكان دقيقاً فى الحديث عمن أخطئوا فى حق الله تعالى ، فقال : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ

---

(1) المائدة : ٨٢-٨٥ .

(2) البقرة : ٢٥٦ .

(3) يونس : ٩٩ .

(4) الفرقان : ٣ .

(5) الحج : ٧٣ — ٧٤.

﴿ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1] ، فلم يقل : لقد كفر المسيحيون الذين قالوا ... لأن منهم من لم يقل ذلك ، وكان في جداله معهم مهذباً ، حتى مع الذين تمادوا في تأليه عيسى عليه السلام ، إذ لم يستعمل في خطابهم أسلوباً جارحاً ، أو استهزاء منكراً ، فقال : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [2] .

غير أن الفكر الديني لم يلتزم بالتعاليم التي جاءت بها الأديان في هذا الصدد ، فتبارى علماء الدين والمفكرون المهتمون بالقضايا الدينية في الهجوم على أديان الآخرين سبًّا وقذفاً وافتئاتاً عليه ، ظناً منهم أنهم بذلك يؤدون خدمة لدينهم ، ويدافعون عن عقيدتهم ، ويحمون أتباعهم من تأثير الأديان الأخرى عليهم ، ومن يقرأ الكتب والمصنفات التي كُتبت حول هذا الموضوع ، لا يجد إلا تراشقاً ، وليًّا للنصوص ، وتأويلاً لها تأويلاً يبعدها عن روح الدين وقيمه ، بل وصل الأمر بالنصوص المقدسة – التي سبقت الإسلام – إلى تحريفها وضياع الكثير من أصولها ، ولهذا اهتم كثير من علماء الأديان ، والباحثين في علوم اللاهوت ، بدراسة الكتب المقدسة السابقة على القرآن الكريم ، من الناحية التاريخية ، والمنهجية ، فتوصلوا في أبحاثهم إلى أن هذه الكتب ليس وحياً كلها ، لأنها تضمنت معلومات تاريخية غير صحيحة ، واشتملت على أخلاقيات تتنافى مع روح الوحي الصحيح . ومن المستبعد أن يخبر النبي بشئ مخالف للواقع ، لأنه يتلقى الوحي من الله ، وهو بكل شئ عليم ،كما أنه من المرفوض عقلاً ، أن يبلغ الناس أحكاماً لا تتفق مع روح الدين ، أو يرتكب أعمالاً تتعارض مع المبادئ الدينية. ولهذا أخبر القرآن الكريم بأن هذه الكتب قد فقدت حجيتها ، لأنه اختلط فيها الحق بالباطل ، فيقول الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] ، ويقول : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ

---

[1] المائدة : ٧٣ .

[2] المائدة : ١٧ .

[3] آل عمران : ٧١ .

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] ، ويقول : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾[2] .

ويُعَدّ كتاب " بين الإسلام والمسيحية "من أهم كتب علم الأديان ، من حيث طرح قضايا المقارنة بين الإسلام والمسيحية كـ : تعدد الزوجات ، ونعيم الجنة ، وقضية الصلب .. وغيرها ، ومن حيث بيان تحريف الكتاب المقدس الذى بين يدى اليهود والنصارى من خلال ما كتبه أهل الملة أنفسهم ، أضف إلى ذلك ما طرحه من قضايا اختلفت فيها الرؤى بين علماء الدين .

وإذ أقدم الكتاب — فى طبعته الجديدة — للقارئ ، أرجو من الله أن يجعله لبنة صالحة فى بناء الفكر الدينى ، إنه سميع مجيب .

محمد عبد الغنى شامة

القاهرة فى ١٥ يونيو ٢٠٠٦م

***

---

(1) آل عمران : ٧٨ .

(2) المائدة : ١٣ .





مقدمة الطبعة الأولى

تتخذ مظاهر الصراع البشرى منذ بدء الخليقة أسلوبين :

- صراع فكرى ،
- وآخر يغلب عليه الطباع العضلى .

وما يعرف الآن فى ميدان القتال بحرب التكنولوجيا ، فلا زالت العضلات تلعب فيه دوراً رئيسيًّا .

ولا يخلو عصر من الصراع الفكرى ، فاختلاف الآراء — وهو نوع منه — علامة على حيوية المجتمع ، ومقدمة حتمية لتطوره ، إذا أراد كل طرف الوصول إلى الحق حيثما كان.

أما التقليد — وكذلك حمل الناس على أن يعتقدوا بقدسية رأى بشرى ، عن طريق كبت المعارضة بقوة الحديد والنار — فهو نذير بانهيار المجتمع ، لأنه يقضى على البراعم الفكرية فيه ، ويوقف قلبه النابض بالحياة .

وغالباً ما ينحو الصراع الأيديولوجى بين الطوائف — وبين الشعوب — المختلفة فى عقائدها ، ومذاهبها الدينية والسياسية ، منحى التعصب للمبدأ ، فيلجأ المفكرون إلى ما يدعم رأيهم ، وإن كان منافياً للمسلمات الأولية ، وحينئذ يشتد الجدل ، وتكثر المحاورات التى قد تؤدى إلى صدام مسلح .

وعندما تضع الحرب أوزارها ، يتجه الحوار وجهة أخرى ، إذ يتساءل المهزوم عن أسباب هزيمته :

هل يرجع ذلك إلى ضعف أيديولوجيته عن الصمود أمام العدو ؟

بل قد يتسرب الشك فى صحة العقيدة إلى ضعاف النفوس ، والمترددين فى قبولها.

بينما ينشط المنتصر — فى ظل صدى الانتصار — ليكسب أتباعاً عن طريق إلقاء الشبه أمام العامة ، الذين لا يدركون أن أسباب النصر — أو الهزيمة — لا ترجع كلها إلى طبيعة الأيديولوجية من حيث هى ، بل تدخل فيها عوامل أخرى ، لا يستطيع رؤيتها إلا الخاصة.

وللتدليل على هذا يكفى المرء أن يتصفح تاريخ البشرية ، فسيجد أمثلة لا حصر لها ، من بينها ما وقع فى " طليطلة " ، فقد احتفظت تلك المدينة القوطية القديمة بين أسوارها بالجم الغفير من أبنائها المسيحيين ، الذين لم يقبلوا الإذعان ، والخضوع للحكم الأموى ، إلا بعد وقت طويل. و لم يكن هذا الإذعان إلا ظاهريًا فقط ، إذ عندما سقطت فى أيدى " ألفونس " السادس ، ملك " قشتالة " ، ارتدت إلى النصرانية . حظيرتها القديمة . وأعقب ذلك صراع فكرى ، بين المسيحيين ، ومن بقى فيها من المسلمين ، واتخذ ذلك صورة حوار حول المقارنة بين مبادئ العقيدتين : المسيحية والإسلام .

والكتاب الذى نقدم له ، هو إحدى مظاهر هذا الصراع ، وقع اختيارنا عليه لأنه يتناول مسائل ذات أهمية كبرى لمن يهتمون بدراسة علم مقارنة الأديان . وليس أمامنا الآن سوى مخطوطة واحدة ، عثرنا عليها مصورة فى مكتبة الجامعة العربية وهى تحت رقم ٢٢٥ توحيد ، والنسخة الأصلية فى مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ١٨٦٣.

ونظراً لضيق الوقت ، رأينا أن نخرج الكتاب ، معتمدين على هذه النسخة فقط ، آملين أن يهدينا البحث — بتوفيق الله — إلى العثور على نسخ أخرى ، نرجع إليها — إن شاء الله — فى الطبعة الثانية ، التى سنضمنها أيضاً نبذة عن الإسلام فى الأندلس ، ودراسة لحياة مؤلف الكتاب.

وقد آثرنا فى تخريج فقرات الكتاب المقدس ، أن نثبتها كاملة ، حتى لا يضطر القارئ إلى الكشف عليها ، لأن فى ذلك مشقة عليه . وكذلك الأمر فى الآيات القرآنية ، التى أشار إليها النص ، أما التى ذكرت كاملة فيه ، فقد اكتفينا بتخريجها فقط .

ونحن إذ نقدم الكتاب ، فى صورته الراهنة ، لطلبة جامعة الأزهر ، ندعو الله أن يوفقنا إلى المزيد من دراسة المواضيع ، التى اشتمل عليها فى الطبعة الثانية .

إنه سميع مجيب

محمد عبد الغنى شامة

القاهرة فى ٤ أكتوبر ١٩٧٢



مقدمة الطبعة الثانية

(١)

اشتبك المسلمون مع المسيحيين فى معارك كثيرة ، ومن أهم المناطق التى التحم فيها الصراع عسكريًّا ، وفكريًّا [١] أسبانيا التى أطلق عليها المسلمون " الأندلس" [٢].

---

[1] والكتاب الذى نقدم له يبين لنا إحدى ظواهر الصراع الفكرى ، ولكى نلقى ضوءاً على الظروف والملابسات التى أحاطت — وسبقت فى الزمن — المؤلف ، رأينا أن نعرض هنا موجزاً لتاريخ الدولة الإسلامية فى أسبانيا ، ليستحضر القارئ فى ذهنه — أثناء قراءة هذا الكتاب — صورة الصراع السياسى الذى ابتلى به المسلمون منذ الفتح فى عام ٩٢هـ " ٧١١م" حتى طردوا من أسبانيا نهائيًّا فى عام ٨٩٧هـ " ١٤٩٢م " ، وليس الغرض تقديم صورة كاملة للأحداث ، لأن هذا مفصل فى كتب التاريخ ، بل عرض الخطوط العريضة لها ، مع بيان أهم الأسباب التى أدت إلى انهيار الدولة الإسلامية فى تلك البقاع ، ومن أراد تفصيلاً فليرجع إلى المراجع التاريخية .

[2] يطلق المؤرخون والجغرافيون العرب كلمة " الأندلس " على شبه جزيرة " إيبيريا " المكونة من أسبانيا والبرتغال (ياقوت : معجم البلدان تحت كلمة الأندلس ، والروض المعطار ص ١) . وتطلق فى الرواية العربية أيضاً على أسبانيا المسلمة ، التى كانت عقب الفتح تشمل كل أسبانيا ما عدا " جليقة " وولايات جبال " البرنية ". ولكن " الأندلس " تطلق فى العصور المتأخرة ، وفى الجغرافيا الحديثة على ولايات الأندلس الواقعة فى جنوب أسبانيا ، بين نهر الوادى الكبير والبحر ، بين ولاية " مرسية " و"إشبيلية" ، وما زالت " الأندلس " " Andalucia " تحتل فى تقسيم أسبانيا الإدارى الحاضر نفس هذه المنطقة ، والرواية العربية تعلل هذه التسمية بصور مختلفة ، فتقول مثلاً : إنها سميت أندلس باسم أول من سكنها من قديم الزمان ، وهم قوم من الأعاجم يقال لهم أندلوس (نفح الطيب جـ١ ص ٦٧). ويقول ابن الأثير : إن النصارى يسمون الأندلس " أشبانة " باسم " أشبانس " أحد ملوكهم ، وهذا هو اسمها عند " بطليموس " (جـ٤ ص ١٢١). ولكن ابن خلدون يقدم لنا تعليقاً أدق فيقول : سميت " الأندلس " باسم " قندلس " ولعلها " فندلس " ومن

عبرت الجيوش الإسلامية المضيق الغربي للبحر الأبيض المتوسط – المعروف اليوم بمضيق جبل طارق –[١] ولم يكن الدافع الأول للمسلمين الرغبة فى التوسع الاستعمارى ، بل كان ذلك تلبية لنداء وجهه سكان البلاد الأصليين إلى المسلمين ليخلصوهم من نير القوط[٢] ، فقد كان

الواضح أنه يقصد " الفندال " أى " الوندال " (جـ٢ ص ٢٣٥ فى تاريخ القوط) ، ويقدم لنا البكرى خلاصة دقيقة لهذه المسميات الجغرافية التاريخية ، فيقول فى وصفه لجزيرة الأندلس : إن اسمها القديم " إباريه " (Iberia) من وادى " إبرة " ، ثم سميت بعد ذلك " باطقة " (Baetica) من وادى بيطسى وهو نهر قرطبة ، ثم سميت " إشبانية " من اسم رجل ملكها فى القديم كان اسمه " إشبان " . وقيل سميت باسم " الأشبان " الذين سكنوها فى أول الزمان على جرية النهر وما والاه . وقال قوم : إن اسمها فى الحقيقة " إشبارية " (Hisperia) من " أشبرس " وهو الكوكب المعروف بالأحمر، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء " الأندليس " من الذين سكنوها " والأندليس " هم " الواندال " (Vandals) وهذا هو التعليل الذى يأخذ به " دانفيل " (Danville) ، إذ يقول : إن الاشتقاق مأخوذ من كلمة " فاندالوسيا " (Vandalusia) أو بلد " الوندال " ، (نقله " جيبون " عن كتاب ممالك أوربا فى هامش الفصل الحادى والخمسين) . وهذا ما يقرره " الفريزى " أيضا فى معجم مخطوطات الإسكوريال (Biblu. Arabico-Hispana Esen-rialensis II p. 237 Casiri) من عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، هامش ص ٥٠ .

(1) نسبة إلى طارق بن زياد الليثى الذى اختاره موسى بن نصير – وهو والى أفريقيا يومئذ – لقيادة جيش الفتح ، ذلك الجندى العظيم الذى ضرب المثل فى الشجاعة ، والإقدام . أجمع المؤرخون على وصفه بـ"فاتح الأندلس " ، غير أنهم اختلفوا فى أصله ونسبه ، فقيل هو فارسى من همدان ، كان مولى لموسى بن نصير ، وقيل إنه من سبى البربر ، وقيل أخيراً إنه بربرى من بطن من بطون نفزة ، وهذه فيما يظن أرجح رواية ، ويبدو منها أن طارقاً تلقى الإسلام من أبيه زياد عن جده عبد الله ، وهو أول اسم عربى إسلامى فى نسبه ، ثم ينحدر مساق النسب بعد ذلك خلال أسماء بربرية محضة حتى ينتهى إلى نفزة ، وهى القبيلة التى ينتمى إليها .

(2) هم إحدى القبائل أو الشعوب البربرية التى هبطت من شمال أوربا ، وقوضت صروح الأمبراطورية الرومانية ، وتقول الأساطير القديمة : إنهم نزحوا من " إسكندناوة " بعد أن تحرروا من الجوتارة فى جنوب السويد ، ويذكر المؤرخ " تاسيتوس " أنهم كانوا منذ ظهور النصرانية إلى أواخر القرن الثانى يسكنون شواطئ البلطيق الجنوبية . وفى عهد الإمبراطور " إسكندر سيفوروس " (٢٢٢ – ٢٣٥م) ظهرت طلائع " القوط " فى ولاية " داسيا " (وتشغل مكانها الآن رومانيا والمجر) الرومانية وأغارت على بعض مدنها ، وكان هذا نزوحهم الثانى حيث استقروا عندئذ فى إقليم " اليوكرين"

وفى عهد الأمبراطور " ديسيوس " عبروا نهر الدانواب ، وخربوا ولاية " ميزيا " الرومانية (وتشغل مكان بلغاريا الحديثة) تم تقدموا إلى قلب البلقان ، فسار " ديسيوس " لقتالهم ، ولكنه هزم ومزق جيشه (٢٥٠م) ، وسار " القوط " إلى اليونان فعاثوا فيها وخربوها ، ولم ينقطع عبثهم حتى نشط الأمبراطور " قسطنطين " الكبير لقتالهم ورد عدوانهم ، فحاربهم فى عدة مواقع وهزمهم هزيمة شديدة ، وردهم إلى أقاصى " داسيا " (سنة ٣٢٢) وفرض عليهم شروطاً فادحة ، ثم حاربهم الإمبراطور " فالنس " قيصر قسطنطينية وهزمهم فى سنة ٣٦٩م ، وفى سنة ٣٧٥م زحف " الهون " من المشرق على " القوط " ومزقوهم ، فانقسموا إلى قسمين ، قوط شرقيون أذعنوا للهون وانخرطوا فى جيشهم ، وقوط غربيون فروا تحت ضغط " الهون " إلى ضفاف الدانوب . واستغاثوا بالإمبراطور ، وطلبوا الدخول فى طاعته فأجابهم إلى ذلك ، واستقروا حيناً فى ولاية " تراقية " ، ولكنهم ثاروا مراراً من جراء قسوة الحكام الروومانيين وعسفهم ، وفى عهد الأمبراطور " هونوريوس " قام " القوط " بثورة أعظم وأبعد أثراً بقيادة زعيمهم " ألاريك " وخربوا " تراقية " واليونان ، ثم عبروا إلى إيطاليا وافتتحوا روما ونهبوها (٤١٠م) . ولكن زعيمهم " ألاريك " توفى فى نفس هذا العام فارتدوا إلى الشمال . ثم عقدوا الصلح مع الأمبراطور واندمجوا فى الجيش الإمبراطورى ، وقاموا بقمع الثورات فى " غاليا " أو " غاليس " (جنوب فرنسا) وشمالى أسبانيا ، ثم استقروا فى أواسط فرنسا وجنوبها ، فيما بين نهرى اللوار والجارون ، واتخذوا " تولوز " (تولوشة) عاصمة لهم ، وأقطع الأمبراطور ملكهم " فاليا " حكم هذا القطر ، وقامت بذلك مملكة قوطية تابعة للدولة الرومانية .

وعاون " القوط " الدولة على محاربة " الوندال " و " الآلان " و " السوابيين " ، وعاونها بالأخص ملكهم " تيودريك " الأول — ولد " آلاربك " — على هزيمة " آتيلا " التترى وبرابرته " الهون " فى موقعة " شالون " (٤٥١) . ثم عبر خلفه وأخوه " تيوديريك " الثانى إلى أسبانيا ، لانتزاعها من " الواندال " و " السوابيين " المتغلبين عليها مشترطاً على الدولة أن يحتفظ بما يفتتحه من أسبانيا لنفسه ولعقبه ، وحارب " الوندال " و " السوابيين " وهزمهم (سنة ٤٥٦م) وافتتح أسبانيا ما عدا ركنها الشمالى الغربى " جليقة " ، الذى استعصم به " الوندال " حيناً . ولم تأت نهاية القرن الخامس حتى ملك " القوط " شبه الجزيرة كلها ، وامتد ملكهم من " اللوار " إلى شاطئ أسبانيا الجنوبى. ولكن الفرنج غزوهم من الشمال وأجلوهم عن فرنسا فى أعوام قلائل ، فاستقروا فى أسبانيا ، واتخذوا مدينة " طليطلة " دار ملكهم ، ووضعوا لمملكتهم الجديدة نظماً وقوانين خاصة تتأثر بروح الحضارة والأنظمة الرومانية ، وكانوا أيضاً قد اعتنقوا النصرانية منذ أواخر القرن الرابع ، كما اعتنقها " الواندال " وغيرهم من الشعوب البربرية ، التى تقاسمت تراث رومة

المجتمع الأسباني يعاني صنوف الشقاء والبؤس ، مزقته عصور طويلة من الظلم والإرهاق ، ولم يكن " القوط " في الحقيقة أمة بمعنى الكلمة ، فإنهم لم يمتزجوا بسكان الجزيرة ، ذلك الامتزاج الذي يجعل الغالب والمغلوب والحاكم والمحكوم أمة واحدة ، بل كان القوط يستأثرون بمزايا الغلبة ، والسيادة ، وينعمون بإحراز الإقطاعات والضياع الواسعة ، ومنهم وحدهم الحكام والسادة والأشراف ، يليهم طبقة رجال الدين ، حيث كانوا يتمتعون بأعظم قسط من السلطان والنفوذ ، وساعدهم على بلوغ هذه الدرجة أن القوط كانوا أتقياء متدينين ، يغلب عليهم الميل إلى إرضاء رجال الدين ، وقد تمتع الأحبار والرهبان بمركز مرموق لدى الحكام ، مما جعل لهم تأثيراً مكنهم من توجيه القوانين والنظم ، وصياغة الحياة العقلية والاجتماعية وفقاً لاتجاه الكنيسة وغاياتها . وقد استغل رجال الدين هذا النفوذ في إحراز الضياع وتكديس الثروات ، واقتناء الزراع والأرقاء . وهكذا كانت ثروات البلاد كلها تجتمع في ايدي فئة قليلة ممتازة من الأشراف ورجال الدين ، اختصت بترف العيش ومتاع الحياة ، وكل نعم الحرية والكرامة والاعتبار .

أما سواد الشعب فكان يرزح تحت شقاء الحياة وبؤسها وهو يتكون من طبقة متوسطة ، رقيقة الحال ، وزراع شبه أرقاء يلحقون بالضياع ، وأرقاء للسيد عليهم حق الحياة والموت . كان الشعب بطبقاته الثلاث — الطبقة المتوسطة ، والزراع والأرقاء — في حالة يرثى لها من الحرمان والبؤس ، يقاسي أشنع أنواع الظلم والإرهاق ، ويفرض عليه وحده — دون الطبقات الممتازة — دفع الضرائب الفادحة ، ويُلْزَم بتأدية المغارم المرهقة ، ويقوم بالأعمال الشاقة — يساق إليها سوق العجماوات — في ضياع الأشراف والأحبار ، مفروضاً عليه العبودية والرق ، مسلوباً عنه كل شعور بالعزة والكرامة .

وكانت هناك جالية يهودية كبيرة ، لم تكن تنعم بالحياة الهادئة ، إذ كانت موضع البغض والكراهية والتحامل ، فقد كان يهود الجزيرة يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد ، وكانت

وأملاكها . ولبث " القوط " زهاء قرنين سادة لأسبانيا حتى الفتح الإسلامي ، وكان آخر ملوكهم " رودريك " أو " رذريق " كما يسميه العرب الذي هزمه القائد المسلم طارق بن زياد عام ٧١١م .

الكنيسة منذ قوى نفوذها تحاول تنصيرهم ، وتمارس فى سبيل تحقيق ذلك أشد أنواع العنــف ، وأقسى طرق المطاردة .

هكذا كان الوضع فى أسبانيا ، عندما افتتح المسلمون إفريقيا ، واقتربــوا مــن شــواطئ الأندلس ، وكان على عرش أسبانيا يومئذ الملك " وتيزا " ، كان يحكم مملكة مزقها الخــلاف ، وشعباً أضناه العسف والظلم والإرهاق ، ويقال : إنه حاول أن يقف فى وجه طغيان الأشــراف بالحد من سلطاتهم ، كما حاول كبح جماح رجال الدين فلم يستطع ، واتفق رجال الدين علــى بغضه ومحاولة التخلص منه ، كما كانت بقية الشعب غير راضية لما يقع عليها من جور وظلــم. فدبرت ضده المؤامرات ، واستغل الموقف زعيم جرئ هو " ردريك " ، فقام بالثورة ضده ونادى بنفسه ملكاً ، واستطاع أن يخمد منافسيه ، غير أن العرش بقى مضطرباً يهتز فى يد القدر ، ذلك أن أعداء " ردريك " حاولوا الإطاحة به ، ولما لم ينجحوا فى ذلك رأوا الاستعانة ، بقــوة مــن خارج الجزيرة ، وكان " الكونت يوليان " حاكم " سبتة " محط أنظارهم ومساعيهم .

وفى الوقت الذى كانت فيه شبه الجزيرة الأسبانية تضطرم فيها هذه الحوادث ، فتغرقها فى أزمات خطيرة ، ومضايق خانقة ، كان المسلمون قد أتموا فتح المغرب الأقصى باستيلائهم علــى ثغر " طنجة " ، وأشرفوا بذلك على شواطئ الأندلس من الضفة الأخرى من البحر ، ولم يبــق لإتمام فتح إفريقية سوى ثغر " سبتة " الذى يقع فى مقابل طنجة فى الطرف الآخر مــن اللــسان المغربى. حاول المسلمون الاستيلاء عليه ، لكنهم لم ينجحــوا ، لأن حــاكم " ســبتة " وهــو " الكونت يوليان " كان متيقظاً ، فأحبط كل محاولة لأخذه ، ويساعده على ذلك مناعة موقعه . ولكن موسى بن نصير لم ينفك لحظة عن التفكير فى افتتاح هذا الثغر المنيع ، وتطهير إفريقيا مــن البقية الباقية من العدو. وبينما هو يرقب الفرص لتحقيق هذه الأمنية ، إذ وصلته رسالة " الكونت يوليان " نفسه ، يعرض عليه معقله ، ويدعوه إلى فتح أسبانيا ، وجرت بينهما مفاوضة فى هــذا المشروع الخطير .

وفى شهر رجب سنة ٩٢هـ " إبريل ٧١١م " جهز موسى جيشاً من العرب والبربــر ، بلغ سبعة آلاف مقاتل ، وأسند قيادته إلى طارق بن زياد الليثى ، فعبر البحر من " سبتة " بجيشه

تباعاً من سفن قليلة ، قدمها له " يوليان " وعسكر بالبقعة الصخرية المقابلة التي ما زالت تحمـــل اسمه إلى اليوم ، أعني جبل طارق .

ولما أتم استعداداته ، توغل في الجزيرة ، وحين أحس " ردريك " بالخطر — وكان أمـــيراً شجاعاً — استطاع أن يجمع حوله معظم الأمراء والأشراف ، والأســـاقفة ، وحـــشد رجـــالهم وأتباعهم ، فاجتمع " للقوط " يومئذ جيش ضخم ، تقدره بعض الروايات بمائة ألف ، غير أنه لم يكن ملتحماً ، إذ كان كثير من قواده ورؤسائه خصما لـــ" ردريك " ، اضطروا إلى الإلتفـــاف حوله لرد الخطر الخارجي ، وهم يتحينون الفرصة للفتك به .

لم تكن الظروف سهلة أمام المسلمين ، فـــ" القوط " أضعاف المسلمين ، والقتال في أرض العدو في هضاب ومفاوز شاقة ، ولكن قائدهم الجرئ — طارق بن زياد - تقـــدم إلى الموقعـــة الحاسمة بعزم ، دفعه إلى ذلك إيمانه وشجاعته ، وثقته بقدرته على اجتياز الحواجز والعقبـــات ، وكان لقاء الجيشين في سهل "الفرنتيرة " " Frahtera " على ضفاف نهر وادى " لكه " أو وادى " بكه ".

تلاقى العرب و " القوط " ، والإسلام والنصرانية في الثامن والعشرين من شهر رمـــضان سنة ٩٢هـــ " ١٧ يوليه ٧١١م " في معركة من أهم معارك التاريخ بين الإسلام والنـــصرانية ، واستمرت هذا المعركة الهائلة مضطرمة بين القوى النصرانية الضخمة وبين القوة المسلمة المتواضعة نحو أربعة أيام ، كان الجيش الإسلامي يحارب فيها ، وهو قوة واحدة متماســـكة ، كالـــصخرة الصلبة ، أما الجيش القوطي فقد كان — على الرغم من كثرته — مختل النظام منحل القوى ، لأن الرباط بين جناحيه وبين قلبه كان واهياً ، إذ كان يقود جناحيه " إيفا " و " سيزون " خـــصما "ردريك" ، وتتكون صفوفهما من أتباعهما ، وأتباع حلفائهما من الأمراء ، والزعماء النـــافرين الذين تظاهروا بالإخلاص وقت الخطر وكلهم يتحين الفرصة للإيقاع بالملك المغتصب ، فكانت الخيانة تمزق جيش القوط شر ممزق .

وهناك عامل آخر ساعد المسلمين على الفتك بالعدو ، ذلك أن " يوليـــان" والأســـقف " أوباس " — وكان في صف المسلمين — استطاعا أن يستميلا كثيراً من جند " القـــوط " ، وأن يبثا بدعايتهما في الصفوف الموالية لـــ " ردريك " كثيراً من عوامل الشقاق والتفرق ، فأخذ كل

أمير يسعى لوقاية نفسه هو ، فتمكن الجيش الإسلامى — وهو قليل العدد — بشجاعة أفراده وثباقم ، واتحاد كلمتهم من جيش " القوط " ، و لم يأت اليوم السابع من اللقاء ، حتى تم النصر لطارق وجنده ، ومزق جيش " القوط " شر ممزق ولحقت بهم الهزيمة الساحقة ، وشتتوا فى كل صوب ، وفروا فى كل اتجاه ، أما " ردريك " آخر ملوك " القوط " فقد اختفى بعد المعركة ، و لم يعثر له على أثر .

تعقب طارق بن زياد فلول المنهزمين ، فواصل زحفه متوغلاً فى أرض الأندلس يفتح الثغور ، ويستولى على المواقع والحصون ، وتابع زحفه شمالاً ، فعبر جبال " أشتوريش " (أستورياش) ، واستمر فى سيره حتى أشرف على ثغر " خيخون " الواقع على خليج "بسكونية" (غسقونى) فكان خاتمه زحفه، ونهاية فتوحاته ، ورده عباب المحيط عن التقدم ، فعاد إلى "طليطلة " ، حيث تلقى أوامر موسى بن نصير بوقف الفتح، وكان ذلك لعام فقط من عبوره إلى أسبانيا ، وكان لأوامر موسى بن نصير خطرها . وسنعرض لذلك بعد عرض آراء العلماء فى الفتح الإسلامى .

انهار سلطان الطبقات الممتازة بعد الفتح ، فتنفس الشعب الصعداء ، وخف عن كاهله ما كان ينوء به من الأعباء والمغارم ، ذلك أن المسلمين تحروا فى فرض الضرائب المساواة التامة بين الطبقات والتزام العدل والاعتدال فى تحصيلها ، وقد كانت من قبل تفرض حسب الهوى ، وبدافع الجشع والاستغلال، كذلك أمن الناس على حياقم وحرياقم وأموالهم ، إذ ترك الفاتحون لهم حق تطبيق قوانينهم ، واتباع تقاليدهم ، والخضوع لقضائهم وقضاقم ، بل عينوا أيضاً عليهم — فى معظم الأحوال — حكاماً من أبناء جنسهم ، وعهد إلى هؤلاء الحكام سن الضرائب المطلوبة ، والإشراف على النظام والأمن ، أما مسألة الدين والعقيدة ، فقد ترك الناس فيها أحراراً يعتقدون ما شاءوا ويؤمنون بعقيدقم — من غير إكراه ولا اضطهاد — التى يختاروها ، وقد ضربت السياسة الإسلامية بهذا مثلاً أعلى للتسامح الدينى ، فلم يظلم أحد أو يرهق أو يضطهد بسبب الدين أو الأعتقاد .

أشاد العلماء بالفتح الإسلامى لأسبانيا ، وإليك طائفة من أقوالهم . يقول العلامة المستشرق "دوزى " : " لم يكن حال النصارى فى ظل الحكم الإسلامى مما يدعو إلى كثير من

الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل . أضف إلى ذلك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح . فلم يرهقوا أحداً فى شئون الدين " .

ويقول " دوزى " عن آثار الفتح الاجتماعية :

" كان الفتح العربى من بعض الوجوه نعمة لأسبانيا ، فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة ، وقضى على كثير من الأدواء التى كانت تعانيها البلاد منذ قرون ..... وحطمت سلطة الأشراف والطبقات الممتازة أو كادت تمحى ، ووزعت الأراضى توزيعاً كبيراً ، فكان ذلك حسنة سابغة ، وعاملاً فى ازدهار الزراعة إبَّان الحكم العربى ، ثم كان الفتح عاملاً فى تحسين أحوال الطبقات المستعبدة ، إذا كان الإسلام أكثر تعضيداً لتحرير الرقيق من النصرانية ، كما فهمها أحبار المملكة القوطية ، وكذلك حسنت أحوال أرقاء الضياع ، إذ غدوا من الزراع تقريباً ، وتمتعوا بشئ من الاستقلال والحرية .

ويقول الأستاذ " لابن بول " :

" أنشأ العرب حكومة قرطبة التى كانت أعجوبة القرون الوسطى ، بينما كانت أوروبا تتخبط فى ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية " .

ويقول المستشرق الأسبانى " جاينجوس " :

" لقد سطعت فى أسبانيا (الأندلس) أول أشعة لهذه المدنية التى نثرت ضوءها فيما بعد على جيمع الأمم النصرانية ، وفى مدارس قرطبة وطليطلة العربية ، جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء ، وحفظت بعناية . وإلى حكمة العرب وذكائهم ، ونشاطهم ، يرجع الفضل فى كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها ".

***

أمر موسى بن نصير ، طارق بين زياد بوقف الفتح ، ويختلف المؤرخون فى تعليل البواعث على إصدار هذا الأمر ، فقيل : إن موسى لم يكن يتوقع هذا الفوز لقائده ومبعوثه ، فلما وقف على مبلغ فوزه وتقدمه ، تحول إعجابه إلى حسد وغيرة ، وخشى أن ينسب ذلك الفتح العظيم إليه دونه ، وقيل : إن موسى غضب على طارق عندما خالف الأوامر الصادرة إليه ، بألا يجاوز

" قرطبة " ، خوفاً من أن يصاب الجيش الإسلامى بنكبة ، قد تفقده روحه المعنوية ، إذا توغل فى أراض ، ومسالك مجهولة ، لا يحسن فيها القتال . وعلى أية حال ، فقد لحق موسى بطارق بعد أن استولى على بعض المدن فى طريقه ، ووصل إلى أقصى شمال أسبانيا ، وهناك فكر فى أن يخترق بجيشه جميع أوربا غازياً فاتحاً ، وأن يصل إلى الشام من طريق قسطنطينية ، وكان يمكنه ذلك ، لأن الإسلام يومئذ كان فى ذروة الفتوة ، والقوة ، والبأس ، وكانت أمم الغرب من جهة أخرى يسودها الضعف والانحلال ، ولكن تطور الأحداث حال دون تحقيق هذا المشروع ، ذلك أنه عندما التقى بطارق عنَّفه على مخالفة الأوامر ، وزج به فى السجن ، ويقال : إنه أراد قتله ، لكنه أطلقه بعد ذلك ، واشترك معه فى تدبير خطط الفتح ، إلا أن الخليفة فى دمشق عندما علم بالخلاف استدعاهما إلى دمشق ، وكان ذلك خسارة كبيرة للإسلام ودولته ، إذ توقف الفتح — تقريباً — عند هذا الحد ، وانشغل المسلمون بخلافاتهم التى نشأت فى الأندلس بعد الفتح ، ولكى نلقى ضوءاً على هذه الخلافات التى كانت مرضاً أصيبت به الدولة الإسلامية الجديدة يوم مولدها ، وعاقها عن الإنطلاق المنشود ، ينبغى أن نبين عناصر المجتمع الإسلامى فى الأندلس بعد الفتح .

لقد ولدت الدولة الجديدة التى أنشأها الإسلام فى أسبانيا حاملة معها منذ البداية جرثومة الخلاف الخطر ، وكان هذا المجتمع الذى جمع الإسلام شمله ، ومزج عناصره ، يجيش بمختلف الأهواء والنزعات ، وتمزقه العصبيات القبلية ، إذ ظهر التنافس القديم بين القبائل العربية من جانب ، وبين العرب والبربر من جانب آخر ، ذلك أن البربر — وكان معظم الجيش منهم — كانوا يبغضون قادتهم ، ورؤساءهم العرب ، ويحقدون عليهم لاستئثارهم بالسلطة ، واستيلائهم على أكبر نصيب من الغنائم ، واحتلالهم لمعظم القواعد والوديان الخصبة . وكثيراً ما رفع هؤلاء البربر لواء العصيان والثورة ، أو أيدوا فريقاً من العرب ضد آخر فى الصراع على السلطة . أما المسلمون الأسبان — وهم العنصر الثالث فى تكوين المجتمع الإسلامى فى أسبانيا — فكانوا محدثين فى الإسلام ، يعتريهم الشعور بأنهم — رغم إسلامهم — أحط من الوجهة الاجتماعية من سادتهم العرب ، وذلك أن العرب ، رغم ما تعلموه من أن الإسلام يسوى بين المسلمين جميعاً فى الحقوق والواجبات ، ويقضى على كل فوارق الجنس والطبقات ، كانوا يشكون فى ولاء المسلمين

الجدد ، فضنوا عليهم بمناصب الثقة والنفوذ ، أضف إلى ذلك أن العربي فى الأقطار النائية التى فتحها بسيفه ، كان يشعر بالغرور ، وتعاوده النعرة القديمة ، فكان يظن أنه أشرف الخليقة .

لو اقتصر الأمر على الخلاف بين العرب والبربر ، وبينهم وبين المسلمين الجدد لهان الخطب ، ولكن الخلاف بين القبائل العربية ، كان أخطر ما فى هذا المجتمع من عوامل التفكك والانحلال ، فقد ظهرت عصبية القبائل والبطون من جديد ، فتنافس الزعماء والقادة على السلطان والرياسة ، فمزقت صفوفهم ، ووهنت وحدة الدولة الإسلامية فى الأندلس ، وظل هذا هو المرض العضال الذى أعاق الدولة فى كثير من الأحيان عن تأمين حدودها الشمالية ، حيث تكونت الممالك النصرانية التى قادت عملية طرد المسلمين من الأندلس .

لعبت هذه الخلافات دوراً رئيسيًّا فى تولية الولاة ، وقيام دولة بنى أمية وسقوطها ، وقيام دول الطوائف ، وأخيراً اشتدت وطأتها ، فتهاوت الدولة أمام هجمات النصرانية فى عام٨٩٧هـ = ١٤٩٢م[1] .

---

[1] اعتبرت الأندلس فى مبدأ أمرها ولاية تابعة لإفريقيا ، فكان واليها يعين من قبل والى إفريقيا ، ثم يصدق الخليفة على ذلك ، ثم استقلت بعد ذلك عن إفريقيا ، فأصبح واليها يعين رأساً من الخليفة فى دمشق . وأول وال للأندلس ، هو عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وآخرهم يوسف بن عبد العزيز الفهرى ، الذى هزمه عبد الرحمن الداخل فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٨هـ " ١٣ مايو سنة ٧٥٦م " ، وبذلك انتهى عصر الولاة ، وبدأ عصر إمارة بنى أمية .

قامت دولة بنى أمية فى الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الذى نجا من مذبحة أهله فى مجلس السفاح سنة ١٣٢هـ ، فهرب من العراق يطلب بلاد المغرب ، بمساعدة مولى له اسمه بدر ، و لم يدخر وسعاً فى إنقاذه وحمايته فى أثناء ذلك الفرار ، فلما وصل به إلى المغرب ، سعى له فى جمع الأحزاب ، فقطع مضيق جبل طارق إلى الأندلس ، وفيها من موالى بنى أمية خمسمائة رجل ، فأخبرهم بقدوم مولاه ، وحرضهم على نصرته لاستبقاء هذه الدولة هناك ، فنصروه وجمعوا كلمة المضرية واليمنية ، وبعد حروب كثيرة ، مهدوا له الطريق إلى الحكم ، واستقدموه إليهم فدخل الأندلس ، وتولى أمورها سنة ١٣٨ هـ " ٧٥٦ م " ، ولذلك سموه الداخل .

لم يجسر عبد الرحمن فى بادئ الأمر على إنشاء خلافة أخرى ، مع وجود الخلافة العباسية ، لأن النبى ﷺ واحد وخليفته واحد . استمر الأمويون يحكمون تحت اسم " الإمارة " زهاء قرن ونصف حتى تولى عبد الرحمن الناصر ، فرأى

-

أن يتسم بسمة الخلافة وكان فى مستهل ذى الحجة سنة ٣١٦هـ ، وشجعه على ذلك قيام الدولة الفاطمية فى الضفة الأخرى من البحر وانسياب دعوتما إلى المغرب الأقصى ، على مقربة من شواطئ الأندلس .

بلغت الأندلس إبان مجدها فى عهد عبد الرحمن الناصر ، وفى عهد ابنه الحكم المستنصر ، ثم أخذت الأمور بعدهما فى الاضمحلال ، فضعفت شوكة الخلفاء ، واستبد الوزراء والجنود – وهم من موالى الأمويين من البربر والصقالبة والبربر– بالمناصب . أخذت شوكة العرب فى الضعف تدريجيًا ، حتى غلب ابن أبى عامر على أمر الدولة فى أيام هشام بن الحكم ، ومكر بأهل الدولة ، وضرب بين رجالها ، وقتل بعضهم ببعض ، فانكسرت شوكة العرب من ذلك الحين .

وما زالت الدولة آنذاك آخذة فى الانحلال ، اقتسمها الولاة البربر وغيرهم ، فانقسمت مملكة الأندلس فى أوائل القرن الخامس الهجرى إلى إمارات تولاها أصحاب الأطراف والرؤساء ، وفيهم العرب والبربر والموالى ، فتغلب كل إنسان على ما فى يده ، فصاروا دولاً صغيرة متفرقة ، ولذلك سموا ملوك الطوائف ، وهاك أشهرهم مع أسماء إماراتهم :

أسم الدولة	أسم المملكة	مدة الحكم
بنو حمود	مالقة والجزيرة	٤٠٧ – ٤٤٩ هـ
بنو عباد	أشبيلية	٤١٤ – ٤٨٤ هـ
بنو زيرى	غرناطة	٤٠٣ – ٤٨٣ هـ
بنو جهور	قرطبة	٤٢٢ – ٤٦١ هـ
بنو ذى النون	طليطلة	٤٢٧ – ٤٧٨ هـ
العامريون	بلنسية	٤١٢ – ٤٧٨ هـ
بنو هود التجيبيون	سرقسطة	٤١٠ – ٥٣٦ هـ

ولم تطل سيادة هذه الدولة ، إذ غلبت عليهم دولة المرابطين ، ثم الموحدين ، وظل الانقسام متتابعاً بين تلك الممالك ، والخصام متوالياً ، والإفرنج يغتنمون ضعفهم وانقسامهم ، ويسترجعون إماراتهم واحدة بعد الأخرى ، وبلداً بعد بلد. حتى تغلبوا على المسلمين ، وأخرجوهم من الأندلس ، وآخر مدينة افتتحها الإفرنج من تلك المملكة غرناطة ، وكانت فى حوزة بنى نصر – نسبة إلى يوسف بن نصر – من سنة ٦٢٩هـ ، توالى عليها منهم بضعة وعشرون ملكاً ، آخرهم أبو عبد الله محمد بن على ، فاستخرجها الإفرنج من يده سنة ٨٩٧هـ " ١٤٩٢م " وفر أبو عبد الله ، وكان ذلك آخر عهد المسلمين بالأندلس .

اشتغلت الدولة الإسلامية بخلافاتها ، التي استنفدت معظم طاقاتها ، وصرفتها عن توجيه همتها لاتقاء خطر آخر ، ذلك أن شراذم قليلة من " القوط " لجأت عقب الفتح إلى الجبال الشمالية ، وامتنعت في مفاوز جبال " أشتوريش " فقامت إمارتان نصرانيتان صغيرتان في " كانتابريا " ، " وجليقة " ، غير أن الأولى كانت عرضة لاقتحام الجيش الإسلامي حين سار إلى فرنسا ، ولكن إمارة " جليقة " كانت واقعة في أعماق جبال " أشتوريش " الوعرة ، بعيداً عن غزوات الفاتحين ، ولم يعن المسلمون لأول عهد الفتح بأمر هذا الشراذم الممزقة عناية كافية ، وكان فاتحا الأندلس موسى وطارق قد قاد كل منهما حملة إلى " جليقة " لسحق البقية الباقية من " القوط " ولكنهما لم يتمكنا من تحقيق غايتهما لاستدعائهما إلى دمشق . وكان إغفال هذه الفلول الباقية بعد ذلك من أعظم أخطاء الفاتحين .

ومن أهم العوامل التي أعاقت تقدم الفتح الإسلامي في أوربا — وبالتالي ساعدت الإمارات المسيحية في شمال أسبانيا على التمركز ، وبناء قوة أخرجت المسلمين من الأندلس — النتيجة التي انتهت إليها معركة " بواتيه " في سهول فرنسا ، أجل ! كان اللقاء حاسماً بين الإسلام والنصرانية في تلك المعركة ، وكانت له آثار بعيدة المدى على تاريخ العالم كله ، وتتلخص وقائع المعركة في أن الجيش الإسلامي اجتاح جنوب فرنسا ، بقيادة عبد الرحمن الغافقي ، مستولياً على ما وقع في يديه من مغانم ، وكانت كثيرة جداً ، ولما وصل إلى السهل الممتد بين مدينة " بواتيه " و " تور " ، استولى المسلمون على " بواتيه " ونهبوها وأحرقوا كنيستها[1] الشهيرة ، ثم هجموا على مدينة " تور " الواقعة على ضفة " اللوار " اليسرى ، واستولوا عليها ، وخربوا كنيستها أيضاً ، وفي ذلك الحين كان الجيش قد انتهى إلى اللوار بقيادة " كارل مارتن " ، دون أن يشعر المسلمون بقدمه بادئ ذي بدء ، وأخطأت الطلائع الإسلامية تقدير عدده وعدته . فلما أراد عبد الرحمن أن يقتحم " اللوار " ، لملاقاة العدو على ضفته اليمنى ، فاجأه كارل مارتن بجموعه الجرارة ،

[1] مخالفين بذلك روح الإسلام و تعاليمه ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصى المقاتلين دائماً بألا يهدموا الكنائس ولا المعابد .

وألفى عبد الرحمن جيش الفرنجة يفوقه فى الكثرة ، فارتد من ضفاف النهر ثانية إلى السهل الواقع بين " تور " و " بواتيه " ، وعبر " كارل " اللوار غربى " تور " ، وعسكر بجيشه إلى يسار الجيش الإسلامى ، بأميال قليلة بين نهر "كلين " ، و " فيين " فرعى " اللوار " .

ثم بدأ القتال فى اليوم الثانى عشر من أكتوبر ٧٣٢م (أواخر شعبان ١١٤هـ) فنشبت بين الجيشين معارك محلية مدى سبعة أيام أو ثمانية . احتفظ فيها كل بمركزه ، وفى اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عارمة ، فاقتتلا بشدة وتعادلا حتى دخول الليل ، واستأنفا القتال فى اليوم التالى ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد ، حتى بدأ الإعياء على الفرنج ، ولاح النصر فى جانب المسلمين ، ولكن حدث حينئذ أن افتتح الفرنج ثغرة إلى معسكرالغنائم الإسلامى فارتفعت صيحة مجهول فى المراكز الإسلامية بأن معسكر الغنائم سوف يقع فى أيدى العدو ، فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم ، وتواثب كثير من الجند للدفاع عن غنائمهم ، فدب الخلل فى صفوف المسلمين ، وعبثاً حاول عبد الرحمن أن يعيد النظام ، وأن يهدئ روع الجند ، وبينما هو ينتقل أمام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها ، إذ أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته فسقط قتيلاً من فوق جواده ، وعم الذعر والاضطراب فى الجيش الإسلامى ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل فى صفوفهم . ولكنهم صمدوا حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل .

وكان ذلك فى اليوم الحادى والعشرين من أكتوبر ٧٣٢م (أوائل رمضان ١١٤ هـ).

وهنا اضطرم الجدل والنزاع بين قادة الجيش الإسلامى ، واختلف الرأى وهاجت الخواطر ، وسرى التوجس والفزع ، ورأى الزعماء أن كل أمل فى النصر قد غاض ، فقرروا الانسحاب ، وفى الحال غادر المسلمون مراكزهم ، وارتدوا فى جوف الليل ، وتحت جنح الظلام ، تاركين أثقالهم ، ومعظم أسلابهم غنماً للعدو .

ومن الأسباب التى عاقت الجيش الإسلامى عن إحراز نصر حاسم فى تلك الموقعة ، حالة القلق التى أصابته ، بسبب الشقاق الذى كان يضطرم بين قبائل البربر التى يتألف منها معظم الجيش ، وكان الكثير منهم يتوق إلى الانسحاب مؤثراً النجاة بغنائمه الكثيرة ، ذلك أن المسلمين

قد استصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم المظفر ، ونهبوا جميع كنائسها ، وأديارها الغنية ، وأثقلوا بما لا يقدر ، ولا يحصى من الذخائر ، والغنائم ، والسبى .

فكانت هذه الأثقال النفيسة تحدث الخلل فى صفوفهم ، وتثير بينهم ضروب الخلاف والنزاع ، وكانت من الأسباب الرئيسية فى تغيير سير المعركة[1] .

إشتد ساعد نصارى الشمال بعد هذه المعركة ، وحذوا حذو الفرنج فى الإستفادة من تمزق الإسلام فى الأندلس ، ونصارى الشمال هم تلك البقية الباقية من " القوط " الذين ارتدوا أمام الفتح الإسلامى إلى ناحية الشمال ، واعتصموا " بجبال " أشتوريش " وكان من أعظم أخطاء الفاتحين أنهم لم يعنوا بالقضاء على تلك الفلول إلى أن استفحل أمرها ، فكونت إمارات ، ما لبثت أن اشتد ساعدها ، وأخذت تناهض الإسلام ، وتغالبه ، وتعمل بكل ما وسعت لاسترداد الوطن القديم .

* * *

ويبدو للباحث أن المسلمين ارتكبوا عدة أخطاء فى سياستهم فى الأندلس ، كان لها أثر بعيد المدى على انتشار الإسلام فى أوروبا ، وإليها يرجع السبب فى ذهاب دولتهم من أسبانيا :

---

[1] تظهر روح الصليبية واضحة من تعليق المؤرخين على نتيجة هذه المعركة ، وإليك نموذجاً منها يقول " السير إدوارد كريزى " : " إن النصر العظيم الذى ناله " كارل مارتل " على العرب سنة ٧٣٢م وضع حدًّا حاسماً لفتوح العرب فى غرب أوربا ، وأنقذ النصرانية من الإسلام ، ويقول " إدوارد جيبون " متصوراً النتائج لو انتصر العرب فى معركة " بواتيه " : " .... بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن فى معاهد " إكسفورد " ، وربما كانت منابرها تؤيد لمحمد صدق الوحى والرسالة ". ويقول : " إن هذه المعركة أنقذت آباءنا البريطانيين وجيراننا الغاليين (الفرنسيين) من نير القرآن المدنى والدينى ، وحفظت جلال رومة ، وأخرت استعباد " قسطنطينية " وشدت بأزر النصرانية ، وأوقعت بأعدائها بذور التفرق والفشل ".

١- شيوع الأنانية ، وحب الذات بين القادة والأمراء ، والحرص على الدنيا بين كثير من المسلمين. وظهر ذلك فى أول عهدهم بالأندلس ، تلمس ذلك حينما أمر موسى بن نصير طارق بن زياد بالتوقف عن الفتح ، لكى لا ينسب الفتح كله إلى طارق .

وكذلك فيما تلى من أحداث ، منها على سبيل المثال ، أن موسى أراد فيما بعد أن يخوض بجيشه سهول أوروبا وجبالها فاتحاً ، حتى يصل إلى دمشق من الطرف الآخر للقارة الأوروبية ، ولكن حال دون ذلك ، استدعاء الخليفة له ولطارق إثر الوشاية بهما فى بلاط دمشق ، وبذلك أسدل الستار على هذا المشروع الخطير . وإذا أردت المزيد من هذه الأحداث التى أثرت على الإسلام والمسلمين فى الأندلس ، فاقرأ كتب التاريخ تنبئك عن خلافات أدت إلى قتل وصلب بين المسلمين أنفسهم ، إرضاءً للنفس الأمارة بالسوء ، وإشباعاً لشهوة الحكم .

٢- نشب الخلاف بين القبائل العربية التى ألقت رحلها فى الأندلس ، فعادت إلى ما كانت عليه قبل الإسلام من التنافر ، والتناحر ، والتقاتل ، زاد عليه ما وقع من خلاف بين العرب والبربر ، فكان المجتمع الأندلسى يموج بخلافات عميقة ، واضطرابات عنصرية ، أدت إلى قيام ثورات ، امتدت عبر تاريخ المسلمين فى الأندلس بين الأمراء والحكام ، وبينهم وبين الثائرين عليهم ، حتى قضى عليهم جميعاً ، وبالتالى على الإسلام نهائيًّا فى أسبانيا ، وليس غريباً أن تهزم النصرانية الإسلام فى الأندلس ، بل الغريب أن يصمد أمامها ثمانية قرون ، لأن الخلافات التى نشأت بين أبنائه من يوم قيام دولته فى الاندلس ، كانت كفيلة بأن تعجل بهزيمته فى فترة أقصر من ذلك بكثير !!

٣- شغلت هذه الخلافات المسلمين عن التفرغ النهائى للفلول القوطية التى فرت أمام الفتح ، واعتصمت بالجبال الشمالية ، وكونت الإمارات النصرانية ، إذ لم يجرد المسلمون لها حملة للقضاء عليها نهائياً ، بل كانت الحرب بينهم ، وبين هذه الإمارات ، لا تخرج عن كونها حملات تأديبية فقط ، ردًّا على عدوانهم على الثغور والحصون الإسلامية المتقدمة ، ثم تطور فيما بعد إلى التوازن بين الفريقين ، ينتصر المسلمون فى بعضها ، وينهزمون فى البعض الآخر : ولما دب الضعف فى أوصال المسلمين فى الأندلس رجحت كفة النصارى ، وأصبحوا يقتطعون الثغور ،

ويستولون على المدن واحدة بعد الأخرى ، ولولا النجدات التى عبرت من شمـال إفريقيـا إلى الأندلس لانتهت دولة الإسلام هنالك قبل سقوط غرناطة بقرنين على الأقل .

وقعت معارك كثيرة بين المسلمين والنصارى ، ولكننا سنكتفى بعرض موجز لـثلاث فقط :

أولاها : تتعلق " بطليطلة " المدينة التى كان سقوطها بداية استرداد الأندلس من أيـدى المسلمين ، وهى أيضا مسرح المناقشات التى أدت إلى ظهور هذا الكتاب الذى نقدم له .

ثانيها : معركة " الزلاقة " لأنها دفعت إلى الدم الإسلامى فى الأندلس جرعة جديـدة أحيت شبابه ، فساعدته على الصمود بضعة قرون أخرى .

ثالثها : قرطبة لأنها آخر المعاقل الإسلامية فى الأندلس .

***

سقوط طليطلة :

اشتد النزاع بين ملوك الطوائف ، فصار كل منهم يتربص بالآخر ، للاستيلاء على ما تحت يده ، ويبذل كل ما فى وسعه للتغلب عليه وسحقه ، ولو كان ذلك عن طريق محالفـة ملـوك النصارى أعدائهم جميعاً ، فكانت النتيجة أن ضعفوا جميعاً ، وعجزوا عـن حمايـة أنفـسهم . واستغل ملك " جليقة " و " قشتالة " النصرانى ضعفهم ، ورأى أن الفرصـة سـانحة لامـتلاك بلدانهم، وبسط سلطانه عليهم ، فأخذ يهاجم الثغور الإسلامية ، وينتزع المدن والحـصون مـن أمرائها ، ويفرض عليهم الجزية ، وكان ممن أخضعه وألزمه دفع الجزية أمير " طليطلة " المـأمون يحيى بن ذى النون .

واستمرت " طليطلة " تؤدى الجزية " لفرديناند " الأول ملك " قـشتالة " حـتى مـات فقطعها أمير طليطلة مستغلاً النزاع الذى حدث بين أولاد " فرديناند " ، ووقوع الحرب الأهليـة بينهم .

هرب أحد أولاد " فرديناند" – وهو ألفونس – إلى " طليطلة " مستجيراً بأميرها المأمون ، فأكرم وفادته وأنزله عنده عزيزاً مكرماً ، وعندما قتل أخوه ، غادر " طليطلـة " إلى بـلاده ،

فاعتلى عرشها ، واستغل " ألفونس " الصداقة التى قامت بينه وبين المأمون ، فعقد حلفاً معـــه ، تعاهدا فيه على الصداقة والتعاون المشترك .

واعتمد المأمون على هذه الصداقة ، فوجه حملة ضد خصمه المسلم ابن عباد فى قرطبـــة ، وكان جيشه يضم جنوداً من القشتاليين النصارى ، فاستولى على قرطبة ، ولكنه لم يتمتع بالنصر طويلاً ، إذ كان كبير السن ، فداهمه المرض ، و لم يكن له ابن ، فأوصى بالملك لحفيده القادر بن يحيى بن إسماعيل ، وكان قاصراً ، فأقام له مجلس وصاية ، من صديقه " ألفونس " ، والحـــارس بن الحكم وبعض الولاة ، ولكن هذه الثقة بحليفه لم تقع موضعها ، فنسى ملك قـــشتالة إيـــواء " طليطلة " له يوم أن كان طريداً وعطفها عليه ونسى صديقه المأمون يوم آمنه من خوف ، و لم يذكر العهود التى أعطاها لصديقه ، بأن يرعى الأمير القاصر ، ويحميه ، وأبت نفسه إلا أن تشعر بشعور العرش ، ومصلحة وطنه ، ضارباً بكل العهود والمواثيق عرض الحائط ، فنجحت عنـــده مساعى ابن عمار وزير المعتمد ، فارتضى بأن يحالف صاحب " أشبيلية " عدو الملك الذى هـــو وصى عليه ، وأن يعده بالمساعدة فى توسعه ومحاربة أمراء المسلمين ، ورضى ابن عباد أن يساومه على أبناء ملته ، فيترك يده حرة تتصرف فى طليطلة ، ثم يؤدى له الجزية صاغراً ، لا يجـــد بهـــا غضاضة فى سبيل مطامعه .

وبينما ابن عباد يزحف بجيشه إلى غرناطة ، ليخضع صاحبها ابـــن بـــاديس ، إذ بـــــ " ألفونس " يتهيَّأ لغزو " طليطلة " ، واحتلالها عام ١٠٧٩م ، وكانت قد ثارت علـــى أميرهـــا القادر بن ذى النون لإكثاره فى فرض الضرائب ، إرضاءً لشهواته وترفه ، أو إشباعاً لمطامع ملك قشتالة .

فجاء " ألفونس " إلى " طليطلة " متذرعاً بحجة الدفاع عن حليفه ، فعاث فى ولايتها مخرباً القرى والحصون ، ثم ارتد عنها عندما وصلته الأنباء ، بأن المنصور أمـــير " بطليـــوس " خـــف لنجدتها ، ثم عاد " ألفونس " فى العام التالى ينشر الفساد فى بسائطها ، ويستولى على زروعها ، ويدق قلاعها . وما زال يوالى عليها غاراته فى كل عام حتى أضعفها ، وأنهك قواهـــا ، وضـــيق عليها ، حتى أصيبت بالضيق والفاقة ، ثم سار إليها فى السنة السادسة متوجهاً إلى العاصمة نفسها فحاصرها ، ومنع عنها كل صلة ومدد ، فاستغاثت المدينة بأمير " بطليوس " ، فأمدها بجيش على

رأسه ولده المفضل ، ولكنه لم يصمد أمام قوات " ألفونس " الساحقة ، فالهزم مدحوراً . و لم يبق للقادر أمل فى النجاة ، وكان الجوع يهدد المدينة ، فخشى أن يثور عليه الشعب ويقتله ، فبعث إلى " ألفونس " يطلب الصلح على أن يؤدى الجزية ، ويكون تابعاً له ، فرفض " ألفـونس " ، وطالبه بفتح أبواب المدينة ، وتسليمها ، واعداً بأن يحافظ على أرواح المسلمين ومقتنياتهم ، وأن يترك لهم المسجد الجامع يصلون فيه ، وألا يعارضهم فى دينهم وشرائعهم ، وخيرهم فى البقاء أو الهجرة ، من أحب البقاء يؤدى الجزية ، كما يؤديها المسيحيون فى بلاد المسلمين ، ومـن آثـر الهجرة يسمح له بأن يحمل أمواله حيث يشاء . وضمن للقادر أن يدع له إمارة بلنسية يتـصرف فيها ، ولا يبخل عليه بالمساعدة ، إذا احتاج إلى الدفاع عنها .

وفى الخامس والعشرين من مايو ١٠٨٥م " أول صفر ٤٧٨هـ" دخـل" ألفـونس " السادس ملك " قشتالة " ، و" لاون " و " جليقة " " طليطلة " ، عاصمة " القوط " القديمـة ، تتقدمه مواكب النصر ، وتحيط به مظاهر العظمة ، والأبهة والجلال ، وبذلك انتزع من المسلمين إحدى قواعد الأندلس الكبرى ، التى تتحكم فى استراتيجيتها ، إذ كان موقعها على نهر " التاجة" يعد من أقوى المواقع دفاعيًّا ، فكانت بذلك حصن الأندلس الشمالى ، والسد المنيع الذى يـرد عادية النصرانية ، فجاء سقوطها ضربة شديدة لمنعة الأندلس وسلامتها .

وانقلب ميزان القوى القديم فبدأت قوى الإسلام تفقد تفوقها فى شبه الجزيرة ، بعـد أن استطاعت أن تحافظ عليها زهاء أربعة قرون ، وأضحى تفوق القوى النصرانية أمر لا شك فيـه. ومن ذلك الحين تدخل سياسة الاسترداد الأسبانية فى طور جديد قوى ، وتقـاطرت الجيـوش " القشتالية " لأول مرة منذ الفتح الإسلامى ، عبر نهر " التاجه " إلى أراضى الأندلس ، تحمـل إليها أعلام الدمار والموت ، وتقطع أشلاءها تباعاً ، فى سلسلة لا تنقطع من الغزوات والحروب .

***

معركة الزلاقة :

اغتر ملك " قشتالة " بعد سقوط " طليطلة " فتوغل فى أراضى المسلمين وزحف بجيوشه يضرب ولايات الأندلس ، فاستولى على " قورية " ، من بنى " الأفطس" وأغار علـى بـسائط

" أشبيلية " فأثخن فيها ، وأحرق قراها وحقولها ، ثم ارتد إلى قلعة " سرقسطة " يريد فتحها ، فضرب حولها حصاراً شديداً ، وأعمل الحديد والنار فى ولايتها، فدافعت عاصمة الدولة الهودية عن نفسها دفاع المستميت المستبسل ، ولكن الأسبانيين ضيقوا عليها ، فراحت تستغيث بجاراتها المسلمة . غير أن ملوك الطوائف كانوا ضعافاً متمزقين ، ينظرون إلى المواقف منخلعة قلوبهم هلعاً ، لا يستطيعون حراكاً ، لأن الخلافات أنهكتهم ، وبددت قواهم.

أضحت الأندلس على وشك الفناء ، ولاح فى الأفق أن دول الطوائف المنهوكة الممزقة ، سوف تسقط تباعاً فى يد عدوها القوى ، وساد الفزع التوجس يومئذ جنبات الأندلس كلها ، حتى قال شاعرهم :

يا أهل الأندلس شدوا رحالكم	فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى	سلك الجزيرة منثوراً من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه	كيف الحياة مع الحيات فى سفط

أدرك ملوك الطوائف أن الموقف خطير ، وأن الدائرة ستدور عليهم جميعاً ، ولا يمكن لأحد منفرداً أن يقف أمام هذا العدو ، فلابد من الاتحاد كى يستطيعوا وقف توغله فى الأراضى الإسلامية ، فتداعوا إلى مؤتمر يعقدونه فى مملكة ابن عباد ، أعظمهم دولة ، فاجتمعوا فى "إشبيلية " ثم " قرطبة " واتفقوا على ضم جهودهم لدفع المغير ، وإنقاذ " سرقسطة " ، بيد أنهم لم يكونوا واثقين بالنصر ، لما يعلمونه من ضعف قواهم إزاء القوات الأسبانية ، فاتجهوا بأبصارهم إلى ما وراء البحر يستغيثون بالمرابطين ، وهم يومئذ فى عنفوان دولتهم ، وأميرهم يوسف بن تاشفين يبسط سلطانه على أمم المغرب من المحيط غرباً وحتى تونس شرقاً ، وكان صاحب شوكة وسلطان ، يسيطر على شعب مخشوشن الأبدان ، يستطيب الحرب والكفاح ، لم ينغمس فى الترف والملذات — كأهل الأندلس — لتخور عزائمه ، فيتقاعد عن القتال .

تلقى أمير المرابطين دعوة أمراء الطوائف فى الأندلس لنجدتهم ، فحشد جيشاً قوامه خمسين ألفاً فى " سبته " ثم اجتاز المضيق إلى الجزيرة الخضراء فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٧٩هـ (أغسطس ١٠٨٦م) وبعد استقبال الأمراء له ، واستعداد الجيوش للقتال جاءت الأنباء أن

" ألفونس " زاحف بقواته إلى " بطليوس " ، فنشط المسلمون إلى ترتيب صفوفهم ومعسكراهم ، وتولى أمراء الأندلس قيادة جنودهم .

خطب يوسف بن تاشفين وابن عباد فى أصحابهما ، وقام الفقهاء يحضونهم على الثبات ، ويحذرونهم من الفشل ، ثم جاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم ، وهو يوم الأربعاء ، فخرج المسلمون مبكرين ، وأخذوا مصافهم وأقبلت الجيوش الأسبانية بخيلها ، ورجلها تملأ الفضاء فنزلت على بضعة أميال من " بطليوس " ، فى سهل تتخلله الغابات ، يعرف باسم الزلاقة " Sa :ratias " ، وعسكرت تجاهها الكتائب الأندلسية يفصل بينهما نهر صغير .

أقام يوسف بن تاشفين معسكره وراء أكمة عالية ، منعزلاً عن معسكر الأندلسيين ، فلما أخذت الجنود مواقعها ، أرسل زعيم المرابطين إلى " ألفونس" ، يعرض عليه الدخول فى الإسلام ، أو تأدية الجزية ، أو مباشرة القتال ، ومن جملة ما قاله فى كتابه إليه " بلغنا يا " ألفونس " أنك دعوت إلى الاجتماع بنا ، وتمنيت أن يكون لك سفن تعبر فيها البحر إلينا ، فقد عبرنا إليك ، وقد جمع الله فى هذه الساحة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال " .

فلما اضطلع " ألفونس " على مضمون الكتاب رماه إلى الأرض غاضباً ، وقال للرسول : " إذهب فقل لمولاك ، إننا سنلتقى فى ساحة الحرب "

ولم يشأ العاهل الأسبانى أن يبدأ القتال دون أن يلجأ إلى بعض الخدائع المعروفة عنه ، فأرسل إلى يوسف بن تاشفين ، مقترحاً عليه عدم البدء بالقتال غداً ، يوم الجمعة ، لأنه العيد الأسبوعى للمسلمين ، ولا السبت لأنه يوم اليهود ، وفى كلا المعسكرين كثير منهم ، ولا الأحد لأنه يوم النصارى ، واللقاء فى المعركة يكون يوم الإثنين .

استحسن الأمير المغربى هذا الاقتراح ، ولكن ابن عباد شك فى الأمر ، لأنه يعرف الكثير من مكائد " ألفونس " ، فبعث عيونه بالليل يتجسسون حركات الأسبانيين ، فعادوا يخبرونه أنهم سمعوا ضوضاء الجيش ، ورنين الأسلحة فبعث إلى يوسف بن تاشفين يطلعه على الأمر ويستحث نصرته .

قسم " ألفونس " جيشه إلى قسمين ، ودفع بالقسم الأول ، ليباغت الأندلسيين ، وإذا بفرسان المرابطين يصدونهم ، ويكسرون هجومهم ، ولم يكن الأسبانيون ينتظرون هذه المفاجأة ، فارتدوا إلى خط دفاعهم الثانى ، ثم أصلحوا أمرهم ، وعاودوا الكرة على المرابطين ، وحمل معهم " ألفونس " بسائر جيشه يخترق فرسانه المدرعون بالحديد الخطوط الأندلسية ، وكانت الحملة عنيفة ، لم يصمد أمامها أمراء الأندلس ، فتراجعوا مقهورين ، ثم ركنوا إلى الفرار ، فطاردهم المسيحيون ، إلى أسوار " بطليوس " ، ولم يثبت فى الميدان إلا فرسان " إشبيلية " وأميرهم ابن عباد والفرسان المرابطون ، وقائدهم داود بن عائشة ، وأظهروا من ضروب البسالة ما يملأ النفس إعجاباً ، فجاهدا بفرسانهما أروع جهاد ، حتى لم يبق أمل من الدفاع ، ارتدّا بأصحابهما إلى الأسوار ، ملتحقين بأمراء الأندلس الذين انهزموا فى بدء المعركة ، وتتبعهم " ألفونس " بالمطاردة ليجهز عليهم ، وظن أن الهزيمة لحقت بالمسلمين ، وأن يوسف بن تاشفين من جملة المندحرين ، وبينما هو غارق فى هذا الظن ، إذا بالصرخة تتعالى وراءه فى معسكره ، وقرع الطبول يتجاوب فى الهواء ، وكان زعيم المرابطين قد خرج بجنوده ، وانقض على معسكر الأسبانيين فأوقع بحاميته ، وأحرق الخيام ، واستولى على ما فيها من الذخائر والأسلحة .

ارتد " ألفونس " لينقذ معسكره ، ودارت بينه وبين يوسف بن تاشفين معركة حامية رجحت فيها كفة المسلمين ، فارتد المسلمون الذين انهزموا فى بدء المعركة وفيهم ابن عباد ، وداود بن عائشة بفرسانهما ، فاشتدت عزائم المسلمين حين لاحت بوادر النصر لهم ، وأطبقوا على الأسبانيين ، فحصروهم بين فكى الجيوش الإسلامية — يوسف بن تاشفين فى قواته من جانب ، والأمراء الأندلسسيين من الجانب الآخر — وبدأت سيوف الإسلام تحصدهم من الأمام والوراء ، حتى دنت ساعة الغروب ، وكره يوسف بن تاشفين أن يأتى الظلام ، ويفصل بينه وبين النصارى دون أن يجهز عليهم ، فأمر فرقة من رجاله — وعدتهم أربعة آلاف — فترجلوا عن مطاياهم ، بأيديهم السيوف ، والدرق ، ومزاريق الزان ، فاقتحموا خيول الأسبانيين وأعملوا الطعن فى بطونها ، وصدورها ، فازورت بفرسانها ، وفرت من الميدان من ألم الجراح وحملت جيوش المسلمين حملة صادقة ، فانهزم الأسبانيون ، واستمر القتال فيهم ، فلم يفلت منهم غير طويل العمر .

خسر الأسبانيون أكثر جيوشهم فى هذه الموقعة ، وكذلك كانت خسارة المسلمين جسيمة ، لأن الضائقة لزمتهم معظم النهار ، بيد أنهم وجدوا التعزية فى النصر البهيج ، فأقاموا مهرجان الفرح مساء يومهم ، وبعث المعتمد ابن عباد حمامة إلى عاصمته ، تحمل رسالة البشرى لولده الرشيد ، فقرئت على الناس فى المسجد الجامع ، واحتلفت " إشبيلية " بالنصر فى اليوم نفسه ، على ما بينها وبين " بطليوس " من البعد ، وبات الجيش ليلته فى ميدان القتال حتى تنفس الصبح ، فصلوا صلاة الشكر لله العلى الجليل ، على ما وهبهم من النصر المبين .

وانتهت معركة " الزلاقة " بيوم واحد ، هو الجمعة ٢٣ ديسمبر ١٠٨٦م ، فدونت حدثاً عظيماً فى تاريخ الإسلام ، ولكنها لم تجتث الداء الذى سرى فى أوصال الأمة الإسلامية فى الأندلس ، فأضعفها ، وأنهك قواها ، ألا وهو الاختلاف على السلطة ، فقد كان الخلاف بين أبناء هذه الأمة فى تلك الظروف العصيبة ، يذهب إلى حد التضحية بأقدس المبادئ وأسمى الاعتبارات ، وكانت وشائج القومية والدين ، والخطر المشترك ، كلها تغيض أمام الأطماع الشخصية الوضيعة . ذلك أن ملوك الطوائف توجسوا خيفة من أطماع يوسف بن تاشفين فى الأندلس ، إذ كانوا يعتقدون أنه جاء لنجدتهم فقط ، فإذا انتهت هذه المهمة ، شد رحاله راجعاً إلى بلاده ، ولكنه أظهر بعد المعركة أنه لا يريد ترك الأندلس لهم ، فنشبت الخلافات بينهم وبينه ، فحال ذلك دون استرداد ما استولى عليه النصارى قبل ذلك ، ومنها " طليطلة " التى سبق الكلام عنها. غير أن دولة الإسلام بقيت فى الأندلس بقيادة المرابطين حتى عام ٥٤٠هـ " ١١٤٦م" ، عندما انهارت دولتهم فى إفريقيا أمام الموحدين ، الذين جازوا على الأندلس ، وأخذوا يستولون على ثغورها ومدنها من المرابطين .

حافظ المسلمون على قوتهم فى الأندلس فى عصر الموحدين ، إلى أن قضى بنو مرين على دولتهم فى أواخر عام ٦٦٧هـ (١٢٦٩م) ، فانتهت دولة الموحدين فى المغرب ، كما انتهت فى الأندلس ، بعد أن عاشت زهاء قرن وثلث ، وقامت دولة بنى مرين تسيطر على أنحاء المغرب الأقصى كله ، وتستقبل عهداً جديداً من القوة والسلطان .

انهارت قوى المسلمين بعد ذهاب دولة الموحدين ، بل قبل ذلك ، عندما دب الضعف فى أوصالها ، بالذات بعد إحراز أسبانيا النصرانية لفوزها الحاسم على الموحدين فى موقعة العقاب عام

٦٠٩هـ ، ومنذ ذلك الحين تجتاح أسبانيا المسلمة موجة عاتية من الغزو النصراني ، وتسقط قواعد الأندلس التالدة شرقاً وغرباً فى يد النصارى ، فسقطت جزيرة " ميورقة " (٦٢٧هـ - ١٢٢٩م) ، و " إبدة " (٦٣١هـ - ١٢٢٣م) ، ثم " قرطبة " (٦٣٣هـ - ١٢٣٦م) ، و" بياسة " و " إستجة " و " المدورة " (٦٣٤هـ - ١٢٢٧م) ، و " بلنسية " (٦٣٦هـ - ١٢٣٨م) و " شاطبة " و " دانية " (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م) و" لقنت " و " أريولة " و " قرطاجنة " (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م) ، و " مرسية " (٦٤١هـ - ١٢٣٤م) ، " وجيان " (٦٤٤هـ - ١٢٤٦م) ، ثم " إشبيلية " (٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) ، واجتاحت غرب الأندلس فى الوقت نفسه موجة مماثلة من الغزو النصرانى ، فسقطت " بطليوس " (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م) و" مادة " (٦٢٨هـ - ١٢٣٠م) ، و" شلب " (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م) ، و" شنتمرية " الغرب (٦٤٧هـ - ١٢٤٩م) ، " ولبة " (٦٥٥هـ - ١٢٥٧م) ، ثم سقطت " قادس " فى سنة ١٢٦٢م وتلتها " شريش " فى سنة ١٢٦٤م ، وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجرى [القرن الثالث عشر الميلادى] حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها ، قد سقطت فى يد أسبانيا النصرانية ، ولم يبق من تراث الدولة الإسلامية بالأندلس سوى بعض ولايات فى طرف أسبانيا الجنوبى .

وأخذت الأندلس عندئذ ، تواجه شبح الفناء مرة أخرى ، وطافت بالأمة الإسلامية التى احتشدت يومئذ فى الجنوب فى بسيطها الضيق ، ريح من التوجس والفزع ، وعاد النذير يهيب بالمسلمين ، أن يغادروا ذلك الوطن الخطر الذى يتخاطف العدو أشلاءه الدامية ، وسرى إلى الأمة الأندلسية شعور عميق بمصيرهم المحتوم .

ولكن شاء القدر أن يرجىء هذا المصير بضعة أجيال أخرى ، وشاء أن يسبغ على الدولة الإسلامية بالأندلس ، حياة جديدة فى ظل مملكة " غرناطة " ، تلك المملكة التى استطاعت أن تحافظ على قوة المسلمين نوعاً ما فى الأندلس ، حتى تكالبت عليها قوى النصرانية ، واستغاثت بالمسلمين فى الطرف الآخر ، ولكنهم لم يلبوا استغاثتها ، لضعفهم ، وانشغالهم عنها بأمورهم الداخلية ، فسقطت تحت خيل المعتدين .

***

سقوط غرناطة :

لم يبق فى أيدى المسلمين من الأندلس العربية بعد انهيار دولة الموحدين وسقوط " قرطبة "، و"بلنسية " ، و " إشبيلية " ، وسواها من المدن والقلاع ، إلا مملكة " غرناطة ". ويشمل حكمها " كورة البيرة " (Elvire) ومنها قطر " لوشه " (Loja) على نهر " غرناطة " ، المعروف بنهر " شنيل " ، (Xeinuecar)، وجبال " البشرات " (Alpujarras) و " بسطة " (Baza) وأشهر مدنها التجارية على ساحل البحر " مالقة " (Malaqu) و " المرية " (Aiméria) .

نشأت هذه الدولة فى ظل ظروف صعبة ، إذ كانت الحرب الأهلية قد مزقت الأندلس عقب انهيار دولة الموحدين ، فعمت الفوضى ، وكثر الفساد ، ولكن عزيمة محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجى ، الملقب بابن الأحمر استطاعت أن تتغلب على كل عقبة فى تكوين تلك الدولة ، ولعب موقعها الجغرافى ، والأحداث التى وقعت فى ذلك العصر دوراً كبيراً فى قيامها وبقائها مدة مائتين وخمسين عاماً أخرى بعد أن سقطت ولايات الأندلس فى يد النصارى ، ويمكن أن نلخص العوامل التى ساعدت على الحياة هذه المدة فيما يلى:

١- الموقع الجغرافى ، ذلك أن القواعد والثغور الجنوبية التى تقع فيما وراء نهر الوادى الكبير ، آخر الحواجز الطبيعية بين أسبانيا النصرانية ، وبين الأندلس المسلمة ، كانت أبعد المناطق عن متناول العدو ، وأمنعها ، وكانت فى الوقت نفسه أقربها إلى الضفة الأخرى من البحر ، إلى عدوة المغرب ، وشمال إفريقيا ، حيث تقوم دول إسلامية شقيقة ، وحيث تستطيع الأندلس وقت الخطر الداهم أن تستمد الغوث والعون من إخوانها فى الدين ، وقد كان لها فى ذلك منذ أيام الطوائف أسوة .

٢- إنشغل الملوك الأسبان عنها بمحاربة بعضهم بعضاً ، واستمرت الحرب بينهم حتى القرن الخامس عشر الميلادى .

٣- اعتاد الملوك الأسبان على ابتزاز أموال المسلمين ، فكانوا يجدون لذة فى ضرب الجزية عليهم ، واعتبارهم من أتباعهم ، فقد عاون بنى الأحمر ، النصارى ، فى الإستيلاء على ثغر

" قادس " ، وبذل لهم ما استطاع من العون المادى ، والأدبى ، ضد الأمراء المسلمين ، وذلـك طبقاً لاتفاق عقد بينه وبين ملك " قشتالة " ، يقضى بأن يترك ابن الأحمر ، يحكـم مملكتـه ، وأراضيه باسم ملك " قشتالة " ، وفى ظله ، على أن يؤدى ابن الأحمر جزية ، سنوية ، قـدرها مائة وخمسون ألف قطعة من الذهب ، وأن يعاونه فى حروبه ضد أعدائه .

٤- كانت المملكة مكتظة — على ضيق مساحتها — بالسكان ، لأن معظـم المـسلمين الذين هاجروا من الولايات الأندلسية ، التى احتلها النصارى لجأوا إليهـا ، واتخـذوها مقـراً ، فاجتمع فيها عدد كبير من المحاربين الشجعان ، كانت تستعين بهم فى رد عدوان النصارى عندما كانوا ينقضون عهد الأمان ، وكثيراً ما كان يحدث منهم ذلك .

٥- كانت إذا أحست بالخطر ، وشعرت بالخناق يضيق عليها ، إستصرخت سـلاطين المغرب ، وفى مقدمتهم بنو مرين ، فيرسلون إليها الجنود الشجعان ، لرد المعتدين عن أرضها .

كان لهذه العوامل كلها أثر كبير فى بقاء مملكة " غرناطة " ، إلى أن تغير الوضع الدولى آنذاك ، إذ استطاع البابا " إينوسان " الثالث ، أن يصلح بين الملوك الأسبانيين ، ويؤلف قلوبهم ، ويحثهم على محاربة المسلمين ، ودفع سقوط " قسطنطينية " فى الشرق فى أيدى العثمانيين سـنة ١٤٥٣م ، النصارى فى أوروبا ، إلى مساعدة ملوك أسبانيا ، للقضاء على الإسلام فى الأندلس .

أضف إلى ذلك ما أصاب دولة بنى مرين من ضعف ، أعجزها عن تقـديم المـساعدة للمستغيثين بها من الأندلسيين ، ورافق ذلك تضعضع فى أحوال غرناطة من جراء خلافها الداخلى وانقسامها أحزاباً تحترب ، وتتصارع ، ويفزع بعضها إلى النصارى لمقاومة الـبعض الآخـر ، فمهدوا السبيل للنيل منهم ، وتغلب العدو على مدنهم وقلاعهم . وكان أخطر تلك الخلافات ما وقع فى قصر الحمراء من دسائس النساء ومكايدهن ، ذلك أن السلطان أبا الحسن علياً بن الأحمر كان رجل لذات وشهوات ، فأهمل رعاية الجيش ، وأقدم على قتل كبار القواد ليأمن انتفاضتهم ثم سلم زمام الحكم لوزيره ، واحتجب فى قصره عن الناس ، ليتفرغ لنسائه وملاهيه ، فأغضب العامة والخاصة ، وتمخض الأمر عن إندلاع ثورة ، بايعت أخاه أبا عبـد الله محمـداً ، الملقـب بالزغل، ونشبت الفتنة بين الأخوين ، ولكنها انتهت بإخضاع الزغل .

غير أنه ما لبث أن نشأ خلاف ، أشد منه وأنكر ، خلاف بين الإبن وأبيه ، ومنشؤه أن أبا الحسن وقع فى غرام جارية أسبانية ، أسلمت ، وتسمت بالثريا ، استولت على إرادته فحملته على أن يتزوجها ، وتبوأت عنده المترلة الأولى ، فجعل ولاية العهد لبعض أولادها ، فاشـــتعلت الغيرة فى صدر زوجته عائشة ، وهى ابنة عمة السلطان الأيسر ، ومازالت الثريا تحرض السلطان أبا الحسن على زوجته وولديها حتى أمر السلطان باعتقالهم . أثار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية ، وولديها بعطفهم وتأييدهم ، فكان نذير الإضـــطراب فى المجتمع الغرناطى ، وانقسم الزعماء إلى فريقين خصيمين ، فريق يؤيد الأميرة الشرعية وولـــديها ، وفريق يؤيد السلطان وحظيته ، واستأثر الفريق الأخير بالنفوذ مدى حين .

عمدت الأميرة عائشة إلى الاتصال بعصبتها وأنصارها ، فساعدوها على الفـــرار مـــن السجن مع ولديها ، اختفى الفارون حيناً حتى قويت دعوتهم ، وانضم إليهم كـــثير مـــن أهـــل " غرناطة " ، وكان اسم عائشة ، ورفيع خلالها ، وقصة فرارها الجـــرئ ، تـــثير أيمـــا عطـــف وإعجاب .

ظهر ولدها الفتى محمد أبو عبد الله فى وادى " آش " حيث تجمـــع عـــصبته وأنـــصاره وغلبت دعوته ، فنشبت الثورة فى " غرناطة " ، و لم يستطع أبوه مواجهتها ، لسخط العامة على سياسته ، ففر إلى " مالقة " ، وكان بها أخوه الزغل .

جلس أبو عبد الله محمد مكان أبيه على عرش " غرناطة " فى أواخر عـــام ٨٨٧هـــــ وأطاعته " غرناطة " ووادى " آش " ، وغيرهما ، و لم يبق غير " مالقة " والناحية الغربيـــة تحـــت نفوذ أبيه .

إلتقى الابن والاب فى معارك طاحنة ، واضطرمت نار الحرب الأهلية بين المـــسلمين ، وكان ملك " قشتالة " يرقب الأحداث ، فلاحت له الفرصة للغزو ، ورأى أن الوقت قد حـــان للقضاء على آخر معقل للإسلام فى الأندلس ، تنفيذاً لبعض شروط عقد الزواج المعقـــود بـــين " فرديناند " ملك " أرجوان " ، و" إيزابيلا " ملكة " قشتالة " التى تنص على إدماج مملكتيهما فى مملكة واحدة ، لتحارب المسلمين وتخرجهم من أسبانيا .

قصد المسيحيون " مالقة " ، و " بلش " في نحو ثمانية آلاف ، فقاومهم الزغل وأوقع بهم خسائر فادحة ، ولما علم أبو عبد الله أن عمه أحرز نصراً على النصارى ، أحب أن يكون له قسط في الجهاد الوطني والديني — وكان يقاتل قوات أبيه في ذلك الحين وتغلب عليها — فحشد قواته وخرج لقتال الأسبانيين ، فتجمع عليه الأسبان ، فهزموه ، وأخذوه أسيراً .

أجمع أمراء " غرناطة " على إرجاع والده ، وكان قد ذهب بصره ، فرفض أن يقوم بأعباء الملك ، وهو على هذه الحال ، فأشار عليهم أن يبايعوا أخاه الزغل ، فبايعه الأندلسيون وقدموا له فروض الطاعة .

خاض المسلمون بقيادة الزغل معارك طاحنة ضد النصارى الذين أغاروا على غرب " مالقة " في عام ٨٥٠هـ "١٤٨٥م " وحاصروا " رندة " ، وهدموا أسوارها ، وفي أثناء ذلك ، أراد " فرديناند " أن يضرب المسلمين بعضهم ببعض ، ويستفيد من شقاقهم وتحاربهم ، فبعث إلى عبد الله — وهو أسير عنده — فحضر إليه ، واتفق معه على أن يطلق سراحه ، ويساعده على استرداد عرشه من عمه ، وأمده بالجنود والمال اللازم ، فثار عبد الله يطلب العرش ، وانضم إليه أهل " البيازين " ، وهو حى من أقدم أحياء " غرناطة " ، يتفشى الجهل بين سكانه ، وتبعهم بعض أهل " غرناطة " ، بدعوة أنهم يرجون الصلح مع المسيحيين على السلطان الأمير أبي عبد الله ، لما رأوا من عطف القشتاليين عليه ، فوقعت الفتنة بين المسلمين .

ثم جاء السلطان أبو عبد الله إلى " لوشة " ، فظن أهلها أنه أتى لمصالحة عمه الزغل ، وإذا صاحب " قشتالة " يدهم " لوشة " بجيش كثيف فيحاصرها ، فخف أهل " البيازين " إلى نصرة السلطان أبي عبد الله ، ولكنهم ما لبثوا أن تبين لهم أنه كان على اتفاق مع الملك الأسباني ، ففتحت " لوشة " أبوابها لـ " فرديناند " عام ٨٩١هـ ، وهاجر أكثر أهلها إلى غرناطة ، أما عبد الله ، فبقى مع الأسبانيين ، فصدقت شائعة تحالفه معهم .

استمر " فرديناند " في محاربة الزغل ، فأخذ منه حصونه وقلاعه واحدة بعد الأخرى ، وهو يظهر الصداقة لأبي عبد الله ، ويدعى مناصرته على عمه ، ومنافسه في الملك .

وكان غرضه الرئيسى عزل " غرناطة " عن جميع المدن والولايات الإسلامية ، فيسهل عليه امتلاكها إذا حاصرها ، ويحول دون وصول النجدات إليها ، ولا يخفى ما فى هذه الخطة من دهاء وحسن تدبير .

وعندما سقطت أمام " فرديناند" جميع الحواجز التى كانت تعوق زحفه إلى" غرناطة " كتب إلى عبد الله يستنزله عنها ، واعداً إياه بأن يضعه تحت حمايته ، ويعطيه مالاً جزيلاً ، ولكن لم ينتظر الجواب ، بل دلف إليه بجنوده لينجز الأمر سريعاً .

جمع أبو عبد الله أعيان المدينة وقوداها ، وأطلعهم على كتاب " فرديناند " فأجمعوا رأيهم على الجهاد ، فأرسل عبد الله إلى " فرديناند " يبلغه رفض طلبه واستعداده لقتاله .

نزلت قوات " فرديناند" أمام المدينة ، وضربت الحصار حولها ، وأمرت " إيزابيلا " زوجة " فرديناند " ببناء مدينة مقابلة لها ، لأنها رأت أن الحصار سيطول ، فبنيت المدينة ، وأطلق عليها " سانتفى " (Sante-Fe) أى الإيمان المقدس .

صبرت " غرناطة " على الحصار ، وقصف مدافع العدو ، ولكن المؤونة لم تكن تكفيها سوى مدة قصيرة ، وليس لها باب مفتوح إلا من ناحية جبل " شلير " تأتيها منه المؤونة رشحاً ، لوعورة المسالك ، فكان الضيق يدفع أهلها حيناً بعد آخر إلى ترك الأسوار والحصون ، لمنازلة العدو ، فتقع معارك دامية ، يستبسلون فيها مقاتلين قتال الضوارى ، فيسيل مرج " غرناطة " دماً ، ويكتسى بالجثث والسهام ، ولما اشتد الجوع على المسلمين ، دعا السلطان أبو عبد الله رجال الدولة وأهل المشورة يستطلع آراءهم فيما ينبغى عمله ، فاتفقوا على إسلام البلد ، حفاظاً على النفوس أن تهلك حيث لا يجدى الهلاك ، فاختاروا وفداً من رؤساء الجند للمفاوضة ، فخرجوا إلى معسكر الأسبانيين ، فاستقبلهم " فرديناند " و " إيزبيلا " بحفاوة ، فعرضوا عليهما إسلام العاصمة ، على شروط الأمان للمسلمين ، فقبل العاهلان دون تردد ، أن تفتح المدينة أبوابها صلحاً ، ووضعت معاهدة الاستسلام ، وهى تتضمن سبعة وستين شرطاً منها :

لا يجوز للجنود المسيحيين أن يدخلوا المساجد ، إلا بإذن من الفقهاء ، وتبقى المساجد والأوقاف كما كانت ، ولا يمنع مؤذن ، ولا مصل ، ولا صائم عن أموره الدينية ، .وكل مسيحى يضحك منهم فى أثناء إقامة شعائرهم يعاقب . لا يقسر من أسلم من النصارى على

الرجوع إلى دينه ، أما من تنصر من المسلمين ، فإنه يوقف أياماً ، حتى يظهر حاله ،ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى ، فإن أبى الرجوع إلى الإسلام يترك على ما أراد .. إلخ .

وقع " فرديناند " " وإيزابيلا " على هذه الشروط ، ثم وقع على التسليم أبو عبد الله فتوقفت الأعمال الحربية فى ديسمبر سنة ١٤٩١م (صفر ٨٩٧هـ) ، وفى يناير سنة ١٤٩٢م (ربيع الأول ٨٩٧هـ) فتحت " غرناطة " أبوابها ، ودخلها الملكان الكاثوليكيان فى موكب حافل ، فساروا إلى الحمراء ، بعد أن غادر قلعتها أبو عبد الله ، مجتازاً ساحة الأسود ، كسيراً ، مختلع الفؤاد ، يسير مطرقاً إلى منفاه وبجانبه أمه عائشة صامتة ، قاطبة ، والناس وقوف فى الشوارع والشرف ، يشيعونه بأنظارهم منقبضين ، ما بين راحم ، وناقم ، حتى إذا انعطف به الطريق ، وكادت الحمراء تتوارى عنه ، أرسل إليها النظرة الأخيرة ، وهطلت عيناه بالدموع ، فالتفتت إليه أمه ، وقالت له بحرارة الشامت المتألم :

إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً	لم تحافظ عليه مثل الرجال

وهكذا سقط آخر معقل من معاقل الإسلام فى الأندلس ، وضاعت دولة المسلمين هناك إلى الأبد ، ولم يبق إلا تاريخها ،عبرة لمن تدبر ،وتعلم ، وأنات الشعراء الذين رثوها ، تهيج مشاعر المسلمين ، وتذكرهم بما حدث لإخوانهم فى الأندلس ،فيأخذون حذرهم ، حتى لا يلقوا نفس المصير ، وإليك أبيات من هذا الرثاء :

فواحسراتا كم من مساجد حولت	وكانت إلى البيت الحرام شطورها
وواأسفا كم من صوامع أوحشت	وقد كان معتاد الأذان يزورها
فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى	وآياتها تشكو الفراق وسورها
وكم طفلة حسناء فيها مصونة	إذا أسفرت يسبى العقول سفورها
فأضحت بأيدى الكافرين رهينة	وقد هتكت بالرغم من ستورها
وكم فيهم من مهجة ذات ضجة	تود لو انضمت عليها قبورها
لها روعة من وقعة البين دائم	أساها وعين لا يكف هديرها
وكم من صغير فى حجر أمه	فأكبادها حراء لفح هجيرها
وكم من صغير بدل الدهر دينه	وهل يتبع الشيطان إلا صغيرها

(٢)

نشبت معارك كلامية – بجانب المعارك العسكرية – حول الإسلام والمسيحية وتعاليم كل من الدينين ، وكانت تشتد فى المدن التى يسيطر عليها المسيحيون ، وفيها بعض المسلمين الذين اختاروا البقاء فى الوطن الذى نشأوا فيه ، فكانت هذه الطائفة هدفاً لهجوم منظم من جانب رجال الدين المسيحى ، طبقاً لخطة وضعت لتنصيرهم ، فكانت تعاليم الإسلام موضوع المحاورات والمناقشات التى تدور بين القسس وبينهم .

ومن مظاهر ذلك النقاش الكتاب الذى نقدم له ، فقد اعتاد قسيس من الأسبان ، أن يلقى أسئلة على بعض المسلمين فى مدينة " طليطلة " – بعد سقوطها فى يد النصارى – كى يضعف من عقيدتهم ويخلخل إيمانهم ، و لم يكن هؤلاء المسلمون على قدر من الثقافة الدينية ، تمكنهم من الرد عليه ، ولكن غيرتهم على الدين دفعتهم إلى البحث عمن يستطيع مدهم بإجابة ، تفحم هذا القسيس ، فوجدوا أبا عَبِيدة الخزرجى[1] وكان شابًّا كثير الإطلاع ، فكان يمدهم بالإجابة التى يردون بها أسئلة القسيس .

---

[1] هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبى عَبِيدة (بفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة بعدها ياء مثناة) ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الأنصارى الخزرجى الساعدى (نسبة إلى سعد بن عبادة الصحابى) ، فقيه أندلسى .

ولد فى قرطبة عام ٥١٩هـ (١١٢٥م) كان مشهوراً فى شبابه بالذكاء والنبل ، حافظاً للحديث ، ملماً بالتواريخ والقصص متيناً فى الأدب .

تذكر المصادر أنه شارك بوجه ما فى الفتن التى انتابت قرطبة فى عامى ٥٤٠/٣٩هـ (٤٥ / ١١٤٦م) وأسر سنة ٥٤٠هـ (١١٤٦م)، وبقى أسيراً فى طليطلة إلى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧م) ، وفى هذه الفترة ألف هذا الكتاب ، وهو ابن اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين سنة .

ولا نعلم شيئاً عنه بعد هذا التاريخ ، سوى أنه عاش حياة متقلبة ، فسكن غرناطة مدة ، وبجاية أخرى ، ثم استوطن مدينة فاس ، وأنه كف بصره فى آخر عمره ، وتوفى بفاس عام ٥٨٢هـ (١١٨٧م) وله غير هذا الكتاب:

-

أدرك القسيس ذلك ، فكتب إلى أبي عَبيدة كتاباً ، يدعوه فيه إلى اعتناق المسيحية ، مبيناً لــه - من وجهة نظره - فضائلها ، ومساوئ الإسلام - كما يدعى - فرد عليه أبو عَبيدة بكتاب ، مفنداً فيه مزاعمه ، شارحاً ما حرفوه من دين الله ومن الموضوعات التي دار حولها النقاش :

التثليث عند النصارى .

صلب المسيح .

مشكلة الخطيئة الأولى .

- " آفاق الشموس وأعلاق النفوس " .
- " نفس الصباح " فى غريب القرآن وناسخه ومنسوخه .
- " حسن المرتفق فى بيان ما عليه المتفق فيما بين الفجر وقبل الشفق" .
- " قصد السبيل فى معرفة آيات الرسول ".
- " مقام المدرك فى إفحام المشرك ".

لكن لم يصلنا منها سوى هذا الكتاب الذى نقدم له .

وينسبه البعض إلى قرطبة ، مسقط رأسه ، فيقولون : القرطبى وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بهذا الإسم فظن الدارسون أنه القرطبى المفسر المتوفى (٦٧١ هـ - ١٢٧٣م) ، ولم يعرفوا أن هناك أكثر من عالم ، اشتهر باسم القرطبى :منهم :

القرطبى : البيانى ،المتوفى فى عام ٢٧٦هـ - ٨٩٠م ، وهو من أعلام الفقهاء والمحدثين.

والقرطبى : محمد بن أحمد ، المتوفى عام ٣٨٠هـ - ٩٩٠م ، وهو قاض محدث.

والقرطبى : عبد الرحمن بن حسن ، المتوفى عام ٤٤٦هـ - ١٠٥٤م ،وكان عالماً بالقراءات.

والقرطبى : عبد الوهاب بن محمد ، المتوفى عام ٤٦١هـ - ١٠٦٩م وكان عجباً فى تحرير القراءات.

والقرطبى : ابن عبد البر ، المتوفى عام ٤٦٣ هـ - ١٠٧١م ، وكان من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخاً وأديباً ، له مؤلفات كثيرة فى مختلف الفنون من تاريخ ، وفقه ، وحديث وغيرها .

والقرطبى : أحمد بن عمر ، المتوفى عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م ، فقيه مالكى ، من رجال الحديث. وغيرهم لذا حذفت النسب إلى قرطبة من أبى عَبيدة ، حتى لا يختلط الأمر على القارئ .

معجزات عيسى عليه السلام .

معجزات الحواريين .

طبيعة المسيح .

خوارق العادات التي تظهر في الكنائس .

الشرائع في التوراة والإنجيل .

الطلاق في المسيحية .

تعدد الزوجات في اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام .

القتال في الأديان الثلاثة .

تحريف التوراة والإنجيل .

الجزاء الأخروى في الأديان الثلاثة .

وأورد أبو عَبيدة في رده على القسيس كثيراً من نصوص الكتاب المقدس الذى يقسمه المسيحيون إلى قسمين :

قسم منها : يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام ، والآخر يزعمون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام ، ومجموع الكتب من القسم الأول يطلقون عليها اسم : العهد القديم ، والقسم الثانى يسمونه : العهد الجديد ، ومجموع القسمين يطلقون عليه : " بيبل " ، وهو لفظ يونانى بمعنى الكتاب ، وهو الاسم المعروف به الكتاب المقدس في اللغات اللاتينية .

يضم العهد القديم تسعة وثلاثين كتاباً :

١- سفر التكوين ، ويسمى : سفر الخليقة أيضاً.

٢- سفر الخروج

٣- سفر الأحبار ، ويسمى : سفر اللاويين أيضاً.

٤- سفر العدد

٥- سفر التثنية ، ويسمى : سفر الاستثناء أيضاً.

ومجموع هذه الكتب الخمسة يسمى بالتوراة ، وهو لفظ عبرانى بمعنى التعليم والشريعة ، وقد يطلق اسم التوراة على مجموع كتب العهد القديم كلها مجازاً .

٦- كتاب " يوشع " بن نون .
٧- كتاب القضاة .
٨- كتاب راعوث .
٩- سفر صموئيل الأول .
١٠- سفر صموئيل الثانى .
١١- سفر الملوك الأول .
١٢- سفر الملوك الثانى .
١٣- السفر الأول من أخبار الأيام .
١٤- السفر الثانى من أخبار الأيام .
١٥- سفر عزرا .
١٦- سفر نحميا .
١٧- كتاب أستير .
١٨- كتاب أيوب .
١٩- المزامير " الزبور" .
٢٠- أمثال سليمان .
٢١- كتاب الجامعة .
٢٢- كتاب نشيد الإنشاد .
٢٣- كتاب أشعياء .
٢٤- كتاب أرمياء .
٢٥- مراثى أرمياء .
٢٦- كتاب حزقيال .
٢٧- كتاب دانيال .
٢٨- كتاب هوشع .
٢٩- كتاب يوئيل .
٣٠- كتاب عاموس "أو عاموص " .
٣١- كتاب عوبديا .
٣٢- كتاب يونان .
٣٣- كتاب ميخا .
٣٤- كتاب ناحوم .
٣٥- كتاب حبقوق .
٣٦- كتاب صفنيا .
٣٧- كتاب حجى .
٣٨- كتاب زكريا .
٣٩- كتاب ملاخى .

وكان ملاخى النبى ، قبل ميلاد المسيح بنحو أربعمائة وعشرين سنة.

وهذه الكتب كانت مسلمة عند جمهور القدماء المسيحين ، ما عدا كتاب أستير ، والسامريون لا يسلمون منها إلا بسبعة كتب :

الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وهى المعروفة باسم التوراة ، وكتاب يوشع بن نون ، وكتاب القضاة ، وتخالف نسخة توراتهم نسخة توراة اليهود .

وهناك كتب أخرى لم يعترف بها ، واستبعدت من نسخة العهد القديم الموجودة بين أيدينا ، وهذه الكتب هى :

١ - كتاب باروخ . ٢- كتاب طوبيا . ٣- كتاب يهوديت .

٤ - كتاب وزدم . ٣- كتاب إيكليزيا ستكيس . ٦- كتاب المقابيين الأول .

٧- كتاب المقابيين الثانى .

أما العهد الجديد ، فعشرون كتاباً :

١ - إنجيل متى . ٢- إنجيل مرقس .

٣- إنجيل لوقا . ٤ - إنجيل يوحنَّا .

ويقال لهذه الأربعة : الأناجيل ، ولفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة ، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد ، وهذا اللفظ معرب كان فى الأصل اليونانى " إنكليون " بمعنى البشارة والتعليم [1] .

٥- كتاب أعمال الرسل (الحواريون) . ٦- رسالة بولس إلى أهل رومية .

٧- رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس . ٨- رسالته الثانية إليهم .

٩- رسالته إلى أهل غلاطية . ١٠- رسالته إلى أهل أفسس .

١١- رسالته إلى أهل فليبى . ١٢- رسالته إلى أهل كولوسى .

١٣- رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى . ١٤- رسالته الثانية إليهم .

١٥- رسالته الأولى إلى تيموثاوس . ١٦- رسالته الثانية إليه .

١٧- رسالته إلى تيطس . ١٨- رسالته إلى فليمون .

١٩- رسالته إلى العبرانيين . ٢٠- رسالة يعقوب .

٢١- رسالة بطرس الأولى . ٢٢- رسالة بطرس الثانية .

٢٣- رسالة يوحنَّا الأولى . ٢٤- رسالته الثانية .

٢٥- رسالته الثالثة . رسالة يهوذا .

---

[1] وهذه هى الأناجيل الأربعة التى اعترفت بها الكنيسة ، بعد أن إختارتها من عدد كبير من الأناجيل ، وأصدرت قراراً بإعدام ما عداها ، واتخذت إجراءات صارمة فى تنفيذ هذا القرار ، حتى لم يبق منها سوى إنجيل برنابا .

٢٧- رؤيا يوحنَّا[1] .

---

[1] شك المسيحيون فى صحة بعض كتب العهدين ، ثم اعترفت مجالسهم بها ، ثم عادت بعض الفرق ، ونقضت هذا الإعتراف ، فقد انعقد مجلس علماء المسيحية فى عهد " قسطنطين " فى بلدة " نائس " عام ٣٢٥م لبحث مسألة الكتب المشكوك فيها فقرروا بعد المشاورة : أن كتاب " يهوديت " واجب التسليم ، وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوكاً فيها كما كانت. ثم بعد ذلك انعقد مجلس آخر يسمى مجلس " لوديسيا " فى عام ٣٦٤م ، فأبقى حكم المجلس الأول فى كتاب " يهوديت " على حاله ، وزاد عليه سبعة كتب أخرى ، وجعلها واجبة ، وهى هذه :

١- كتاب أستير .

٢- رسالة يعقوب .

٣- الرسالة الثانية لبطرس .

٤- الرسالة الثانية ليوحنَّا .

٥- الرسالة الثالثة ليوحنَّا .

٦- رسالة يهوذا .

٧- رسالة بولس إلى العبرانيين .

بقى كتاب مشاهدات " يوحنَّا " فى هذين المجلسين خارجاً مشكوكاً فيه كما كان ، ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر فى عام ٣٩٧م ، وكان عدد المجتمعين ١٢٧ من العلماء المشهورين ، فأبقوا حكم المجلسين الأولين بحاله ، وزادوا على حكمهما هذه الكتب :

١- كتاب وزدم .

٢- كتاب طوبيا .

٣- كتاب باورخ .

٤- كتاب إيكليزيا ستيكس .

٥ ، ٦ - كتابا المقابيين .

٧- رؤيا يوحنَّا .

لكن أهل المجلس جعلوا كتاب " باروخ " بمنزلة جزء من كتاب " أرميا " لأن " باروخ " كان بمنزلة النائب والخليفة " لأرميا " ، ثم انعقدت بعد ذلك ثلاثة مجالس : مجلس " ترلو " ، ومجلس " فلورنس " ، ومجلس " ترنت " وعلماء هذا المجلس الأول أبقوا حكم المجلس المنعقد فى عام ٣٩٧م على حاله ، لكن أهل المجلسين الأخيرين كتبوا اسم كتاب " باروخ

إعتمدنا فى التحقيق على ثلاث نسخ :

الأولى : مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ١٨٦٣ ، وعدد أوراقها ٩٢ ، بكل ورقة صفحتان وعدد سطور الصفحة ١٥ ، ومتوسط عدد كلمات السطر سبع ، وهى بخط جيد ، إلا أن بعض كلماتها غير واضحة ، عجزت عن قراءتها ، و لم يسعفنى الإهتداء إليهـا إلا النسختان الأخريان . وقد حصلنا على نسخة مصورة لها ، من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، وعنوان الكتاب فى هذه المخطوطة : " مقامع هامـات الـصلبان ، ومراتـع روضات الإيمان" .

ويرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع الهجرى ، و لم يذكر ناسخها شيئاً عن نفسه ، ولا عن النسخة التي نقل عنها ، بل أضاف تذييلاً بدأه بقوله : قال المراجع : ليعلم كل ذى بـصيرة ... الخ وقد رمزنا لها بالحرف " ج ".

الثانية : المخطوطة الموجودة فى المكتبة الأحمدية بتونس تحت رقـم ٢٠٦٣ وهـى بخـط مغربى ، صعب القراءة ، وتقع فى ٢٦ ورقة ، تضم الورقة صفحتين ، وعدد سطور الصفحة ٢٣ سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر تسع كلمات ، وعنوان الكتاب فى هذه المخطوطة :

" كتاب مقامع الصلبان فى الرد على عبدة الأوثان " .

غير أنه ذكر فى هامشها أنه سمى أيضاً بروضات الإيمان ، وبهذا يتفق مع نـسخة " ج " وقد ذكر ناسخها اسمه ، وتاريخ النسخ فقال :

" فى فهرست أسماء الكتب على حدة فبعد انعقاد هذه المجالس ، صارت هذه الكتب المشكوك فيها ، مسلمة بين جمهـور المسيحين ، وبقيت هكذا حتى ظهرت فرقة " البروتستانت " فى القرن السادس عشر الميلادى ، فرد علماؤها حكم هؤلاء الأسلاف فى :

كتاب " باروخ " ، وكتاب " طوبيا " ، وكتاب " يهوديت " ، وكتاب " وزدم " ، وكتاب " إيكليزيا استكس " وكتابى المقابيين ، وقالوا : إن هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة.

(راجع : رحمة الله الهندى جـ١ ص ٥١ - ٥٥) .

" انتهت الرسالة المباركة بحمد الله ، وحسن عونه ، وتوفيقه ، وتأييده يوم الأربعاء للسبع وعشرين خلون من ذى الحجة الحرام ، متمم شهور سنة ١٢٨٠ ، ثمانين ومائتين وألف على يد العبد الفقير ، المقر بالعجز والنقص ، الراجى من مولاه الحليم الستار ، تخفيف الذنوب ، والأوزار ، عبده وأقل عبيده ، محمد على بن عمار[١] التونسى الدار ، التميمى ، غفر الله له ولوالديه ، ولمشايخه ، ولجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، بجاه صاحب المعجزات ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليما ".

وقد رمزنا لها بالحرف " ت ".

الثالثة: نسخة طبعت بمصر عام ١٣١٦هـ بدون تعليقات ، وهى بعنوان " الفاصل بين الحق والباطل "

و لم تنسب إلى أبى عَبيدة ، بل ذكر ناشرها تحت العنوان:

يتضمن

" حجة عز الدين المحمدى على حنا مقار العيسوى "

ونصه هو نص النسختين السابقتين ، غير أنه يختلف عنهما فى بعض الأشياء

أولاً: اختلفت مقدمته عن مقدمتيها ، إذ جاء فيها :

" إننى فى سنة ألف وثلثمائة من الهجرة ، كنت رأيت كتاباً عربياً طبع ببلاد أوروبا اسمه " رسائل الكندى " ، يقول طابعه إنه وجده فى أحد المساجد القديمة[٢] وهذا الكتاب يشتمل على رسالتين :

---

[١] هو عالم من أهل تونس ، قدم إلى مصر ، وجعل ناظراً لمسجد أبى الذهب ، وأوقافه ، واتصل بإبراهيم باشا ، فكان يعلم أولاده العربية ، وكان عالماً ذكياً درس فى الأزهر ، وحسنت حاله ، ولما مات إبراهيم باشا نفاه الخديوى عباس ، فذهب إلى الحجاز ، ثم رحل إلى القسطنطينية ،فمات فيها عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) .

من كتبه :" تعديل المرقاة وجلاء المرآة - خ " و "حاشية على مرآة الأصول لملا خسرو ". (الزر كلى - الإعلام)

[٢] ليس من المحتمل أن يكون قصده " رسائل الكندى الفلسفية " التي احتوت على :

- رسالة فى أنه لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات .
- رسالة فى مدخل المنطق .

الأولى : من مسلم يدعو صاحبه المسيحى إلى دين الإسلام.

والثانية : رسالة من المسيحى يرد فيها على رسالة المسلم رداً مطولاً .

وبعد اطلاعى على ذلك الكتاب ، وفهم مبادئه وغاياته ، كنت عزمت على أن أرد عليــه ، وإن كنت لست من رجال هذا الميدان ، ولكن الصدفة أحياناً تفعل ما لا يفعله القاصد ، فإنى عثرت على كتاب قديم فى أحد المعابد القديمة اسمه : " الفاصل بين الحق والباطل " فأخذتــه ، وبعــد اطلاعى عليه مع التأمل ، أعجبنى ، واكتفيت به عما كنت عزمت عليه ، لأننى وجدته عكــس رسائل الكندى ، أعنى يحتوى على رسالتين :

الأولى : من مسيحى اسمه "حنا مقار" يدعو صاحبه المحمدى واسمه : "عــز الــدين" إلى النصرانية .

والثانية : من المحمدى يرد فيها على المسيحى رداً شافياً ، ولذلك قد صرفت فراغــى فى **إصلاح ما أفسده الزمان من ذلك الكتاب ، وتصحيح ما فعله تقادم العهد عليه ، وها أنــذا الآن** أنشره لإخوانى ذوى العقول من نوع الإنسان على العموم ، ليس فى ذلك غاية ، سوى ما فى الزوايا من الخبايا ، ولكل مقام مقام .

-

- رسالة فى المقولات العشر .
- رسالة فى المناظر الفلكية .
- رسالة فى الغذاء والدواء المهلك .
- رسالة فى أن النفس جوهر بسيط .
- رسالة فى ما للنفس ذكره ، وهى فى عالم العقل قبل كونها فى عالم الحس .
- رسالة فى الأخلاق .

لأنه لا يوجد بينها ما أشار إليه ناشر كتاب "الفاصل بين الحق والباطل" من تبادل رسالتين بين مسيحى ومسلم.

أما ما عرف بإسم :" رسالة الهاشمى ورد الكندى عليها " ، وهى رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمى إلى عبد المسيح بن إسحق الكندى ، يدعوه فيها إلى الإسلام ، ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمى ، يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية ،فقد أثبت البكرى – فى مقال نشر فى العدد الأول من مجلة كلية الآداب سنة ١٩٤٧م – أنهما رسالتان موضــوعتان ، وضــعهما السريان فى عصر متأخر ، وزعموا وقوع هذه المساجلة فى عصر المأمون . (الرد الجميل ص ٦٤).

قال عز الدين المحمدى :

" دخلت مصر فى أمر عرض على ، فاتفق اجتماعى " بحنا مقار " وهو أحـد مـشاهير النصارى ، وأوائل أفاضلها ، فتحدثت معه ، واستحسن حديثى فتصاحب معى ، وتـردد إلىّ ، وقصد ترغيبى فى دينه ، فتباحث معى يوماً فى أمر دين النصرانية ، فقلت له بحضرة جماعـة مـن العدول : أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينهم ، بل أطالبهم كلهم أن يـصوروا دينهم تصويراً يقبله العقل ، فإذا صوروه ، اكتفيت بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته ، فحاول هو فى نفسه تصوير دينهم فعجز عنه ، فلما عجز ، قال : ما كلفنا بالتصوير ، بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ، فلا نلتزم ما لا يلزمنا ، وما ليس من ديننا وجنح إلى القول بالتقليـد ، وعدم النظر فيما يصح ويفسد .

" فقلت له : الاعتقاد لابد فيه من أن تثبت شيئاً لشئ ، أو تنفيه ، فهـو مركـب مـن تصورين : تصور المحكوم عليه ، وتصور المحكوم به ، وأنتم على ما قلتم مكلفون بالاعتقاد ، ومن كلف بمركب كلف بمفرداته ، فمن كلف بالاعتقاد كلف بالتصور ، فـأنتم حينئـذ مكلفـون بالتصور ، فصور لى دينك .

" فانقطع عن الكلام ، ورأى أنه أصيب من مأمنه ، ولزمه السؤال من قولـه ، فقـال : أمهلنى ثلاثة أيام ، حتى أجتمع على " ابن العسال " – وهو أحد أئمة اللاهوت – فأستحضر ما يلزم من البراهين القاطعة .

" فذهب ، ولم أره ، ولم يرجع ، ثم بعد ما مضى أكثر من شهر ، أرسل إلىّ كتاباً مطولاً يدعونى فيه إلى النصرانية ، التى عجز عن تصويرها ، فضلاً عن إقامة الـدليل عليهـا ، فقرأتـه وتأملته ، فوجدت أن القوم ليس لهم حظ من النظر القديم ولا العقل المستقيم ، بل وجدوا آباءهم على الضلال عاكفين ، فهم على آثارهم يهرعون ، قد غمرهم الجهل ، وغمهم العماء ، فلذلك نويت عدم مخاطبة هؤلاء ومراجعتهم فى الخرافات ، ولكن ألح علىّ بعض الإخوان على مراجعته والرد عليه ، فامتثلت لأمرهم وكتبت هذا الجواب رداً على تلك الرسالة من نـصوص كتبـهم وسميته.

" الفاصل بين الحق والباطل" .

ولـما حان وقـت سفرى أتممته ، وأرسلته إلى " حنا مقار " ، ومضيت إلى حيث أتيت

طالباً من الله أن يجعل هذا الكتاب تنبيهاً للغافلين ، ودليلاً للحائرين ، فيستيقظوا من غفلتهم ، وينظروا إلى هذه المساوئ القبيحة ، والفضائح الفظيعة".

ثم يسير النص مع المخطوطتين السابقتين .

ثانياً : زاد فى كتاب المسيحى ، بعد بيان كيفية الصلاة عند المسيحيين ،أركان الدين المسيحى الخمسة ، وهى : التغطيس ، والإيمان بالتثليث ، والإعتقاد بالالتحام بين أقنوم الإبن وعيسى فى بطن مريم ، والإيمان بالقربان. ثم الإعتراف بالذنوب أمام القسيس ، وهى أمور لم تذكر فى المخطوطتين . ولذا لم نوردها فى النص ، بل أشرنا إلى مضمونها فى الهامش .

ثالثاً : أضاف زيادات طفيفة فى رسالة أبى عَبيدة وحذف منها بعض الفقرات وقد أشرنا إلى كل ذلك فى مواضعها .

و لم يذكر الناشر عن نفسه شيئاً ، سوى أنه ليس من أهل هذا الفن ، ولهذا نرى أن من المحتمل أنه عثر على مخطوطة للرسالتين فقط [1] ، وليس عليهما ما يدل على كاتبيهما ، فزاد عليهما شيئاً من عنده ، ووضع لكل منهما اسماً يناسبه ، وقدم لهما ، وقد استنتجنا هذا الرأى مما يلى :

١- مقدمة المخطوطين أقرب إلى القبول منطقياً وعقلياً من المقدمة التي وضعها ، فالقسيس فى " طليطلة " ينال من الدين الإسلامى ، وهو دين أقلية ، ليس فى يدها سلطة ، فيهرع المسلمون إلى أبى عَبيدة للرد على هذا الهجوم ، فيمدهم بما يفحم القسيس ، ثم يعلم القسيس ذلك ، فيكتب إليه خطاباً يعرض عليه فيه الدخول فى المسيحية ، وذلك هو هدف المسيحيين فى " طليطلة " ، بعد أن سقطت فى يدهم ، ثم يكتب أبو عَبيدة ردًّا عليه ويخشى أن يرسله إليه خوفاً على نفسه من أن يبطش به المسيحيون والسلطة فى أيديهم ، فينتظر حتى يحين موعد رحيله ، فيعطيه لمن أوصله إلى القسيس .

---

[1] يحتمل أن يكون من النسخة التي نسخها التميمى ، ويقوى هذا الإحتمال : أن التميمى كان بمصر فى عهد محمد على ، وكان يدرس فى الأزهر ، فلعل طالباً من طلابه نسخ الرسالتين فقط ، ثم وقعت النسخة فى يد ناشر " الفاصل بين الحق والباطل " الذى حضر إلى مصر بعد موت التميمى بأربعة عشر عاماً فقط.

تسلسل منطقى ، وعقلى لا غبار عليه ، أما مقدمة ناشر " الفاصل بين الحق والباطـــل " فيرد عليها اعتراضات :

(أ) يبدو الانتحال على الإسمين اللذين زعم أنهما كتبـــا الرســـالتين " حنَّـــا مقـــار " و " عز الدين المحمدى " ، إذ أن كلمة " المحمدى " يطلقها الأوربيون على المـــسلم ، نـــسبة إلى محمد ، فى مقابل نسبة المسيحى إلى المسيح ، والمسلمون يرفضون هذه النسبة ، كذلك لم أجـــد أثراً لهذا الإسم بين علماء الإسلام ، أضف إلى ذلك أن العلماء والمؤلفين فى تلـــك العـــصور ، اعتادوا أن يكتبوا أسماءهم مطولة على مؤلفاتهم ، تصل أحياناً إلى الجد السادس .

(ب) ذكر فى مقدمته أن عز الدين أفحم "حنَّا " فى مناظرة عامة ، ثم بعد مدة أرســـل حنَّا يدعوه إلى اعتناق المسيحية ، ولا يعقل أن يصدر هذا من " حنَّا " لأنه هزم أمامـــه ، إنمـــا المعقول ، أن يتوارى عنه ، ولا يفاتحه فى مسائل العقيدة إطلاقاً .

كيف يطلب المهزوم من المنتصر أن يعتنق المبادئ التى لم يستطع إقامـــة الـــدليل علـــى صحتها ؟ لو انتصر " حنَّا " فى مناظرته ، لقبلت هذه الرواية !!.

(جـــ) لماذا انتظر عز الدين – على فرض صحة هذه الرواية – حتى يحين موعد ســـفره ثم أرسل رسالته إلى " حنَّا" ؟

أكان يخشى على نفسه من المسيحيين ؟

هذا غير صحيح ، لأن السلطة فى مصر فى يد المسلمين منذ أن فتحها عمرو ابن العاص حتى الآن ، و لم يخش العلماء فى أى عصر الجهر بآرائهم الدينية ، ما دامت لا تناهض الـــسلطة الحاكمة ، والرد على المسيحى فى هذا الكتاب دينى بحت ، ولا يهاجم الـــسلطة المدنيـــة ، ولا يتعرض لها بنقد إطلاقاً .

ولهذا اعتمدنا – أساساً – على المخطوطتين ، وما زاد عنهما فى نسخة عـــز الـــدين ، وضعنا له قوسين معقوفين بينهما نقط ، هكذا [...] ثم ذكرنا الزيادة فى الهامش ، إما نصًّا أو تلخيصاً ، إن كان النص طويلاً ، ولا فائدة من ذكره كله .

والنسخ الثلاث خالية من التبويب ، ومن هنا وضعنا لكل مسألة عنواناً بين قوســـين معقـــوفين [.....] ، كذلك كل كلمة من عندنا إقتضاها النص .

اعترض القسيس على تعاليم الإسلام فى تسع مسائل ، ذكرناها تحت عنوان الشبه ، فقلنا : الشبهة الأولى ، الشبهة الثانية .. الخ ، وذكرنا رد أبى عَبيدة ، عليها تحت عنوان : الرد على الشبهة الأولى ، والرد على الشبهة الثانية .. الخ ، وتناولنا فى تعليقنا عليها الجوانب التى لم ترد فى رد أبى عَبيدة ، ولهذا ينبغى على القارئ أن يقرأ الشبهة ، والتعليق ، ورد أبى عَبيدة معاً ، ويفعل ذلك أيضاً فى المسائل التى تناولت عقيدة المسيحيين من تثليث ، وصلب .. الخ ، لأن المحافظة على ترتيب النص ، كما هو حالت دون جمع رد أبى عَبيدة عقب كل شبهة .

وقد رد أبو عَبيدة على جميع ما أورده القسيس من شبهات كلٌّ على حدة ، إلا الشبهتين الثالثة ، والسادسة : اختلاف حكم رد المطلقة إلى زوجها فى التوراة عنها فى القرآن ، ومسألة طرد إبليس من الجنة التى وردت فى رؤيا " يوحنَّا " ، فقد جاء الرد عليهما ضمناً فى بيان ما فى التوراة والإنجيل من تحريف ، وقد بينا المنبع الذى استقى منه "يوحنَّا" ، ما نسخه من خيال حول مسألة طرد إبليس من الجنة .

***

(٢)

تنتشر اليوم فى المجتمعات الإسلامية نغمة تدعو إلى عدم التعصب ضد أتباع الأديان الأخرى ، مع أن المسلمين لم يكونوا فى يوم من الأيام ، متعصبين بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة لدى أصحاب هذه الدعوة ، ولا يقصد من هذا سوى توهين العلاقة بين المسلمين ودينهم ، وفصل المسلم عن عاداته ، وتقاليده الدينية ، تحت ستار مسايرة العصر ، وإلا كان رجعيًّا ومتخلفاً ، ويعيش بعقلية القرون الوسطى ، وقد انزلق كثير من أرباب الفكر فى العالم الإسلامى فى هذا المجال ، فطفقوا يدعون إلى التنازل عن الأفكار الدينية فى الحياة الإجتماعية والسياسية ، ويستند المعتدلون منهم إلى أن الظروف الدولية تستدعى منا أن ننهج هذا السبيل ، وإلا كنا شواذ فى المجتمع الدولى ، لا نستطيع أن نتحرك بحرية ، فنفشل ، وتضيع حقوقنا بين التيارات السياسية المعاصرة ، ويدللون على ذلك بأن الساسة الغربيين – وهم مسيحيون – طرحوا مسألة الدين جانباً ، وتصرفوا – ولا زالوا – على أساس علمانى بحت .

ونسى هؤلاء أن تصريحات السياسيين العلنية فى تلك البلاد ، تختلف إلى حد ما عما يرسمونه من خطط تهدف إلى السيطرة – بل القضاء – على العقائد والمذاهب التى تقف عقبة فى سبيل ما يتخذونه عقيدة ومذهباً ، وإلا ، فهل يستطيع هؤلاء أن يفسروا لنا مغزى زيارة رؤساء الدول الكبرى للبابا ، ويبينون لنا مضمون الأحاديث التى تدور بينه وبينهم فى الإجتماعات التى تستمر أحياناً وقتاً طويلاً ؟!!

وما هو السبب فى أن الأحزاب المسيحية ، لا زال لها السيطرة فى معظم بلاد الغرب ، ولم تستطع الأحزاب الليبرالية أن تحرز نصراً فى مواجهتها ، إلا بعد أن أظهرت عطفها على الكنيسة ، وتأييدها لها ؟؟!!

ومن الافتراء على الحقائق ، ما تردده الصحافة فى الدول الإسلامية ، من أن قيام دولة فى هذا العصر على أساس دينى ، كما هو الحال فى دولة إسرائيل – وكذلك الصراع الدينى بين الكاثوليك والبروتستانت فى إيرلندا – من الأمور الإستثنائية ، لأن الصراع فى كثير من بقاع العالم يحمل – فى صور متعددة ، وأشكال مختلفة – طابعاً أيدولوجيًّا – دينيًّا أو مذهبيًّا – ويظهر ذلك واضحاً فى الأمثلة الآتية :

– اتفاق روسيا مع الهند على ضرب الجيش الباكستانى ، للقضاء على واحدة من أكبر الدول الإسلامية فى آسيا.

– تجرى دماء المسلمين فى الفلبين على يد المسيحيين ، دون أن تغطى وسائل الإعلام العالمية هذه الأحداث ، ولو كان الأمر بالعكس ، لملئت الدنيا صياحاً وعويلاً.

– محت روسياً معالم الإسلام من المناطق التى احتلتها ، مثل طشقند وبخارى ، والقرم ، وغيرها ، فقد حولت مساجدها إلى مسارح ، ويجرى الآن (ذلك كان قبل انهيار الاتحاد السوفييتى) – بطريقة منظمة وشاملة – استئصال العقيدة من الأجيال الناشئة ، وسوف ينقرض ما تبقى من الإسلام فى هذه المناطق بانقراض الجيل القديم . ونفس الأسلوب يجرى فى ألبانيا – ومعظم سكانها مسلمون – ومع جميع الطوائف الإسلامية فى البلاد الشيوعية[1].

---

[1] يجرى الآن استعادة المسلمين لهويتهم الإسلامية فى الأقطار التى استقلت بعد انهيار الإتحاد السوفيتى!!

– قضت العلمانية على الطابع الإسلامى فى تركيا التى كانت مركزاً للخلافة الإسلامية فى القرون الماضية ، وصار الطابع الدينى فى البلاد التى نشأت فيها العلمانية أكثر ظهوراً منه فى تركيا ، ولا يوجد تفسير لهذه الظاهرة ، سوى تصميم المعسكر الغربى على محو المظاهر الإسلامية فى تركيا .

تتسم الحرب الدائرة بين " إرتيريا " والسلطات الأثيوبية بطابع دينى .

– ذُبِحَ كثير من المسلمين فى إحدى دول شرق إفريقيا فى ستينات هذا القرن ، "العشرين" ، وكان الدافع الرئيسي لهذه المذابح نزعة عنصرية دينية .

– عندما قامت حركة انفصالية فى إحدى دول غرب إفريقيا ، تلقت مساعدات من " الفاتيكان " ، ومن معظم الدول الأوربية المسيحية ، لأن معظم سكان المنطقة التى أعلنت الإنفصال مسيحيون ، ولم تخف وسائل الإعلام الغربية وجهها ، عندما كانت تدعو مواطنيها إلى التبرع " للدولة المسيحية " الناشئة ، رغم أنها لم تكن سوى مجموعة تمردت على السلطة الشرعية ، كذلك اعترفت بعض الدول المسيحية فى إفريقيا بدولة الإنفصاليين .

وهناك الكثير من الأحداث العالمية التى تأخذ الطابع الدينى ، وتحركها وتوجهها عواطف العقيدة – ديناً أو مذهباً – وتتلقى التأييد من ساسة الدول الأخرى التى يقوم نظامها السياسى على أساس علمانى بحت ، ولو رمت حصر ما يقع منها فى العالم ، لطالت هذه المقدمة عن المألوف .

وينبغى ألا يفهم من هذا أن على زعماء الدول الإسلامية أن يكونوا جامدين فى تحركاتهم السياسية ، ويقطعوا كل صلة بتلك الأمم التى تنهج هذا السبيل بل عليهم – طبقاً لما نفهمه من روح التشريع الإسلامى – أن يسايروا العصر فى مجال السياسة ، ولا يألوا جهداً فى بناء دولهم على أسس حديثة عصرية لتتقدم علميًّا وفنيًّا وعسكريًّا ، وفى الوقت نفسه لا يكونوا سذجاً ، يتبرأون من الدين ، ويتنكرون لمن ينادى بالتمسك به ، بحجة أنهم تقدميون ، وإلا دارت عليهم الدائرة ، كما حدث لأمراء المسلمين فى الأندلس ، ولن يشفع لهم يومئذ كفرهم بكل ما يمت إلى الإسلام بصلة .

***

يواجه المسلمون المعركة فى مجالين : سياسى ، وفكرى ، وقـد خسروا جـولات فى كليهما ، ففى المجال السياسى ضاعت الأندلس ، ودول البلقان ، والقرم ، وبخارى ، وطشقند[1] وغيرها .

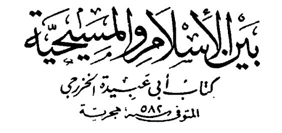
وفى المجال الفكرى سيطر الفكر العلمانى على القادة فتنكر بعضهم للإسلام وتجاهله آخرون . وتعرض كثير من الشباب – وخاصة بعض الذين درسوا فى الخارج – لحملات التشكيك فى صلاحية الإسلام للمجتمع المعاصر ، إذ يحاول المبشرون – ومن يسلكون دروبهم – تشويه المبادئ الإسلامية لهم زاعمين تارة أنها متخلفة عن العصر ، وبالتالى كانت سبباً فى تخلف الشعوب الإسلامية ، وأخرى بالهجوم مباشرة على عقائد الإسلام وتعاليمه ، فاهتزت عقيدة الشباب نتيجة لهذه الحملات ، وضعفت العلاقة بينهم وبين الإسلام ، فصاروا لقمة سائغة للتيارات الإلحادية والموجات الصليبية .

كان هذا هو الدافع الرئيسي لأن أقدم هذا الكتاب للقارئ – عارضاً فى مقدمته جزءاً من تاريخ الصراع بين المسلمين والنصارى فى الأندلس ، ليكون سهماً فى ميدان الدفاع عن الإسلام فكريًّا ، وصوتاً يذكر المسلمين – حكاماً ومحكومين – بما أصاب إخوانهم بالأمس البعيد فى الأندلس ، ليأخذوا حذرهم ، ويعتصموا بحبل الله ، إخواناً متحابين ، غير متحاربين ، يساعد بعضهم بعضاً على النهوض بمجتمعاتهم فى النواحى الثقافية ، والفنية والعسكرية ، ويمدوا يد العون لمن يتعرض منهم للخطر ، حتى لا يؤكلوا كما أُكِل المسلمون فى الأندلس ، ولن يقيهم من عدوهم ساعتئذ ، إدراكهم لخطئهم وندمهم على ما فاتهم ، ولن يملكوا إلا أن يرددوا المثل القائل :" أكلت يوم أن أكل الثور الأبيض"
ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

محمد عبد الغنى شامة

[1] تحاول هذه الدول بعد إنهيار الاتحاد السوفيتى – استرجاع هويتها الإسلامية ، وإن كان ذلك على استحياء .




بين الإسلام والمسيحية
كتاب أبي عبيدة الخزرجي
المتوفى سنة ٥٨٢ هجرية



[مقدمة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ، وسلم تسليماً ، لما نفذ القضاء من الله تعالى على قرطبة[١] ، باندثار ملكها ، وتفرق أهلها عنها ، لتتابع ضنكها ، ألحق منهم "بطليطلة " صبيًّا من آل عبد الحق الخزرجى ، يوصف بالذكاء[٢] ، وكان بها قسيس من القـــوط[٣] يكثـــر الاعتراض فى الدين على نفر كانوا تابعين له[٤] من المسلمين ، فجعلوا يرفعـــون أســـئلتهم[٥] إلى الصبى فيجيبهم[٦] الصبى عليها ، فيرجعون بذلك إلى القسيس ، فأنكر إجابتهم[٧] لعلمه أنهم ليسوا من أهل الذكاء ، فاستفهمهم ، فأعلموه بذلك ، فكتب القوطى[٨] ، إليه كتابـــاً ، وســـألهم أن يوصلوه إليه ، ويأتوا منه بجواب.

* * *

---

[1] هى مدينة فى أسبانيا ، أسسها الفينيقيون ، واستعمرها الرومان ، ثم صارت عاصمة الخلفاء الأمويين فى الأندلس فازدهرت على أيامهم ، إذ شيدوا فيها المبانى الفخمة ، منها قصر الزهراء ، وهى مسقط رأس ابن رشد .

[2] فى ج : " بذكر ".

[3] فى ج : " القرط " وهو خطأ ، إذ أن القرط بطون من بنى كلاب ، يقال لهم القروط ، وقد أطلق لفظ قرط على رجل من سنبس ، كما أطلق على قبيلة من مهرة بن حيدان ، وهذا كله بعيد الصلة عن المقصود فى النص ، خاصـــة إذا عرفنا أن القوط (بالواو) قبائل أوروبية كما سبق الكلام عنها.

[4] فى ج : "بالونه".

[5] فى ج : "سوالاتهم" .

[6] فى ج ، ت : " فيجاوبهم " .

[7] فى ج ، ت : " جوابهم " .

[8] فى ج : " القرطى " وهو واضح التحريف .

[رسالة القسيس إلى إبى عَبِيدة]

– هذا كتابه :

* * *

[قصة التثليث]

من فلان إلى فلان[1] باسم الأب ، والابن ، والروح القدس ، إله واحد[2] سلام عليك أيها الفتى ، الإسماعيلى ، المحمدى ، ورحمة الله وبركاته .

---

(1) من ت ، وفى ع : " من حنا العيسوى إلى عز الدين المحمدى " ، ولم تذكر فى ج .

(2) قضية نسبة البنوة إلى الله عز وجل ، ليست غريبة على العقل البشرى ، ولا هى بالمستحدثة فى تفكيره ، فقد كان فراعنة مصر يعتقدون أنهم آلهة وأبناء الله ، وكذلك كان الشأن عند قياصرة الرومان ، وأكاسرة الفرس ، وغيرهم من أصحاب الملك والسلطان . إنهم كانوا ينظرون إلى الناس من سماوات عالية ، كما كان ينظر إليهم الناس من هذه الأرض على أنهم آلهة ، نزلوا من السماء ، فقدسوهم وعبدوهم .

وكان أتباع الفيلسوف اليونانى " فيثاغورس " يعتقدون أنه الإله " أبولون " وأنه لم يمت ، وسيبعث بعد حين ، ويؤمن أتباعه بعد موته بأنه يلهمهم الكشوف العملية ، ويلقنهم عظات الحكم والأخلاق الحسنة.

وعلى هذا فإذا قال دعاة المسيحية ، بأن المسيح ابن الله ، فإنهم لم يقولوا بدعاً من القول ، لم يعرفه العقل البشرى ، وإن كان بدعاً وتحريفاً فى الشرائع السماوية كلها .

فإذا كانت نسبة البنوة إلى الله ، لها سابقة فى الفكر الإنسانى ، فمن أين استقى المسيحيون عقيدة التثليث ؟

لم ترد كلمات :

الأب ، الإبن ، الروح القدس فى الإنجيل ، إلا فى عبارات ، وتراكيب مختلفة ، ولا نجد عبارة واحدة تجمع بينها فى سياق واحد ، وذلك باستثناء ما نسب إلى المسيح فى إنجيل متى ، حيث قال لتلاميذه :

" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس " . (متى ٢٨ : ١٩)

ولو استعرضنا جميع أعمال الرسل ، ورسائلهم التى أُلحِقَت بالأناجيل ، وصارت جزءاً متمماً لها ، لوجدنا أنها لم تحدث عن شئ مما أصبح عقيدة مقررة عند المسيحيين ، بعد مؤتمر " نيقَية " ، الذى قرر أن المسيح هو أقنوم الإبن فى الله ذى الثلاثة أقانيم .

غير أننا رأينا أن رسائل "بولس" الرسول ، تحتوى على عبارات لاهوتية غامضة ، يمكن أن تحمل على محامل شتى ، من بينها أن يكون المسيح ابن الله ، بمعنى لاهوتى : هو الولادة العقلية !!!

يقول "ول ديورانت" فى موسوعته قصة الحضارة :

وأضاف "بولس" إلى اللاهوت الشعبى لموسى ، بعض آراء صوفية غامضة ، كانت قد ذاعت بين الناس ، بعد انتشار "سفر الحكمة" ، و "فلسفة فيلمون" .. من ذلك قول "بولس" : إن المسيح هو حكمة الله ، وابن الله الأول .. وبكر كل خليقة .. فإن فيه الكل .. الكل به ، وله قد خلق .. الذى هو قبل كل شئ ، وفيه يقول الكل .. وليس هو المسيح المنتظر "المسيًا" اليهودى الذى سينجى إسرائيل من الأسر .. بل هو الكلمة ، التى ستنجى الناس كلهم بموته " (قصة الحضارة جـ١١ ، ص ٢٦٦)

لقد عزل "بولس " المسيح من اليهود ، وجعله مسيحاً ، غير " المسيًا " الذى ينتظرونه لخلاصهم ! وذلك ليستطيع أن يجعل منه الإله ، الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ! وبهذا يضمن لدعوته مجالاً، يتحرك بها فيه فى الإمبراطورية الرومانية ، بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم ، وبهذا أيضاً ، يفسح المجال لأمل اليهود فى مسيح منتظر بعد يسوع الذى "صلبوه".

إعتمد المؤتمرون فى " نيقية " ، على أقوال " بولس " الغامضة ، فى اتخاذ قرارهم فى طبيعة المسيح ، وتتلخص قصة هذا المؤتمر فيما يلى :

فى سنة ٣٢٥م اجتمع المؤتمر المسكونى فى " نيقية " ، بأمر الملك قسطنطين الكبير ، وقد حضر هذا المؤتمر ٢٠٤٨ أسقفاً ، من شتى أنحاء العالم ، ومن مختلف الطوائف المسيحية ، وكانت المسألة الأولى ، والوحيدة ، التى ناقشها المؤتمر ، هى طبيعة المسيح ، وذلك بعد أن قرر القس " آريوس " الإسكندرى رأيه فى المسيح بأنه مخلوق !

ويروى سعيد بن البطريق — بطريق الإسكندرية — فى تاريخه المعروف المسمى " نظم الجواهر " مقالة " آريوس " وما كان لها من آثار فى إثبات الخلاف والفرقة بين المسيحيين ، وما انتهى إليه الرأى فيه ، وفى مقالته . يقول ابن البطريق : كان بالإسكندرية رجل يقال له " آريوس " يقول : إن الأب وحده هو الله الفرد ، والإبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذا لم يكن الإبن .

فقال البطريك — أى بطريك الإسكندرية — لتلميذيه : إن المسيح لعن " آريوس " فاحذرا أن تقبلا قوله ، فإن رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب فقلت له : يا سيدى : من شق ثوبك ؟ فقال لى : " آريوس " فاحذروا أن تقبلوه ، وأن يدخل معكم الكنيسة ، كنيسة الله .

فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان ، فجمع البطاركة والأساقفة ، فاجتمع فى مدينة " نيقية " — بعد سنة وشهرين — ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً ، كانوا مختلفى الآراء . فمنهم من يقول : المسيح ومريم إلهان من دون الله ، وهم المريمانية .

ومنهم من يقول : إن المسيح من الآب ، بمنزلة شعلة نار ، تخلقت من شعلة نار ، فلم تنتقص الأولى ، لإيقاد الثانية منها ، وهى مقالة " سباريون " وأتباعه .

ومنهم من كان يقول : لم تحمل مريم لتسعة أشهر ، وإنما مر نور فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب ، لأن كلمة الله دخلت من أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهى مقالة " إليان " وأشياعه .

ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان ، خلق من اللاهوت كواحد منا ، وإن ابتداء الابن من مريم ، وإنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسى ، صحبته النعمة الإلهية ، فحلت فيه المحبة والمشيئة ، فلذلك سمى ابن الله ، ويقولون : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ، يسمونه بثلاث أسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بروح القدس ، وهى مقالة " بولس الشمشاطى " بطريق أنطاكية ، وأتباعه .

ومنهم من قال بثلاثة آلهة : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما ، وهى مقالة " مرقيون " وأشياعه .

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح ، تلك هى مقالة " بولس " الرسول ، ومقالة الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً .

فلما سمع قسطنطين مقالاتهم ، عجب من ذلك ، وأخلى لهم داراً وتقدم لهم بالإكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم ، لينظر من معه الحق فيتبعه ، فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشراً سقفاً على دين واحد ورأى واحد ، فناظروا بقية الأساقفة ، فأفلجوا عليهم حججهم ، وأظهروا " الدين المستقيم ".

أما أهم ما قرره المجمع — مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر — فهو هذا القرار ، الذى جعل المسيح ربًّا ، هو ابن الله ، ومساوياً له فى جوهره .

وأما صيغة القرار فهى :

" نؤمن برب واحد ، وأب واحد ، ضابط الكل ، خالق السموات والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى نؤمن برب واحد ، ويسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور من نور .. إله حق ، من إله حق .. مولود غير مخلوق ، مساوٍ للأب فى الجوهر .. الذى به كان كل شئ ، هذا هو الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاص نفوسنا ، نزل به من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، وتأنس (أى صار إنساناً) ، وصُلِب على عهد " بيلاطس " ، وتألم ، وقبر ، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث ، كما كتب فى الكتب ، وصعد إلى السماء ، وجلس على يمين الأب ، وأيضاً يأتى فى مجده ، ليدين الأحياء والأموات ، الذى ليس لملكه انقضاء ".

[صلب المسيح]

أما بعد حمد الله الذى هدانا لدينه ، وأيدنا بيمينه ، وخصنا بابنه ، ومحبوبه ، ومد علينا رحمته بصلبه[1] يسوع[2] المسيح إلهنا ، الذى خلق السموات والأرض ، وما بينهن ، والذى فدانا

-

فالإيمان الذى يبشر به هذا القرار ، هو إيمان بالأب ، والإبن فقط ، أما الروح القدس ، فلم يتبوأ مكانه المعروف الآن ، لدى الكنيسة المسيحية ، وظل هذا الوضع – وهو إغفال الروح القدس – حتى عام ٣٨١هـ ، حيث أمر الملك " تيئودوسيوس " الكبير ، بعقد مجمع مقدس ، فى مدينة القسطنطينية ، للنظر فى مقولة " مكونيوس " بطريرك القسطنطينية التى كان ينادى بها ، فى محيط كنيسته ، ويذيعها فى أتباعه ، وهى أن الروح القدس ، مخلوق كسائر المخلوقات .

وقد احتمع فى هذا المؤتمر ، مائة وخمسون أسقفاً ، يمثلون جميع الهيئات المسيحية ، كان من بينهم" تيموثاوس" ، بطريك الإسكندرية الذى أسندت إليه رئاسته .

وانتهى المؤتمر بإدانة " مكونيوس " ، ومن كان على رأيه من الأساقفة ، ثم خرج المجمع بالمصادقة على قرار مجمع " نيقية " ، ثم إضافة نص جديد فى شأن " الروح القدس " .

وكان نصه ما يأتى :

" نعم ، نؤمن بالروح القدس ، الرب ، المحيى ، المنبثق من الأب ، نسجد له ونمجده مع الأب والإبن ، الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة ، مقدسة جامعة ، رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة ، لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامة الأموات ، وحياة الدهر الآتى آمين .

(راجع هذا الموضوع عند الشهر ستان : حـ١ ص ٢٢٠ وما بعدها ، وابن تيمية حـ٣ ص ٢٠ وما بعدها ، وابن حزم : الفصل فى الملل والنحل حـ١ ص ٣٨ – ٤٠ ، والعقاد : الله ص ١٤٦ – ١٤٧ ، ١٧٢ ، والخطيب : المسيح فى القرآن والتوارة والإنجيل ص١٣٧- ٣٠٥ ، Nolle ص٤٧ ، واقرأ تفسير الاتجاه العقلى فى العقيدة المسيحية لبنوة الله عند الاستاذ الدكتور محمد البهى : الجانب الألهى حـ١ ص ١٠١ – ١٠٨ ، ثم راجع بطلان التثليث عند رحمة الله الهندى حـ١ ص٣٦١ – ٣٩٥ ، وحـ٢ ص٣ – ٢٧) .

(1) إقرأ رأى المسيحيين فى حادث الصلب فى متى ٢٧ ، مرقص : ١٥ ، لوقا : ٢٣ ، ويوحنَّا : ١٩ ثم قارن معارضة القرآن لهذا الرأى فى قوله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عيسى بن مريم رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (النساء : ١٥٧).

ثم ارجع إلى مناقشة ابن حزم لعقيدة المسيحين فى صلب عيسى عليه السلام : الفصل فى الململ والنحل حـ١ ص٤٦-٥١

(2) فى ج : " روح المسيح ".

بدمه المقدس ، ومن عذاب جهنم[١] وقانا ، ورفع عن أعناقنا الخطيئة[٢] ، التي كانت في أعناق بني آدم ، بسبب أكله من الشجرة [٣] ، والتي نهى عنها ، فخلصنا المسيح بدمه وفدانا[٤] بدمه ومن عذاب جهنم وقانا.

---

[1] فى ت : " الجحيم".

[2] جاء فى الإنجيل : **" ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً – لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت لِيُخْدَم بل لِيَخْدِم[١] وليبذل نفسه فدية عن كثيرين "** . (مرقس ١٠ : ٤٤ – ٤٥)

" لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية " (يوحنَّا ٣ : ١٦)

وقال بولس : **" بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل ، وعلى كل الذين يؤمنون ، لأنه لا فرق ، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء ، الذى بيسوع المسيح ، الذى قدمه الله كفارة بدمه ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة "** (رسالة بولس إلى أهل رومية ٣ : ٢٢-٢٥) .

" فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً ، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب". (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ١٥ : ٢)

[3] لو قارنا بين نص التوراة ، فى سفر التكوين ، الإصحاح الثالث ، وبين ما أشار إليه القرآن الكريم (البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٠ ، طه : ١٢٠) فى تحديد مرتكب الخطيئة الأولى ، لوجدنا أن التوراة تحمل حواء مسئولية هذه الخطيئة ، فقد جاء فى سفر التكوين أن حواء : **" أكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل .. فقال آدم : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت "** (التكوين ٣: ٦ -١٢) .

أما القرآن الكريم ، فينسب الخطيئة إليهما معاً ، فهما متضامنان فى تحمل المسئولية ، إقرأ قوله تعالى : **﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾** (البقرة : ٣٦) .

بل نصت آية طه ، على أن الشيطان وسوس إلى آدم فقط ، فيقول تبارك وتعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ﴾ (طه ١٢٠ : ١٢١).

ولاشك أن تبرئة القرآن المرأة ، على هذا النحو ، يرفع عنها لعنة ، لحقتها عبر القرون ، ويرفع عنها سبة الضعف المطلق ، والإنهيار السريع أمام الغواية ، ولا يخفى أثر هذا الاتجاه على وضعها فى المجتمع .

[4] فى ج : " وبرأنا "

أهرق[1] دمه فى مرضات جميع ولد آدم ، إذ كان الذنب باقياً فى أعناق جميعهم[2].
فكلهم تخلص منه ، إلا من كفر به وشك فيه. [.....][3].

***

[دعوته إلى الإيمان بألوهية المسيح]

فإذا أردت أن يتغمدك الله برحمته ، وتفوز بجنته ، فآمن بالله وقل إن المسيح ابن الله

---

[1] فى ج : " هرق ".

[2] يرفض القرآن الكريم أن تنسحب خطيئة آدم وحواء على كل الناس ، كما يعتقد علماء اللاهوت المسيحيون ، فالمسئولية الدينية فى نظر القرآن الكريم شخصية محضة ، أنزل الله ذلك فى آيات عدة ، نذكر منها على سبيل المثال :

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة : ٢٨٦)

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (النساء : ١١١)

﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (الاسراء : ١٥)

﴿ لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ (لقمان : ٢٣)

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ اليوم ﴾ (غافر : ١٧)

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأحقاف : ٢٣)

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم : ٣٩)

بل إن القرآن ليصور لنا أخذ البرئ بالمذنب ، لا على أنه مضاد للشريعة فحسب ، بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية.

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾ (يوسف : ٧٩)

[3] زيد فى ع : " أما بعد ، فقد أعجبنى عقلك ، وتحققت من شدة فطنتك وذكائك ، ولذلك صاحبتك ، وجالستك ، وتباحثت معك فى أمر دينى ، ورغبت أن أهديك إليه سبيلاً ، لولا تعصبك فى دينك السقيم ، ومغالطتك فى البحث ، وإنى لمتأكد أنه لو تكرر اجتماعنا كنت أقنعك بصحة ديننا ، فتهتدى إليه ، ولكن أبى الدهر أن يمنعنى عن وفاء ما وعدتك به لأسباب انحراف صحتى ، ولذلك كتبت إليك هذا الكتاب ، لأخبرك أن أسرار ديننا وحكمه ، هى أمور لا تدركها العقول إلا بعد اعتناقه ، والدخول فيه .."

والروح القدس[1] ، ثلاثة أقانيم فى أقنوم واحد[2] فستنجح وترشد .

ألم تسمع ما فى الكتاب ، الذى جاء به صاحب شريعتك : أنه روح الله وكلمته[3] ، وأنه كان وجيهاً فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين[4] ، وأين [من][5] هو أوجه فى الدنيا والآخرة من المسيح ابن الله ؟

---

[1] فى ت : " القدس الذى هو الله ، وابن ، وروح " .

[2] يقول عوض سمعان : " الأقنوم " أو " القنوم " كلمة سريانية ، يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه ، على شرط أن يكون من شخص ، وله ظل .. ولذلك فإنه يراد بالأقنوم التعيين .. وقد وردت فى اللغة اللاتينية كلمة تشبه هذه الكلمة فى النطق تماماً " أقوانيمتس " ومعناها الصدارة .. وقد تعنى أيضاً الانسجام فى الفكر ، والصفات الطيبة ..

أما القول بأن كلمة " أقنوم " معناها " الأصل " كما وردت فى بعض كتب الفلاسفة ، فليس بصحيح ، إذ فضلاً عما تقدم من دليل لغوى ، فإننا لا نؤمن بأن الأقانيم هى أصول العالم ، لأنها تعين الله ، أو تجعل الله معيناً ، والله دون سواه ، هو أصل العالم ومبدعه . (سمعان : ص ١٠٢)

وليس هناك تعارض بين التفسير اللغوى ، الذى ذكره عوض سمعان وبين مفهومها لدى الكنيسة المسيحية ، فالأصل مميز عن الفرع ، وما يتميز عن غيره معين ، فالأقانيم أصل العالم ، فهى مميزة ، ويرد ما يرمى إليه بهذا التفسير اللغوى — وهو نفى أن كلمة أقنوم معناها أصل — محاكاة العقيدة المسيحية ، لما ورد فى الفلسفة ، فإن تحديدها بثلاثة يرجع إلى تأثير الفلسفة الأغريقية فى علم الكلام المسيحى ، يقول الأستاذ الدكتور محمد البهى : " تسمية هذه الأمور بالأقانيم ، أو الأصول يرجع إلى أثر الفلسفة الإغريقية فى تفلسف المسيحية ، وتحديدها بثلاثة ، يرجع إلى المصدر نفسه أيضاً ، لأن ما نراه فى المسيحية على هذا الوجه يذكرنا بـ(مثل) أفلاطون ، فقد جعلها أصول هذا " الوجود " المشاهد ، واعتبره ظلا لها وشبيهاً بها فقط ، كما يذكرنا " بثالوث " أفلوطين المصرى " الذى يتمثل فى الواحد ، والعقل ، ونفس العالم ، ولو فتشنا على الألفاظ الدالة على هذه المعانى الثلاثة فى المصدر النصى للمسيحية ، وجدناها : الله ، كلمة الله ، الروح القدس (البهى : الجانب الالهى .. جـ١ ، ص ١١٣)

[3] يشير إلى قوله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عيسى بن مريم رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (النساء : ١٧١)

[4] يشير إلى قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عيسى بن مريم وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٥)

[5] فى ع : " نعم ! وأين الأوجه فى الدنيا والآخرة ... ".

[معجزات عيسى فى القرآن الكريم]

وفى الكتاب ، الذى جاء به صاحب شريعتك ، أنه أحيا الموتى[1] وكفى بذلك دليلاً على أنه هو الله .

***

[معجزات الحواريين]

ثم أنه أيد بإحياء الموتى بعض الحواريين[2] ، فأحيوا الموتى ، كمثل ما فعل المسيح .

***

---

[1] يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٩)

[2] ورد فى الإنجيل فقرات متعددة ، تشير إلى أن عيسى عليه السلام ، أمر حوارييه أن يقوموا بأفعال خارقة ، كتلك التى أظهرها الله على يديه تأييداً له وإظهاراً لمن أنكر بعثته ، وجحد أنه مؤيد من الله : " **وقال لهم : إذهبوا إلى العالم أجمع ، وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن . وهذه الآيات تتبع المؤمنين. يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة . يحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون**". (مرقس ١٦ : ١٥ — ١٨)

" **ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شئ** " . (لوقا ١٠ : ١٩)

ويبدو من هذه النصوص ، أن عيسى عليه السلام ، لم يشر إلى أنهم يستطيعون إحياء الموتى ، بل إن إيمانهم يعطيهم قوة خارقة ، للسيطرة على الشياطين ، وفى سحق العقارب وهزيمة الأعداء ، وقد يكون ذلك مجازاً لما يستطيع المؤمن القيام به نتيجة زيادة الدفع الإيمانى ، الذى يكمن بين جنباته .

[رسالة المسيح بين المحلية والعالمية]

وأرسلهم المسيح إلى جميع الأجناس (1).

غير أن هناك نصاً فى الإنجيل يشير إلى أن عيسى أرسل حوارييه الإثنى عشر ، وأمرهم – فيما أمرهم به – بإحياء الموتى :

" **هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدنية للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت السموات إشفوا مرضى. طهروا برصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين** " . (متى ١٠ : ٥-٨).

فقوله : " أقيموا موتى " يحتمل أن يكون تعبيراً مجازياً على حد قوله تعالى :

﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ (الأنعام : ١٢٢)

إذن ، ليس هناك فى الأناجيل الأربعة ، نص يدل صراحة ، على أن الحواريين أحيوا الموتى ، لكن جاء فى أعمال الرسل :

" **فقام بطرس وجاء معهما. فلما وصل صعدوا به إلى العلية فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين ويرين أقمصة وثياباً مما كانت تعمل غزالة وهى معهن ، فأخرج بطرس الجميع خارجاً ، وجثا على ركبتيه ، وصلى ، ثم التفت إلى الجسد وقال : يا طبيثا ! قومى ، ففتحت عينيها ، ولما أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها ، ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حية** " (أعمال الرسل ٩ : ٣٩ – ٤١)

ولا يخفى على القارئ أن أعمال الرسل ، تأتى فى مرتبة تلى مرتبة الأناجيل ، فهى ليست وحياً – يتفق فى ذلك علماء المسيحية – ، بل تعبيراً عن رأى كاتبها ، و لم يتفق علماء العقائد المسيحية على حجيتها فى التشريع .

(راجع هذا الموضوع عند ابن حزم : الفصل جـ٢ ص٢٢)

(1) جاء فى إنجيل متى : " .. **فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : دُفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس**" (متى ٢٨ : ١٨-١٩)

وفى إنجيل مرقس : " ...**وقال لهم :إذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها** " .(مرقس ١٦ : ١٥)

وفى إنجيل لوقا : " ... **وقال لهم هكذا هو مكتوب ، وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث. وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم** " (لوقا ٢٤ : ٤٦-٤٧)

ما مدى حجية هذه النصوص :

إن خير إجابة على هذا السؤال ، أن نستعرض بإيجاز ، تاريخ تدوين هذه الأناجيل التي اشتملت على هذه النصوص:

متى : أحد تلاميذ المسيح ، الإثنى عشر ، الذين لازموه ، وعاشوا معه ، وتقول المصادر المسيحية : إنه كتب إنجيله باللغة العبرية ، لليهود ، وقد ضاعت النسخة الأصلية ، و لم يبق إلا ترجمتها اليونانية .

واختلفوا فى تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٣٧ ، أو سنة ٣٨ ، أو سنة ٤١ ، أو سنة ٤٣ ، أو سنة ٤٨ ، أوسنة ٦١ أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد .

غير أن النقاد ينكرون نسبة الإنجيل إلى متى — كما يروى " ول ديورانت " — ، ويرون أنه من تأليف أحد أتباعه ، وقد نسبه إلى الحوارى ، ليقع من الناس موقع الاطمئنان والقبول .

ومما يزيد الشك فى صحة هذا الإنجيل ، أن المصادر المسيحية ، لم تذكر اسم المترجم ، فبين أيدينا كتاب ، لا يعرف على وجه التأكيد اسم مؤلفه ، ثم ضاعت النسخة الأصلية ، ووجدت ترجمتها ، ولا نعرف شيئا عن الشخص الذى ترجمها ، حتى اسمه مجهول لنا ، فكيف يعتمد عليه ؟ و هل يعقل أن نصدق بأن كتابه مقدس ؟

مرقس : ليس من الحواريين ، و لم يجتمع بالسيد المسيح ، وإن عد من السبعين ويقال : إنه بشر بإنجيله فى الإسكندرية ، باللغة اليونانية ، ويختلفون فى تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٦ أو ما بعدها إلى ٦٥، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ ، أو سنة ٦٢ من الميلاد ، كما اختلفوا أيضاً فى نسبة هذا الإنجيل إليه ، فقيل : إن بطرس كتبه رواية عن " مرقس " مع أن بطرس هو رئيس الحواريين ، فكيف ينقل عن شخص ، لم ير المسيح ؟ وبعضهم يشك فى نسبة الباب الأخير إليه .

كذلك اختلفوا فى مولد ، وصناعة مرقس ، فقيل : إنه أنطاكى ولد بأنطاكية ، وقيل : إنه رومانى ولد بإيطاليا . كما قيل : إنه كان طبيباً . وقيل : إنه كان مصوراً .

لكنهم اتفقوا على أنه من تلاميذ " بولس " ورفقائه ، و لم يكن من تلاميذ المسيح ، ولا من تلاميذ حوارييه و " لبولس " : هذا شأن خطير فى صياغة المسيحية ، كما سنعرض له ، بعد أن ننتهى من بيان حال الأناجيل الأربعة .

لوقا : ليس من الحواريين الإثنى عشر ، وإنما من السبعين ، وقد بشر بإنجيله باليونانية. ويعلن لوقا فى مقدمة إنجيله أنه يهدف بتأليفه إلى هداية الكفار ، لا اليهود .

إختلف فى تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٣ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد ، ويشك العلماء فى نسبة بعض الأبواب إليه ، فيقول " وارد كاتلك " : صرح " جيروم " فى مكتوبه ، أن بعض القدماء كانوا يشكون فى بعض الآيات

من الباب الثانى والعشرين ، من إنجيل لوقا ، وبعض القدماء كانوا يشكون فى البابين الأولين ، من هذا الإنجيل. وما كان هذان البابان فى نسخة فرقة " مارسيون " .

واختلفوا فى شخصية لوقا ، وفى القوم الذى كتب لهم هذا الإنجيل ، لكنهم اتفقوا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ، وأنه كان صديقاً " لبولس ".

يوحنَّا : يعتقد جمهور المسيحيين ، أن إنجيل يوحنَّا ، من تأليف الحوارى يوحنَّا بن زيدى الصياد ، ويختلفون فى تاريخ تدوينه ، فيقولون : سنة ٦٨ ، أو سنة ٦٩ ، أو سنة ٧٠ ، أو سنة ٩٧ ، أو سنة ٩٨ من الميلاد.

وينكر المحققون ، نسبة هذا الإنجيل " ليوحنَّا " الحوراى ، ويرون أن كاتبه ، رجل آخر ، يتفق مع الحوارى فى الاسم فقط. ويدعم هذا الرأى ، أن علماء المسيحية فى القرن الثانى الميلادى ، أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنَّا الحوارى ، وسمع ذلك الإنكار " أرينتوس " تلميذ " بوليكارب " الذى هو تلميذ يوحنَّا الحوارى ، فلم يرد عليهم ، بأنه سمع صحة نسب الإنجيل إلى الحوارى من " بوليكارب " .

ومن المستبعد ، أن " أرينتوس " لم يسمع ذلك من " بوليكارب " وهو الذى روى عنه أشياء ، أقل أهمية من ذلك بكثير .

وليس صحيحاً أنه نسى ذلك ، لأنه كان مشهوراً بقوة الحافظة ، فقد روى عنه أن كان يقول : " سمعت هذه الأقوال بفضل الله ، ، بالإمعان التام ، وكتبتها فى صدرى ، لا على الورقة .

كتب " إستادلين " فى كتابه : أن كاتب إنجيل يوحنَّا ، طالب من طلبة الإسكندرية ، بلا ريب .

وقال المحقق " برطشنيدر " : إن هذا الإنجيل كله ، وكذا رسائل " يوحنَّا " ليست من تصنيفه ، بل صنفها واحد فى ابتداء القرن الثانى الميلادى .

أضف إلى ذلك كله ، أن العلماء فى " القرون الأولى من الميلاد ، صرحوا بأن الأناجيل حرفت أكثر من مرة ، فقد كان " سلسوس " — وهو من علماء المشركين الوثنيين — يصيح فى القرن الثانى : بأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات . وأن " فاسنس " — وهو من علماء فرقة مانى — كان يصيح فى القرن الرابع : بأن هذا العهد الجديد ، ما صنفه المسيح ، ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الإسم ، ونسب إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ليتعبره الناس .

ونستخلص من ذلك :

١- نسبة الأناجيل إلى كتابها - " متى " و" مرقس " و " لوقا " و " يوحنّا " - مشكوك فيها .

٢- يكاد يجمع العلماء ، على أن " يوحنّا " الحوارى ، لم يكتب هذا الإنجيل المنسوب إليه ، فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية :

" أما إنجيل يوحنّا ، فإنه لا مرية ، ولا شك كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما القديسان : " يوحنّا " ، " ومتى " ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى الكتاب ، أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة ، على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب ، هو " يوحنّا " الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصًّا ، مع أن صاحبه غير " يوحنّا " يقيناً ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوارة ، التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفسلفى - الذى ألف هذا الكتاب فى القرن الثانى - بالحوارى " يوحنّا " الصياد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى ، لخبطهم على غير هدى .. ".

٣- لم يكن " لوقا " - ولا " مرقس " - من الحواريين الإثنى عشر ، وأغلب الظن أنه لم يكن يهوديًّا ، بل كان صديقاً " لبولس " - كما كان " مرقس " أيضاً - ، وهذا يعطى ضوءاً على ورود النص السابق فى إنجيله ، إذا عرفنا أن الأناجيل قد حرفت ، وبدلت أكثر من مرة ، وأن " بولس " كان المصدر الرئيسى للتشريع المسيحى .

وعليه فيكون من الراجح ، أن مصدر هذا النص ، هو " بولس " ، الذى يقول علماء الأديان عنه : إنه نقل المسيحية من ديانة محلية خاصة باليهود إلى ديانة عالمية " لجميع الأمم " أنظر :

Nölle, unter Paulus and Anwander, unter Apostél

والذى دفعه إلى ذلك ، أنه كان بحكم نشأته وثقافته ومولده ، مهيًّا لأن يلعب هذا الدور ، فقد كان والده مواطناً رومانيًّا ، وورث عنه ابنه " بولس " ، هذا الحق الثمين ، فكان يعيش بين اليهود ، وفى اليهود بهذا الامتياز ، الذى انتفع به فى كثير من مواقفه .

ولا شك أن هذه " الرعوية الرومانية " ، التى كانت ميراثاً فى بيته قد أثرت تأثيراً مباشراً ، وغير مباشر ، فى حياة الأسرة المادية ، والعقلية ، ووثقت الصلة بينها وبين العقلية الرومانية .

لقد عزل بولس المسيح عن اليهود ، وجعله مسيحاً غير " المسيا " الذى ينتظرونه لخلاصهم . وذلك ليستطيع أن يجعل منه الإله ، الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ، وهذا يضمن

وأمرهم بإفشاء أمره. بعد أن كان يشرح[1] لهم شرائعه بنفسه ، ورآه النـــاس بأعينـــهم. وهـــو يتواضع. فوجب عليهم[2] أن يفعلوا كما رأوا خالقهم يفعل .

***

[كيفية الحلول وتعليله]

لأنه عز وجل ، لما كلم العالم على ألسنة أنبيائه ، الذين جعلهم رســـله ووســـائطه[3] إلى خلقه ، ليعلموهم[4] الأقرار بربوبيته ، ولينهوهم عن عبادة الأوثان والأصـــنام[5] ، الفاشـــية ضلالتها فى جميع الأرض ، ولم يمتثلوا لهم ، نزل هو سبحانه ، بعد ذلك من الـــسماء ، لـــيكلم

-

لدعوته ، مجالاً يتحرك بما فيه ، فى الإمبراطورية الرومانية بين الرومان ، والشعوب الخاضعة لدولتهم . (رحمة الله الهندى جـ١ ص٧٦-٨٠ ، ول ديورانت : ج١٢ ص ٢٢٦ ، الخطيب : المسيح .. ص٨٥ وما بعدها)

(1) فى ج : " يدل " وفى ت : " بذل " وفى ع : " بعد أن كان هو يدل ".

(2) فى ج : " فيجب لهم " وفى ع : " فيجب عليهم ".

(3) فى ج : " ووسائله ".

(4) فى ج : " ليعلمهم ".

(5) فى ج ، ت ، ع : " وشرعوا لهم ترك أوثانهم وأصنامهم ".

اضطرب القاموس فى تحديد معنى الوثن والصنم ، ففى باب الوثن نجد : الفرق بين الوثن والصنم ، أن الوثن : كل ما له جثة معمولة ، من جواهر الأرض ، أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمى ، وتنصب فتعبد .

وتحت باب الصنم نقرأ :

الصنم : هو ما اتخذ إلهاً من دون الله ، وقيل هو ما كان له جسم أو صورة ، فإن لم يكن لـــه جـــسم أو صـــورة فهو وثن .

ويحتمل أن يكون سبب هذا الاضطراب ، أن الكلمتين تطلقان على المعنيين ، كما ذهب بعـــض العلمـــاء ، إذ لم يفرقوا بينهما وأطلقوهما على كلا المعنيين .

الناس بذاته ، لئلا تكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حجتهم حينئذ ، من أجل أن كلمهم بذاته ، لا بواسطة بينهم وبينه ، فارتفعت المعاذير عمن ضيع عهده ، بعد ما كلمه بذاته ، إتماماً لرحمته على الناس .

فهبط بذاته من السماء ، والتحم فى بطن مريم العذراء[١] البتول[٢] أم النور ، فاتخذ[٣] [لنفسه] منها حجاباً كما سبق فى حكمته الأزلية ، لأنه البدء كانت كلمة ، والكلمة هو الله ، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس[٤] هو خلق جسمه ، وهو خلق أمه ، وأمه

---

[1] جاء فى إنجيل متى : " **هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ، ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره : الله معنا**" . (متى ١ : ٢٣)

وفى لوقا : " **وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل ، اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم** " . (لوقا : ٢٦-٢٧)

فما معنى كلمة العذراء ؟

فسر علماء اليهود كلمة العذراء ، التى وردت فى كتاب أشعياء : " **ها العذراء تحبل وتلد ابناً ، وتدعو اسمه عمانوئيل** " . (أشعياء ٧ : ١٤)

بأنها المرأة الشابة ، سواء فضت بكارتها أم لا.

وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاثة ، وعليه فيكون متى مخطئاً ، فى نقل نص أشعياء ، لأن المسيح عليه السلام ، لم يدع عمانوئيل إطلاقاً ، والاستدلال به على أن العهد القديم ، قد بشر بالمسيح ، استدلال باطل .

أما علماء الإسلام فيذهبون إلى أن المراد بعذرية مريم ، طهارتها وعفتها ، كما قال القرآن الكريم على لسانها :
﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ . (مريم : ٢٠)

[2] البتول من النساء : المنقطعة عن الرجال ، لا أرب لها فيهم ، وبها سميت مريم ام المسيح . والتبتل : ترك النكاح، والزهد فيه ، والانقطاع عنه .

[3] فى ج ، ع : " فأخذ ".

[4] جاء فى إنجيل " متى " : " **فقال للتلاميذ : إجلسوا ههنا حتى أمضى أصلى هناك . ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب ، فقال لهم : نفسى حزينة جداً حتى الموت** " . (متى ٢٦ : ٣٦-٣٨)

وفى إنجيل " يوحنا " : " **الآن نفسى قد اضطربت** " . (يوحنا ١٢ : ٢٧)

كانت من قبله فى الناسوت ، وهو كان من قبلها فى اللاهوت ، وهو الإله التام ، وهو الإنسان التام[1].

فهذا يبطل ما جاء فى النص " وخالق من طريق النفس " ، إذ نسبة الحزن والاكتئاب إلى النفس ، يدل على أنها مخلوقة ، لا خالقة ، ونسبة الفعل إليها ، وهو (الحزن) يدل على أنه كان له جسد بشرى ، ولا يأتى هذا إلا إذا كانت له نفس مخلوقة ، لها خصائص بشرية ، فصورة الإنسان ، وكذلك أعضاء جسمه ، تكتسب خصائصها من النفس ، إذن من الخطأ القول : بأن هناك فرقاً بين جسد المسيح ، ونفسه ، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر .

ذهب إلى ذلك بعض الفلاسفة ، فقد رأى أرسطو أن الإنسان لديه جوهر واحد كالتمثال تماماً ، فالجسد مادته، والنفس صورته ، وفيه تتحد المادة والصورة إتحاداً جوهريًا ، كما أنه لا يمكن فصل صورة التمثال عن الحجر أو الرخام ، إلا بتحطيم التمثال نفسه . كذلك لا يمكن فصل النفس عن البدن ، إلا بالقضاء على هذا الأخير . ومعنى ذلك أن أرسطو يجزم بأن المادة والصورة يكونان جوهراً واحداً فلا تنفك إحداهما عن الأخرى بحال ما ، ويترتب على هذا أنه ليس من الممكن القول باستقلال النفس عن الجسم ، أو بأن لهذا الأخير وجوداً مستقلاً دونها ، ولذا فالبدن جزء من ماهية النفس ، وكيف يجوز لنا أن نعدها جوهراً مستقلاً ، وهى لا تؤدى وظائفها المختلفة ، إلا إذا استعانت بالجسم على نحو ما ؟ فهى تستخدم الحواس فى الإبصار ، والسمع ، واللمس ، والذوق ، والشم ، وهل لها أن تتخيل ، أو تشتهى أو تغضب ، دون أن تكون على صلة وثيقة بالبدن ؟ (قاسم ص ٦٧ - ٦٨)

[1] بدا " يوحنّا " إنجيله بهذا المقطع : " فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله .. كل شئ به كان وبغيره لم يكن بشئ مما كان. فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس .. والكلمة صار جسداً وحل بيننا " . (يوحنّا ١ : ١-١٤)

فَهِم دعاة المسيحية من هذا النص أن الكلمة هى الله، وأن الله هو الكلمة ، وأن الكلمة قد خلق كل شئ ، وأنه صار جسداً ، وحل بيننا فى شخص المسيح .

ويرد القرآن دعواهم هذه فيقول :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (المائدة : ١٧)

[الصلب كما يراه المسيحيون]

ومن تمام رحمته على الناس ، أنه رضى بإراقة[1] دمه — ، [ليرفع] عنهم [وزور خطيئة آدم]-[2] فى خشبة الصليب ، فمكن اليهود — أعداءه — من نفسه ، ليتم سخطه عليهم ، فأخذوه ، وصلبوه ، وغار[3] ، دمه فى إصبعه ، لأنه لو وقع منه شئ فى الأرض ليبست ، إلا شئ يسير وقع فيها ، فنبت فى موضعه النوار[4] ، لأنه لما لم يكن فى الحكمة الأزلية ، أن لا ينتقم الله من عبده العاصى آدم[5] الذى ظلمه ، واستهان بقدره ، ولم يرد الله الانتقام منه لاعتلاء منزلة السيد وسقوط منزلة العبد .

أراد [الله] أن ينتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم ، بصلب عيسى المسيح ، الذى هو إله مثله[6] .

فصُلِبَ ابن الله عز وجل الذى هو الله ، فى الساعة التاسعة من يوم الجمعة ، صلبته اليهود الملاعين[7] . واليهود تقر أنها صلبته ، وأنتم تنكرون ذلك[8] كفراً منكم ، لأن إنكار الصلب

---

[1] فى ج : " هرق " وفى ت ، ع : " بإهراق ".

[2] زدنا ما بين القوسين المعقوفين وكذلك وضعنا علامة الجملة المعترضة لتفهم العبارة.

[3] غار يغور غوراً : أتى الغور ، وغار الماء : ذهب فى الأرض.

[4] لم تذكر الأناجيل الأربعة أن دمه غار فى إصبعه ، ولم تشر إلى هذا النبت الذى خرج من الموضع الذى وقع فيه شئ من دمه ، ولكن ورد هذا فى الأساطير التى حكيت حول أحداث الصلب .

[5] غفر الله لآدم خطيئته فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (طه : ١٢٢)

لكن المسيحيين يصرون على أن الله لم يغفر له هذه الخطيئة ، ليبرروا اعتقادهم فى أن المسيح قد صُلب تكفيراً لها ، كى يخلص البشرية من وزرها.

[6] فى ت : " الذى هو الله متساو معه ".

[7] إقرأ اخبار الصلب عند " متى " ٢٧ ، و " مرقس " ١٥ ، و " لوقا " ٢٣ ، و " ويوحنَّا " ١٩.

[8] لأن الله يقول فى كتابه الكريم : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء : ١٥٧)

وأنظر مالك بن نبى : ٣١٩ — ٣٢٠

منكم كفر[1] ، من ينكرها فهو كافر ، ولكنكم تعظمون المسيح ، فمن أجل ذلك ارتجى منكم أن يهديكم الله إلى الحق .

* * *

[دعوة القسيس أبا عَبيدة إلى الإيمان بعقيدة المسيحيين فى المسيح]

وما عقائدكم كلها إلا حسنة ، وكان عندكم عدل كثير فى أصل دينكم ، وخير شامل فلو آمنتم بالمسيح وقلتم :

إنه هو الله ، خالق السموات والأرض لكمل إيمانكم ، ولا شك أنك تقرأ التوراة ، والزبور ، والنبوات[2] ، فاعتبر ! فبها شواهد على ذلك كله .

---

[1] فى ج ، ع : " لأن إنكار الصلوبية عندنا كفر "

[2] يطلق اسم التوارة ، على الكتب الخمسة الأولى ، من الكتاب المقدس ، ومعنى التوارة فى اللغة العربية : القانون جاء فى دائرة معارف لاورس تحت كلمة توارة ما يأتى :

" العلم العصرى ، ولا سيما النقد الألمانى ، قد أثبت بعد أبحاث مستفضية فى الآثار القديمة ، وعلم اللغات ، أن التوراة لم يكتبها موسى ، وأنها عمل أحبار ، لم يذكروا اسمهم عليها (أنظر سبينوزا ص ٢٦٥- ٢٧٥) ، ألفوها على التعاقب معتمدين فى تأليفها ، على روايات سماعية قبل أسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ، ليس فيها كل الروايات الإسرائيلية ، لكنها تحتوى فقط ، على إشارات ورموز ، وحكايات ، وأن هجرة مصر ، ما هى إلى قصة وهمية ، أو حادثة رمزية ، ليس لها أدنى أصل حقيقى" .

لئن صح ما قاله العلماء ، من أن موسى لم يكتب التوراة الموجودة بين أيدينا ، فلا يمكننا – نحن المسلمين – أن نتفق معهم ، فى أن هجرة بنى إسرائيل ، قصة خرافية ، لأن القرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، أخبرنا أن يوسف ، وإخواته ، جاءوا إلى مصر (إقرأ سورة يوسف) ، وأن ذريتهم ، خرجوا منها إلى سيناء بزعامة موسى عليه السلام . (إقرأ سورة طه : ٩ -٩٩ ، والشعراء : ١٠-٦٧)

الزبور : الكتاب جَمْعُه زُبَر ، وقد غلب لفظ الزبور على الكتاب الذى أنزل إلى دواد عليه السلام ، فقول تعالى :

﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (النساء : ١٦٣)

[صيغة الصلاة عند المسيحيين]

وصلاتنا [1] أحسن صلاة تقرأ ، وهى هذه :

أبانا الذى أنت فى السماء تقدس اسمك ، وليأت[2] ملكك ، ولكن إرادتـــك فى الـــسماء مثلها فى الأرض .

أعطنا خبزنا ، كفافنا[3] ، واغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن لمن أذنب إلينـــا ، ولا توقعنـــا[4] فى المحن ، وسلمنا من الشرور[5].

أى وأعطينا داوود ، كتاباً خاصًّا ، مزبوراً ، فالزبور بمعنى المزبور ، كالركوب بمعنى المركوب ، وهو المكتـــوب ، وكل كتاب فهو مزبور ، ومنه قول المرئ القيس :

لمـــــن طلـــل أبصـــرته فشجانى   كخـــط زبـــور فى عسيـــب يمانـــى

هل يعتبر الزبور الذى أنزل على داود ، هو المزامير الموجودة فى العهد القديم الذى بين أيدينا ؟ يشك باحثو الأديان فى نسبة المزامير ، إلى داود عليه السلام . (أنظر سبينوزا ص ٣٠٩)

النبوات : هى أخبار أنبياء بنى إسرائيل ، الملحقة بالعهد القديم .

(1) فى ج : صلواتنا .

(2) فى ج : " وات " بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الألف .

(3) فى ج : "المأتم " بدون نقط ، وفى ت : " الملاليم " وساقطة من ع ، فوضعنا كلمة " كفافنا" الواردة فى إنجيـــل " متى " .

(4) فى ج : " توسقنا " بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الواو.

(5) جاءت صيغة الصلاة فى إنجيل " متى " على النحو التالى :

(أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا . ولا تدخلنا فى تجربة . لكن نجنا مـــن الشرير . لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد ، آمين" . (متى ٦ : ٩ -١٣)

وزاد فى ع : " السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئة ، نعم الربك معك ، مباركة أنت فى السماء ، ومبارك هـــو ثمـــرة بطنك يسوع . يا قديسة مريم ، يا والدة الله ، صلى لأجلنا نحن الخطاة ، الآن ، وفى ساعة موتنا. آمين ".

[نزول النور فى بيت المقدس]

فهذه صلاتنا[1] ، [.......][2] وينـــزل الله علينـــا مـــن السمـــاء النـــور فى كل سنة فى

---

[1] فى ج : " صلواتنا " .

[2] زاد فى ع : " تفصيلاً لأركان المسيحية الخمسة ، نوجزها فيما يلى :

(أ) التغطيس ، ذلك أن فى كل كنيسة حوضاً ، يملأه القسيس بالماء ، ويقرأ عليه شيئاً من الإنجيل، ويرمى فيه ملحاً أو شيئاً من دهن البلسان . فإذا أراد أحد اعتناق النصرانية ، يقام له احتفال يحضره بعض الأعيان ، ويتلو فيه القسيس عليه مبادئ المسيحية ، ثم يسأله : هل آمنت بهذا كله ؟ فيقول : نعم ، وحينئذ يأخذ القسيس جزءاً من الماء المذكور ، ويسكبه عليه ، وهو يقول : وأنا أغطسك باسم الأب ، والإبن ، والروح القدس ، ثم يمسح الماء عنه بمنديل ، وينصرف ، وقـــد أصبح مسيحياً .

ويقام هذا الاحتفال لأولاد المسيحيين ، فى اليوم الثامن من ولادتهم ، غير أن أبا الطفل هو الـــذى يجيـــب ســـؤال القسيس ، ولا يمكن أن يعتبر أحد مسيحياً ، إلا بعد أن تقام له هذه الطقوس .

(ب) الإيمان بالتثليث .

(جـــ) الاعتقاد بأن أقنوم الإبن قد التحم بعيسى فى بطن مريم .

(د) الإيمان بالقربان ، وهو الاعتقاد بأن فطيرة من خبز ، إذا قرأ عليها القسيس بعض كلمات ، تصير بعينها جسد المسيح ، كما أنه إذا قرأ على بعض شراب الخمر ، فإنه يصير دم عيسى ، وتجرى طقوس فى الكنيسة ، فبعد أن يتم صنع الفطيرة ، يأمر القسيس بضرب ناقوس الكنيسة ، فيأتى المسيحيون ، ويقفون صفوفاً ، ثم يتقدم القسيس أمام الـــصفوف ويستقبل المشرق ، ويقوم ببعض الطقوس ، ثم يأكلون الفطيرة ، على أنها جسد المسيح ، ويشربون الخمر علـــى أنـــه دم عيسى ، وذلك كما فعل المسيح ليلة القبض عليه كما يزعمون .

(انظر متى ٢٦ : ٢٦-٣٠ ومرقس ١٤ : ٢٢-٢٦ ، ولوقا ٢٢ : ١٩ — ٢٠)

(هـــ) الإقرار بجميع الذنوب للقسيس ، إذ يعتقد المسيحيون أنه لا يمكن دخول الجنة ، إلا بعد الإقرار بالـــذنوب للقسيس .

هذه هى أركان شريعتنا ، ألفها ، واتفق عليها أئمتنا ، وفقهاؤنا فى زمن " قسطنطين " الرومـــانى . ثم أورد نـــص القرار الذى أصدره مجمع " نيقية " وختم ذلك بقوله :

" فهذه هى عقائدنا ، التى أجمعت عليها جميع فرقنا ، واتفقوا على أنه لا يتم لنا عيد ، ولا قربان ، إلا بها ، فانظر ! وتأمل إلى معانيها الشريفة وحكمها العظيمة ، عسى الله أن يهلمك بأسرارها ، فتتخلص مما أنتم عليه من الأباطيل ".

بيت المقدس [١]

***

[مكانة المطران عند المسيحيين]

وقد جعل الله فى أيدى المطارين[٢] ما لم يجعل فى يد أحد ، وذلك أن[٣] كل ما يفعلونه فى الأرض يفعله الله فى السماء ، فإذا أذنبنا ، فهم الذين يقبلون التوبات[٤] ويعفون عن السيئات ، بأيديهم صلاح الأحياء والأموات .

---

[1] يعتقد المسيحيون ، أن قيام عيسى فى القبر ، هو نور إلهى ، أرسله الله إلى البشرية ليهديها إلى " الطريق المستقيم " ، لذلك يحتفلون كل عام بهذه المناسبة ، فى كنيسة القيامة فى القدس ، وتتضمن مراسم الاحتفال إطفاء أنوار الكنيسة ، وإشعال النار فى مكان اتخذوه رمزاً ، لقبر عيسى – فهو المكان الذى دفن فيه كما يزعمون – يشعل المحتفلون الشموع من هذه النار ، ويدخلون بها إلى الكنيسة المظلمة – بعد إطفاء أنوارها – ليضيئوها " بنور المسيح ".

ويعتقد كثير من المسيحيين ، أن هذه النار نزلت عليهم من السماء . بيَّنَ أبو عَبِيدة فى رده على القسيس هذه الخدعة، فليرجع إليها القارئ .

وكان قيصر روسيا – قبل قيام الثورة البلشفية – يرسل كل عام سفينة إلى القدس محملة شموعاً ، لإشعالها من هذه النار ، لتضاء بها كنائس روسيا .

[2] المطران : رئيس الكهنة ، وهو فوق الأسقف ، ودون البطريرك ، جمعها " مطارنة ومطارين ، وتتدرج الألقاب الكهنوتية على النحو التالى :

١- شماس ٢- قسيس ٣- أسقف ٤- مطران

٥- بطريرك ٦- بابا

[3] فى ج : " أنهم " وفى ت : " أن جميع " ، وفى ع : " أنهم كلما يفعلونه"

[4] منحت المجامع الدينية البابا ، سلطات دينية ترفعه إلى مرتبة غفران الذنوب ، فقد قرر مجمع روما المنعقد سنة ١٢١٥م أن الكنيسة البابوية ، تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء .

ومن يملك حق الغفران ، يملك بالتالى حق الحرمان !!!

[ما أورده من شبهات]

وأما دينم ، فقد ألف كثير من أساقفتنا كتباً ، فى الطعن فيـــه[1] ، وذكـــروا صـــاحب شريعتكم ، وحيله ، ووصفوا أشياء .

-

وقد باشر رجال الدين فى الكنيسة ، هذه السلطة وتوسعوا فيها ، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران ، ويـــصدرون قرارات الحرمان ، حتى لو تعلقت بالملوك والعظماء .

وشاع بين المسيحيين أن الله يغفر لمن يرضى عنه آباء الكنيسة ، فانتشرت صكوك الغفران وذاعت ، ومارســتها كل الكنائس ، التى كانت تخضع للكنيسة البابوية ، فكان المذنب يدفع قدراً من المال فى مقابل الحــصول علـــى صـــك مكتوب فيه :

" ربنا يسوع المسيح يرحمك يا ..... (يكتب اسم الذى سيغفر له) ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية المقدســة ، وأنا السلطان الرسولى المعطى لى ، أحلك من جميع القصاصات والأحكام ، والطائلات الكنسية ، التى استوجبتها ، وأيضاً من جميع الإفراط ، والخطايا ، والذنوب التى ارتكبتها ، مهما تكن عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظـــة لأبينا ، الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقذار الذنب ، وكل علامات الملامة ، التى ربما جلبتـــها علـــى نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات ، التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك حديثاً ، إلى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسيين ، أردك ثانية إلى الطهارة ، والبر ، الذين كانا لك عند معموديتك ، حتى أنـــه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب ، الذى يدخل منه الخطأ إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب ، الــذى يــؤدى إلى فردوس الفرج ، وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخـــيرة باســـم الأب ، والإبن ، والروح القدس" .

ويعتمد آباء الكنيسة فى غفران الذنوب ، على النص الذى جاء فى إنجليل يوحنَّا : **" من غفرتم خطاياه تغفر لـــه ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت "** . (يوحنَّا ٢٠ : ٢٣) (أنظر Stohlins. 58 FF ، وشلبى ص ٨ – ٢٩)

أما الإسلام فيبين أن الله وحده ، هو الذى يغفر لمن يشاء ، ولا يمكن لأى إنسان – مهما بلغت مترلته – أن يدعى هذا الحق ، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ :

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (التوبة : ٨٠)

[1] فى ج : " عليكم " وفى ع : " عليه "

فرأينا أنكم لستم على الحق ، وإنما الحق معنا ، ولا فائدة من شريعتكم ، لأنا نجد الأحكام الشرعية حكمين :

***

[الشبهة الأولى]

الأول : الحكم التوراوى ، والذى هو من لطمك فالطمه[1]

الآخر : الإنجيلى الذى هو : من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر[2]

وأنت ترى فضل هذا على الأول ، ثم لا تجد لهذين الحكمين ثالثاً [إلا] كان داخلاً فيهما[3] .

***

[الشبهة الثانية]

وأى دليل يطلب على أنكم [لستم] على الحق ، أكثر من أن يكون مكتوباً فى كتابكم :
﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾[4]

---

[1] لم يرد هذا التعبير فى التوارة ، وإنما ورد فى سفر اللاوين :

" وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيباً ، فكما فعل كذلك يفعل به ، كسر بكسر ، وعين بعين ، وسن بسن ، كما أحدث عيباً فى الإنسان كذلك يحدث فيه " . (اللاويين ٢٤ : ١٩ -٢٠)

[2] جاء فى الإنجيل : **" سمعتم أنه قيل عين بعين ، وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً "** (متى ٥ : ٣٨ - ٣٩)

[3] جاء الرد على هذه الشبهة فى الأصل فلا داعى للتكرار .

[4] النساء : ٣ .

والله قد قال فى التوراة :

" لا يتزوج الرجل إلا امرأة واحدة ، كما كان آدم وزوجته "[1]

---

[1] لا يوجد هذا النص فى التوراة ، بل ورد فيها ما يخالف مفهومه فقد جاء فى سفر التكوين : **"واتخذ لأمك لنفسه امرأتين ، اسم الواحدة عادة ، واسم الأخرى صلة ... وقال لامك لامرأتيه عادة وصلة : إسمعا قولى يا مراتى لأمك وأصغيا لكلامى .. "** . (تكوين ٤ : ١٩ - ٢٣)

كذلك جمع يعقوب بين امرأتين هما : ليئة ، وراحيل . (تكوين ٢٩)

وهذا يدل على أن التعدد كان مباحاً .

بل لم يرد نص فى الإنجيل ، يدل صراحة على أن التعدد حرام ، وإنما يعتمد المسيحيون فى تقييدهم الزواج بواحدة ، على نصوص يؤولونها تأويلاً بعيداً عن مفهومها ، وعن السياق التى وردت فيه ، من ذلك ما نشره أحد القساوسة فى مجلة الفكر الإسلامى (العدد الثانى عشر من السنة الأولى ص ٦٠ - ٦٢) :

" إن تعدد الزوجات هو على نوعين : تعدد الزوجات فى وقت واحد ، وتعدد الزوجات بالتتابع ، فتعدد الزوجات فى وقت واحد ، يقوم بأن يكون الرجل مقترناً بأكثر من امرأة ويعيش معهن فى آن واحد ، بينما تعدد الزوجات بالتتابع ، يقتصر على أن يكون للرجل زوجة واحدة ، ولا يقترن بأخرى ، إلا إذا توفيت الأولى ، أو حل من ارتباطه بها ، فتعدد الزوجات بالتتابع معناه إذن : أن الرجل ليس مقترناً إلا بامرأة واحدة ، والديانة المسيحية ما عرفت قط - وما أمكنها أن تعرف - تعدد الزوجات فى وقت واحد ، ولكنها عرفت تعدد الزوجات بالتتابع ، وهذا لا يسمى تعدد زوجات".

جاء فى الإنجيل المقدس ، أن التلاميذ سألوا السيد المسيح :

" أيحل لأحد أن يطلق إمرأته لأية علة كانت " ؟ فأجاب :

" أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى ، وقال : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ، ويلزم إمرأته ، فيصير الإثنان جسداً واحداً ، لا يفرقن الإنسان ما جمعه الله ". (إنجيل سيدنا المسيح للمقدس متى ، الفصل ١٩ العدد ٤-٧)

لم يقل السيد المسيح :" ويلزم نساءه " ، بل " امرأته " ، أى " للرجل الواحد " " إمرأة واحدة " والإثنان يصيران جسداً واحداً.

والرجل الذى اقترن بامرأة قراناً صحيحاً ، لا يحق له أن يطلقها ، أو يحل الإرتباطات التى بينه وبينها ، ويتزوج إمرأة أخرى ثانية : **" من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى ، ومن تزوج التى طلقها زوجها زنى ".**

(إنجيل سيدنا المسيح للقديس لوقا : الفصل ١٦ العدد ١٨).

كلنا نعلم أن لا زنا من قبل الرجل ، الذى يعيش مع إمرأة ، ومع نساء عقد معها أو معهن زواجاً صحيحاً ، فبما أن الحياة مع إمرأة ثانية ، هو فى الديانة المسيحية زنا ، معناه أن تعدد الزوجات فى آن واحد ممنوع قطعاً هذا ما جاء فى الإنجيل ، وهذا ما نجده بحرفيته فى رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ، حيث قال :

" فالمرأة المتزوجة تربطها الشريعة بالرجل ما دام حيًّا ، فإذا مات حلت من شريعة الزوج ، وإن صارت إلى رجل أخر وزوجها حى عدت زانية ، وإذا مات الزوج تحررت من الشريعة ، فلا تكون زانية وإن صارت إلى رجل آخر" .

(رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ، الفصل ٧ ، العدد ٢ - ٤ ، ورسالته الأولى إلى أهل كورنتس ، الفصل ٧ : العدد ٣٩)

ويقول القديس بولس أيضاً : **" فليكن لكل رجل امرأته ، ولكل امرأة زوجها ، وليقض الزوج امرأته حقها ، وكذلك المرأة حق زوجها" .** (رسالته الاولى إلى أهل كورنتس الفصل ٧ : العدد ٢ — ٣)

وقد رددنا عليه فى نفس العدد بما يلى :

١- جاء فى التوراة فى مواضع متعددة ما يفيد تعدد الزوجات ، وقد أقر القسيس ذلك فى مستهل مقاله .

قال السيد المسيح :**" لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإنى الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم ، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات ، فإنى أقول لكم : إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات " .** (متى ٥ : ١٧ - ٢٠)

ما هو الناموس الذى لم يأت السيد المسيح لنقضه ، إذا لم يكن المقصود به التوراة ؟

ألا يدل قوله " لا يزول حرف واحد .. " إلخ

على أن المراد التوراة ؟

إذن فالمسيحيون ، ملزمون بأحكام التوراة - حسب رأى الأغلبية من علماء الدين - إلا إذا ورد فى الإنجيل ما ينقضها .

وقد ذكر " Stauffer " فى كتابه : " Botschaft " : أن رسالة المسيح كانت أخلاقية ، و لم تكن لسن قوانين وإصدار تشريعات ، ودلل على ذلك بما جاء فى إنجيل لوقا : **" وقال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث ، فقال له : يا إنسان ! من أقامنى عليكما قاضياً أو مقسماً " .** (لوقا ١٢ : ١٣ - ١٤)

ثم – عاد – أى Stauffer – فبين أن عيسى ﷺ شرع " أخلاقيات جديدة " ، وصاحبها إبطال مقابلـــها فى التوراة ، ثم ذكر منها نقطتين ، تتعلقان بموضوعنا :

(١) عقوبة الزان فى التوراة القتل ، كما جاء فى سفر اللاويين . (إصحاح ٢٠.فقرة ١٠ – ١٣)

خالف الإنجيل التوراة فى هذا ، وترك الزانية بدون عقاب. (يوحنا ٨ : ١١)

(ب) أباحت التوراة الطلاق (التثنية ٢٤ : ١) وحرمه الأنجيل (مرقس ١٠ – ١٢).

و لم يذكر "Stauffer " – كما لم يذكر أحد من الباحثين فى المسائل الدينية – أن الإنجيل خالف التوراة فى تعـــدد الزوجات ، ولو كانت هناك فقرة واحدة تفيد هذا صراحة ، لملئت بها صفحات وصفحات ، لبيان مسايرة المـــسيحية فى أصولها ، للإتجاه الأوربى فى مقابل الإسلام .

أما ما أورده من فقرات الإنجيل ، فلا يدل على تحريم تعدد الزوجات ، بل على تحريم الطلاق ، فصيغة الأفراد الـــتى وردت فى إجابة عيسى ﷺ ، جاءت لتماثل صيغة الإفراد فى سؤال التلاميذ ، فلو فرض أن التلاميذ ، وضعوا ســـؤالهم على هذا النحو : " أيحل لأحد أن يطلق نساءه لأية علة كانت ؟ " فلربما أجابهم السيد المسيح : " .. ويلزم نساءه .. "

فالإفراد كان لمطابقة مثيله فى السؤال ، وظروف النص ، تبين بوضوح أنه لتحريم الطلاق ، ولا يفهم منـــه تحـــريم التعدد إلا بتأويل متعسف .

أما الفقرة الثانية : " **من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى ،ومن تزوج التى طلقها زوجها زنى** ".

إذا فهم تحريم التعدد من الجملة الأولى ، فلن يفهم من الثانية ، لأنه ربما يكون الرجل ، الذى تزوج المطلقـــة لـــيس معدداً ، لأنها بالنسبة له زوجة أولى ، فلم كان زانياً ؟ فهو لم يعدد ..

كان زانياً ، لأنه دخل بإمرأة ، لا زالت فى عصمة آخر ، لأن الطلاق لم يعترف به ، لا لأنه عدد الزوجات .

إذن فملابسات النص بأكمله تصرفه إلى تحريم الطلاق .

وقول القديس بولس لا يدل على تحريم تعدد الزوجات ، إلا إذا صيغ على الوجه التالى :" فليكن لكل رجل امرأة ولكل امرأة زوج".

ولا يخفى الفرق بين التعبيرين .

إذا كان تحريم الكنيسة تعدد الزوجات ،لا يستند إلى نص صريح فمن أين جاء ؟

ونجد إجابة هذا السؤال فيما نقله الدكتور عبد الواحد وافى فى كتابه : " قصة الزواج والعزوبة فى العالم " ص ٥٧ عن " Westermarck " بقوله :

[الشبهة الثالثة]

وكتب فى كتابكم[١] أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً ، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره[٢].

" .. وقد أخذ بهذا النظام (الزوجة الواحدة) كثير من المجتمعات الإنسانية قديمها وحديثها ، متحضرها ، وبدائيها وساد على الأخص فى العصور القديمة عند قدماء اليونان والرومان ، ويسير عليه فى هذا العصر جميع الأوربيين ، وسلالاتهم بأمريكا واستراليا وغيرهما ، وقد جعلته المسيحية المثل الأعلى للزواج ، وإن لم يرد فى الإنجيل نص صريح يدل على تحريم تعدد الزوجات ، وإذا كان قدامى المسيحيين قد ساروا على نظام وحدة الزوجة ، فما ذاك إلا.لأن معظم الأمم الأوربية التي انتشرت فيها المسيحية فى أول الأمر كانت تقاليدهم تحرم تعدد الزوجات ، وقد سارت بعد اعتناقها المسيحية على ما وجدت عليه آباءها من قبل ، فلم تكن وحدة الزوجة لديها نظاماً طارئاً ، جاء به الدين الجديد الذى دخلت فيه ، وإنما كان نظاماً قديماً ، جرى عليه العمل فى وثنيتها الأولى" .

تلك هى سياسة الكنيسة فى نشر عقائدها ، تحرم وتحلل ، لترغيب الناس فى اعتناق المسيحية ، ثم يصير ما حللته ، أو حرمته - بمرور الزمن - شريعة ، تدافع عنها الأجيال اللاحقة ، كأنه منزل من السماء ، ولم يكن سوى تحريفاً لشريعة الله .

ولم تكف الكنيسة عن اتباع هذا الأسلوب إلى اليوم ، فهى تغض الطرف عن تعدد الزوجات بين المسيحيين فى إفريقيا ، حتى القسيس فى الكنيسة الإفريقية ، تُجَوِّز له أن يتزوج أكثر من امرأة ، بينما يحرم هذا على زميله فى أوروبا ، فأيهما المسيحية ، أتحريم التعدد على المسيحيين فى أوربا ، أم جوازه لشركائهم فى العقيدة فى إفريقيا ؟

لا نجد عندهم جواباً سوى أنهم أحلوا تعدد الزوجات فى إفريقيا ، ليكسبوا أتباعاً ، وإلا خسروا المعركة أمام الإسلام ، لأن عادة الإفريقيين التعدد ، والإسلام يبيحه ، فإذا هم تمسكوا بتحريمه ، فلن يعتنق أحد المسيحية فى إفريقيا إلا نادراً .

[١] فى ت : " وكذلك عندكم "

[٢] يشير إلى قوله تعالى :

﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ

والله قد قال فى التوراة:

" من طلق امرأته ، ثم أحب مراجعتها ، فهى تحل له ، ما لم يتزوجها[1] رجل آخر[2].

***

[الشبهة الرابعة]

وكتب فى كتابكم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾[3]

زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠]

[1] فى ع ، ج : " يمسها ".

[2] نص ما جاء فى التوارة هو : **" إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة فى عينيه ، لأنه وجد فيها عيب شئ ، وكتب لها كتاب طلاق ، ودفعه إلى يدها ، وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر ، فإن أبغضها الرجل الأخير ، وكتب لها كتاب طلاق ، ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ، أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة ، لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها ، لتصير له زوجة بعد أن تنجست ، لأن ذلك رجس لدى الرب ، فلا تجلب خطية على الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيباً ".**

(التثنية ٢٤ : ١-٤)

فأى فضل فى هذا على ما جاء فى القرآن الكريم ؟

أليس فيه تضييقاً على المرأة ، فى أن تحيا حياة طبيعية فى المجتمع دون حرج ، ما دامت ملتزمة حدود الآداب ، ومتبعة لأحكام الشريعة ؟

إن من غير المعقول عقلاً ، أن يحكم على المرأة بالنجاسة ، إذا تزوجت رجلاً آخر !!!

ولماذا لم تتنجس باتصالها بالرجل الأول ، فتحرم على الثانى ؟

إن ذلك تحريف لشريعة الله !!!

[3] التوبة : ١١١

وقد قال الله فى التوراة:

(لا يكون قتال بين بنى آدم ، فإن القاتل والمقتول فى النار)[1]

وليس العجب من هذا ، فإن الذى ذكرته[2] لك فى كتابك من الأحكام ، يمكنك أن تحتج فيــه بالنسخ ، الذى هو مقدمة من مقدمات أصل شريعتك.

وإنما العجب من قوله مخبراً : " وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل " ، وما فى التوراة والإنجيل إلا ضد ذلك[3]

---

[1] لم يرد هذا النص فى التوراة ، بل ورد ما يفيد أن الله أمر موسى عليه السلام ، ألا يهادن الخارجين عن عبادة الله ، بل يهدم مذابحهم ، ويكسر أصنامهم :

" احفظ ما أنا موصيك اليوم ! ها أنا طارد من قدامك الأموريين ، والكنعــانيين ، والحثــيين ، والفــرزيين ، والحويين ، واليبوسيين ، احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها ، لــئلا يــصيروا فخًــا فى وسطك ، بل تهدمون مذابحهم ، وتكسرون أنصابهم ، وتقطعون سواريهم ". (خروج ٣٤ : ١١-١٣)

وجاء فى سفر العدد ، أن الرب أمر موسى ، أن ينتقم لبنى إسرائيل من المديانيين : **" وكلم الرب موسى قــائلاً : انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين " .** (العدد ٣١ : ١)

فاختار موسى إثنى عشر ألفاً ، وأرسلهم إلى مديان ، كما أمر الرب ، فقتلوا كل ذكر ، وسبوا النساء ، والأطفال ، وأخذوا أموالهم غنيمة. (انظر العدد ٣١ : ٣ -٥٤)

[2] فى ت : " الذى ذكرت "

[3] إنكار القسيس ورود هذا فى التوراة واضح البطلان ، فقد جاء فى التوراة ، التي بين أيديهم (وهى المشكوك فى صحتها) ما يفيد أن الله رضى بما قام به إسرائيل فى حرب العمالقة : **" فقال الرب لموسى : أكتب هــذا تــذكاراً فى الكتاب ، وضعه فى مسامع يشوع ، فإنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء ، فبنى موسى مذبحاً ، ودعا اسمــه يهوه نسى ، وقال إن اليد على كرسى الرب ، للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور " .**(خروج ١٧ : ١٤ - ١٦)

ومن يرضى عنه الله ، يدخله الجنة ، جزاء ما قام به ، وهو هنا حرب العماليق .

أما الإنجيل الموجود بين أيدينا ، فقد جاء بالمتناقضات حول هذا الموضوع ، فبينما يقول : **" أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم " .** (متى ٥ : ٤٤)

نطالع بعد قليل قوله : **" لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً ".** (متى ١٠ : ٣٤)

[الشبهة الخامسة]

والعجب أيضاً من قوله عن مريم أم المسيح :

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [1]

وقال عنها فى موضع آخر :﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[2]

وليست أم المسيح بأخت هارون ، ولا بابنة عمران ، وإنما اسم أبيها يؤاخيم[3] ، فتوهمتم أنها ابنة عمران ، التى كانت أخت موسى وهارون[4] .

---

[1] التحريم : ١٢

[2] مريم : ٢٨

[3] فى ج ، ت : " يعقيم ".

لم تذكر الأناجيل اسم أبيها ، وإنما جاء فى الأساطير أنه " Joachim " (يؤاخيم) وأمها " Anna " (أنا) (أنظر Mensching " ص ١٩ – ٢٢).

[4] ورد فى التوراة : " **وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له ، فولدت له هارون وموسى** ". (خروج ٦ : ٢٠)

" **واسم أمرأة عمران يوكابد بنت لاوى التى ولدت للاوى فى مصر ، فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم أختهما** " (عدد ٢٦ : ٥٩)

ويرجح الباحثون أن زمن وجود موسى وهارون كان ١٥٠٠ قبل الميلاد.

فما هو عمران المذكور فى قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران:٣٥]

لقد عرف فى التاريخ رجلان بهذا الإسم:

(١) عمران والد موسى وهارون ، وهو : عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

(ب) عمران بن ماثان والد مريم ، وكان من نسل سليمان بن داود بن نسى ، وهم من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، وهو المذكور فى آية آل عمران المذكورة سابقاً .

إذن ، فكيف نفسر وصف القرآن الكريم لمريم بأنها أخت هارون ، وبينهما خمسة عشر قرناً تقريباً ؟

ذكر العلماء فى تفسير قوله تعالى : " يا أخت هارون " أربعة أقوال :

الأول : أنه رجل صالح من بنى إسرائيل ، ينسب إليه من عرف بالصلاح ، والمراد أنك كنت فى الزهد كهارون ، فكيف صرت هكذا ، وهو قول قتادة ، وكعب ، وابن زيد ، والمغيرة بن شعبة ، ويروى أن هارون الصالح هذا ، لما مات تبع جنازته أربعون ألفاً ، كلهم يسمون هارون تبركاً به وباسمه !!

[الشبهة السادسة]

وقال أيضاً فى كتابكم عن إبليس : أن الله أسقطه من السماء إلى الأرض ؛ لما أبى أن يسجد لآدم[١].

وقال فى التوراة : إنه أسقط إبليس من السماء ، قبل أن يخلق آدم [٢] لأنه أراد أن يجعل نفسه نداً لله ، واعتز على الملائكة ، فقال لهم : أنا من نار ، ولا خالق ، فاجعلوا لى كرسيًّا ، أكون عليه شبه العلى .

فلم يتم قوله ، حتى أسقطه الله من السماء إلى خزى الدنيا هو وجميع أصحابه الذين أضلتهم[٣] الفكرة الرديئة .[٤]

الثانى : أنه أخو موسى عليه السلام ، وعن النبى ﷺ إنما هو هارون النبى ، إذ كانت من أعقابه ، وإنما قيل يا أخت هارون كما يقال : يا أخا همدان ، أى يا واحداً منهم .

الثالث : كان رجلاً مشهوراً بالفسق ، فنسبت إليه بمعنى التشبيه ، لا بمعنى النسبة .

الرابع : كان لها أخ يسمى هارون ، من صلحاء بنى إسرائيل ، فذكرت به ، وهذا هو الأقرب لوجهين :

(أ) أن الأصل فى الكلام الحقيقة : وإنما يكون ظاهر الآية محمولاً على حقيقتها ، لو كان لها أخ يسمى بهارون.

(ب) أنها إذا أضيفت إليه ، ووصف أبواها بالصلاح ، حينئذ يصير التوبيخ أشد ، لأن من كان حال أبويه وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أفحش . (الرازى ج ٢١ ص ٢٠٧-٢٠٨)

[١] يشير إلى ما جاء فى الأعراف ١١ —١٨ ، الحجر ٣٠ — ٤٣ ، وسورة ص ٧١ — ٨٥ .

[٢] سقط من ت : " من السماء إلى الأرض ، لما أبى أن يسجد لآدم ، وقد قال فى التوراة : إنه أسقط إبليس ..

[٣] فى ج ، ع : " داخلتم "

[٤] لم ترد كلمة " إبليس " فى العهد القديم ، وما اشتهر فى قصة الخطيئة ، أنه أغوى حواء ودفعها إلى الأكل من الشجرة ، فلم تذكره التوراة إلا فى صورة حوار بين حواء والحية . (تكوين ٣ :١ — ١٥)

وإذا بحثنا عن الكلمة المرادفة ، وهى " الشيطان " ، نجد أن كاتب سفر أيوب هو أول من ذكرها : **" وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم ، فقال الرب للشيطان : من أين جئت " ؟.** (أيوب ١ : ٦ — ٧)

أثر سفر أيوب على العقلية اليهودية ، فاعتقدت فى وجود :

- طبيعة خيرة ، وتتمثل فى الملائكة الذين أطلق عليهم سفر أيوب " بنو الله " .
- طبيعة شريرة ، وتتمثل فى الشيطان كما جاء فى نفس السفر .
- طبيعة الإنسان (وأيوب رمز لها) .

والشيطان وأعوانه ، يعملون ضد الإنسان ، بينما الملائكة تدافع عنه أمام الله وتقف فى صفه ، بل تحارب الشيطان وأعوانه ، لتخلص الإنسان منه ، ولتحفظ ملك الله خالصاً له .

ويرجح علماء الأديان أن كاتب سفر أيوب ،كان واقعاً تحت تأثير المعتقدات الزرادشتية ، التى انتشرت بين اليهود أثناء وجودهم فى بابل ، إذ أن زرادشت يؤمن بالثنائية :

- قوى الخير .
- قوى الشر .

وبأن الصراع قائم بينهما (انظـر " Van Glasenapp " ص ٢٩٩) نسج أحبار اليهود الأساطير ، حول الصراع بين الله والشيطان ، وتناقلوها جيلاً بعد آخر إلى أن صاغها كاتب رؤيا يوحنّا اللاهوتى ، حيث قال :

" وظهرت آية عظيمة فى السماء امرأة متسربلة بالشمس ، والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من إثـنى عشر كوكباً ، وهى حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد ، وظهرت آية أخرى فى السماء هو ذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون ، وعلى رؤوسه سبعة تيجان وذنبه يجر ثلث نجوم السماء ، فطرحها إلى الأرض ، والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها ، ومتى ولدت فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد ، واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه ، والمرأة هربت إلى البرية ، حيث لها موضع من الله ، لكي يعولوها هناك ألفاً ومئتين وستين يوماً ، وحدثت حرب فى السماء ميخائيل وملائكته ، حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته ، ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء ، فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله ، طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته ، وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً فى السماء : الآن صار خلاص إلهنـا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه ، لأنه قد طرح المشتكى على إخوتنا الذى كان يشتكى عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً".

(رؤيا يوحنّا اللاهوتى ١٢ : ١-١٠)

ومن هذا نتبين أن القسيس اعتمد فى رأيه على ما كتب فى رؤيا يوحنّا اللاهوتى ، التى هى تعبير عن الأسطورة التى شاعت بين اليهود ، وقد سبق أن بينا أن نسبة الرؤيا إلى يوحنّا ، إفتراء وكذب عليه ، وأن المحقق " برطشنيد " يـرى أن

[الشبهة السابعة]

وأنتم تقولون : إن فى التوراة والإنجيل والزبور والنبوات خللاً[1] كثيراً[2] ، وأننا قد زدنا فيها ونقصنا وهذا من كفركم ، وليس معكم على ذلك دليل ، ولا هو مكتـــوب أيــضاً[3] فى الكتاب الذى جاء به صاحب شريعتكم ، وإنما هو كلام قلتموه أنتم[4].

كاتبها رجل آخر غير يوحنَّا الحوارى ، صنفها فى ابتداء القرن الثانى الميلادى ، وذلك يجعلنا نضرب بها عرض الحـــائط ، فهى لا تخرج عن كونها أسطورة ، ومن شأن الأساطير إلباس الحق الباطل ، فجاء القرآن الكريم – وهو الكتاب المقـــدس الوحيد ، الذى حفظ من عبث الرواة – مبيناً ما خلطوا ، وموضحاً ما ألبسوا : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَـــالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَـــةُ كُلُّهُـــمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْـــتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِـــينٍ (٧٦) قَـــالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة ص: ٧١ - ٧٧]

[1] فى ت : " فسادا" .

[2] ورد فى الإنجيل نصوص كثيرة متناقضة ، ذكر المؤلف بعضاً منها فى رده على رسالة القسيس .

أما النصوص المتناقضة فى التوراة ، والزبور ، و النبوات فعديدة ، ويستطيع القارئ أن يطالع طائفة منها ، فى كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ج ٢ ص ٣-٧ ، ص ١٣ -١٩ وفى إظهار الحق ، لرحمة الله الهنـــدى ج١ ص ٨٧ - ١٧٢.

[3] فى ج ، ع : " ولا أيضاً هو مكتوب" .

[4] يرى بعض العلماء أنه لم يرد فى القرآن الكريم نص صريح يفيد – على سبيل القطع – أن الكتـــب الـــسماوية (التوراة ، الزبور ، الإنجيل) قد حرفت أو بدلت .

وما جاء فيه حول هذا الموضوع يحتمل أكثر من وجه ، ولهذا سنذكر هنا أوضح الآيات دلالة على التحريف ، ثم نذكر عقب كل آية ، ما قاله أئمة المفسرين فى عصور الإسلام الأولى ، وسوف يقتضى هذا المنهج إسهاباً – بل وتكراراً أحياناً – اضطررنا إليه ، كى تتضح الصورة أمام القارئ .

(أ) قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٧٥]

" إعلم أنا إن قلنا ، بأن المحرفين ، هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام ، فالمحرف هو التوراة ".

وكيف؟

" روى أن قوماً من السبعين المختارين ، سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ، وما أمر به موسى ، وما نهى عنه ثم قالوا : سمعنا الله يقول فى آخره : إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء ، فافعلوا ، وإن شئتم ألا تفعلوا فلا بأس ، وأما إن قلنا : المحرفون هم الذين كانوا فى زمن محمد ﷺ ، فالأقرب أن المراد تحريف أمر محمد ﷺ ، وذلك أنهم حرفوا نعت الرسول وصفته ، أو أنهم حرفوا آية الرجم ، وظاهر القرآن لا يدل على أنهم أى شئ حرفوا ... وعن ابن عباس : أنهم زادوا فيه ونقصوا".

(الرازى جـ١ ص ١٣٥)

أما الطبرى فيروى قولين فى التحريف :

- المحرف هو التوراة ، وهو رأى السدى .

- المحرف هو ما سمع من النبى ﷺ وهو رأى الربيع .

- ثم يقول - أى الطبرى - وأولى التأويلين ، ما قاله الربيع بن أنس ، والذي حكاه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم ، من أن الله تعالى ذكره ، إنما عنى بذلك من سمع كلامه من بنى إسرائيل ، سماع موسى إياه ، ثم حرف ذلك وبدل ... فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم ، أحرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق ، وهم لا يسمعون من الله ، وإنما يسمعون منكم.

(الطبرى جـ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨)

(ب) قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

(البقرة : ١٤٦)

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران : ٧١)

قال مجاهد : " ليكتمون الحق وهم يعلمون " : يكتمون محمداً ﷺ ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم ، فى التوارة والإنجيل .

(الطبرى ج ٣ ص ١٤٦)

أما الرازى فيقول : لبس الحق بالباطل ، يحتمل هنا وجوها :

أحدها : تحريف التوارة ، فيخلطون المنزل بالمحرف ، وهو رأى الحسن وابن زيد .

ثانيها : أنهم تواضعوا على إظهار الإسلام أول النهار ، ثم الرجوع عنه فى آخر النهار ، تشكيكاً للناس ، وهـــو رأى ابن عباس وقتادة .

ثالثها : أن يكون فى التوراة ، ما يدل على نبوته ﷺ ، من البشارة والنعت ، والصفة ، ويكون فى التوراة أيضاً ما يوهم خلاف ذلك ، فيكون كالمحكم ، والمتشابه ، فيلبسون على الضعفاء أحد الأمرين بالآخر ، كما يفعله كثير مـــن المشبهة ، وهذا قول القاضى .

رابعها : أنهم كانوا يقولون : إن محمداً معترف بأن موسى عليه السلام حق ، ثم إن التوراة دالة على أن شرع موسى عليه السلام لا ينسخ ، وكل ذلك القاء للشبهات (الرازى ج ٩٨ -٩٩).

(جــ) وقال تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران :٧٨)

وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب:

عن مجاهد : يحرفونه

وعن قتادة : هم أعداء الله اليهود ، حرفوا كتاب الله ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله .

وعن ابن عباس: هم اليهود ، وكانوا يزيدون فى كتاب الله ، ما لم ينزل الله . (الطبرى جـــ ٦ ص ٥٣٦)

أما الرازى فيقول : " كيف يمكن إدخال التحريف فى التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس ؟

الجواب : لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ، ثم إنهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام ، وعلى هذا التقدير ، يكون هذا التحريف ممكناً . والأصوب عندى فى تفسير الآية وجه آخـــر ، وهـــو أن الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ ، كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر ، وتأمل القلب ، والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة المشوشة ، والإعتراضات المظلمة ، فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين ، واليهود كانوا يقولون : مـــراد الله من هذه الآية ما ذكرناه لا ما ذكرتم ، فكان هذا هو المراد بالتحريف ، ولى الألسنة " (الرازى جـــ ٨ ص ١١٤)

(د) وقال تعالى:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾
(النساء : ٤٦)

تناول الرازى – عند تفسير هذه الآية – كيفية التحريف ، فذكر أنها تحتمل وجوهاً : أحدها أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر ، مثل تحريفهم اسم "ربعة" عن موضعه فى التوارة بوضعهم " آدم طويل " مكانه ، ونحو تحريفهم " الرجم " بوضعهم " الحد " بدله .

ونظيره قوله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾
(البقرة : ٧٩)

وإن قيل : كيف يمكن هذا فى الكتاب ، الذى بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور فى المشرق والغرب ؟

قلنا : لعله يقال : القوم كانوا قليلين ، والعلماء بالكتاب كانوا فى غاية القلة فقدروا على هذا التحريف .

الثانى: أن المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة ، وتحريف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية ، كما يفعله أهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم وهذا هو الأصح . .

الثالث: أنهم كانوا يدخلون على النبى ﷺ ، ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به ، وإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه .
(الرازى جـ ١٠.ص ١١٧ – ١١٨)

(هـ) وقال تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾
(المائدة : ١٣)

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : وجعلنا قلوب هؤلاء الذين نقضوا عهودنا من بنى إسرائيل قاسية ، منزوعاً منها الخير ، مرفوعاً منها التوفيق ، فلا يؤمنون ولا يهتدون ، فهم لنزع الله ﷻ التوفيق من قلوبهم ، والإيمان ، يحرفون كلام ربهم ، الذى أنزله على نبيهم موسى ﷺ ، وهو التوراة ، فيبدلونه ، ويكتبون بأيديهم غير الذى أنزله الله ﷻ على نبيهم ، ثم يقولون لجهال الناس : " هذا هو كلام الله الذى أنزله على نبيه موسى ﷺ ، والتوراة التى أوحاها إليه " .

كما حدثنى المثنى عن إبن عباس : " يحرفون الكلم عن مواضعه " يعنى : حدود الله فى التوراة ، ويقولون : إن أمركم محمد بما أنتم عليه فاقبلود ، وإن خالفكم فاحذروا .
(الطبرى جـ ٦ ص ١٢٨ –١٢٩)

وقال الرازى " .... ثم إنه تعالى ذكر بعض ما هو من نتائج تلك القسوة فقال :" يحرفون الكلم عن مواضعه " ، وهذا التحريف ، يحتمل التأويل الباطل ، ويحتمل تغيير اللفظ ، وقد بينا فيما تقدم ، أن الأول أولى ، لأن الكتاب المنقول بالتواتر ، لا يأتى فيه تغيير اللفظ ". (الرازى جـ ١١ ص ١٧٧)

(و) وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ (المائدة : ٤١)

" وكان تحريفهم حكم الله تعالى ، الذى أنزله فى التوراة فى المحصنات والمحصنين من الزنا بالرجم ، إلى الجلد ... يقولون ليهود المدينة : " إن أوتيتم هذا الجلد ، فخذوه ، وإن لم تؤتوه ، فاحذروا الرجم ".

(الطبرى ج ١٠ص ٣١٣ - ٣١٥)

وجاء فى تفسير الرازى : " **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** " أى من بعد أن وضعه الله مواضعه ، أى فرض فروضه وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، قال المفسرون : إن رجلاً وامرأة من أشراف خيبر زنيا ، وكان حد الزنا فى التوراة الرجم ، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما ، فأرسلوا قوماً إلى رسول الله ﷺ ليسألوه عن حكم الزانيين إذا أحصنا ، وقالوا : إن أمركم بالجلد فاقبلوه ، وإن أمركم بالرجم فاحذروه ، ولا تقبلوا ، فلما سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، نزل جبريل بالرجم ، فأبوا أن يأخذوا به ، فقال جبريل عليه السلام : إجعل بينك وبينهم " ابن صوريا " ، فقال الرسول : هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور ، يسكن فدك ، يقال له ابن صوريا ؟ قالوا : نعم ، وهو أعلم يهودى على وجه الأرض ، فرضوا به حكماً ، فقال له رسول الله ﷺ : أنشدك الله الذى لا إله إلا هو ، الذى فلق البحر لموسى ، ورفع فوقكم الطور ، وأنجاكم ، وأغرق آل فرعون ، والذي أنزل عليكم كتابه ، وحلاله وحرامه ، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن ؟ قال ابن صوريا : نعم ، فوثبت عليه سفلة اليهود ، فقال : خفت إن كذبته أن يترل علينا العذاب ... إذا عرفت القصة ، فنقول : قوله " يحرفون الكلم عن مواضعه " ، أى وضعوا الجلد مكان الرجم ، وقوله :" يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا " أى إن أمركم محمد بالجلد فاقبلوه ، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا".

(الرازى ج١١ ص ٢٣٢ - ١٣٣)

ونستنتج مما تقدم - ضاربين الصفح عن فحص الروايات التي وردت فى التفسير ، حتى لا نطيل على القارئ أكثر من هذا -أن العلماء اختلفوا فى مفهوم التحريف :

- فالحرف هو ما سمع من النبى ﷺ .
- أو المحرف هو التوراة.

ثم تشعب الإتجاه الثانى إلى آراء :

- حرف اليهود التوراة بالزيادة والنقص فيها .
- أو وضعوا لفظاً مكان آخر .

أو فهموا من النص معنى لا يستقيم مع منطوق اللفظ ، فأولوه تأويلاً باطلاً بعيداً كل بعد عما يدل عليه مفهوم النص ، ويرى الرازى أن هذا الرأى هو الأصح .

• • •

اهتم علماء الأديان ، والباحثون فى علوم اللاهوت ، بدراسة الكتب المقدسة تاريخيًا ومنهجيًا ، ومن أهم النتائج ، التى توصل إليها بعضهم ، الشك فى نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام ، إما لتأخر تدوينها عن عصره ، أو للمعلومات الخاطئة والصور المهزوزة ، التى يشتمل عليها النص ، الموجود بين أيدينا ، وكتب فى ذلك كثير من علماء المسلمين (راجع : رحمة الله الهندى جـ١ ص ٢١٧ - ٣٣٦) ، ورجال اللاهوت المسيحيين واليهود ، والمقام يحتم علينا الإستشهاد بما قاله غير المسلمين ، فهو أبلغ فى الدلالة ، وأوقع فى نفس السامع ، فاخترنا مقولة فليسوف يهودى ، درس علم اللاهوت ، وعلم الكلام ، بجانب دراسته الفلسفية ، ألا وهو "سبينوزا ".

يرى " سبينوزا " : أن الجميع - تقريباً - يعتقدون أن موسى قام بتدوين الأسفار الخمسة - أى التوراة - الموجودة بين أيدينا ، " بل إن الفريسيين أيدوا هذا الرأى بإصرار شديد ، حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين ، ولهذا السبب ، فإن ابن عزرا - (هو إبراهيم بن عزرا ولد سنة ١٠٩٢ أو سنة ١٠٩٣ وتوفى فى غرناطة سنة ١١٦٧ وهو عالم وشاعر ، يبدو أنه أول شارح للتوراة ، شك فى نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى) (S. Nolle S. 20) - لم يجرؤ على الإفصاح عن ذلك صراحة ، واكتفى بالإشارة إليه ، بألفاظ مبهمة ، أما أنا - أى سبينوزا - فلن أخشى توضيحها ، وإظهار الحق ناصعاً . هذه هى أقوال ابن عزرا فى شرحه على "التثنية " .

- فيما وراء نهر الأردن . ألخ
- لو كنت تعرف سر الإثنى عشرة ...
- كتب موسى شريعته أيضاً ...
- وكان الكنعانى على الأرض ...

- سيوحى به على جبل الله ...
- ها هو ذا سريره ، سرير من حديد .
- حينئذ تعرف الحقيقة .

هذه الكلمات القليلة يبين ، ويثبت فى الوقت ذاته ، أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة ، بل إن مؤلفها شخص آخر ، عاش بعده بزمن طويل ، وأن موسى كتب سفراً مختلفاً ، وللبرهنة على ذلك يذكر :

١- أن موسى لم يكتب مقدمة التثنية ، لأنه لم يعبر نهر الأردن .

٢- نقش سفر موسى كله بوضوح تام ، على حافة مذبح واحد (انظر التثنية ، يشوع ٨ : ٣٢) ، يتكون من اثنى عشر حجراً ، حسب عدد الأحبار ، وينتج عن ذلك أن سفر موسى ، كان فى حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة ، وهذا ما يقصد إليه المؤلف بقوله :" سر الإثنى عشرة .." .

٣- كذلك ذكر ، أنه قد ورد فى التثنية (٣١ : ٩) : " **وقد كتب موسى هذه التوراة** "

ويستحيل أن يكون موسى ، قد قال ذلك ، بل لابد أن يكون قائلها كاتب آخر ، يروى أقوال موسى وأعماله .

٤- يذكر هذا النص من التكوين (١٢ : ١) ، وفيه يقص الراوى رحلة إبراهيم ، فى بلاد الكنعانيين ، ويضيف :

" **والكنعانيون حينئذ فى الأرض** ".

وهذا يدل بوضوح على أن الأمر لم يعد كذلك ، عندما كان يكتب ، فلا بد أن هذه الكلمات ، قد كتبت بعد موت موسى ، وبعد أن طرد الكنعانيون و لم يعودوا يشغلون هذه المناطق .. لأن الكنعانيين فى زمان موسى ، كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض .

٥- يذكر أنه جاء فى التكوين (٢٢ : ١٤) : أن جبل موريا ، سمى جبل الله .

و لم يحمل هذا الإسم ، إلا بعد الشروع فى بناء المعبد ، وهذا الاختيار متأخر عن موسى فى الزمان ، والواقع أن موسى لا يشير إلى أى مكان اختاره الله ، بل إنه تنبأ ، بأن الله سيختار بعد ذلك مكاناً ، سيطلق عليه اسم الله .

٦- وأخيراً يذكر أن التثنية " الإصحاح ٣ " تدخل بعض الكلمات فى الرواية الخاصة بعوج ملك باشان :

" ولقد بقى عوج ملك باشان وحده ، من بين العمالقة الآخرين ، وها هو سريره ، سرير من حديد ، هذا السرير الذى طوله ، تسعة أذرع ، الموجود فى الربة عند أطفال آمون ... " إلخ .

هذه الإضافة تدل بوضوح تام ، على أن من كتب هذه الأسفار ، عاش بعد موسى بمدة طويلة ، طريقته فى الحديث عن الأشياء ، طريقة مؤلف يروى قصصاً قديمة جداً ، ويذكر بعض الآثار التى ما زالت باقية من هذا الزمن البعيد ،

ليجعل كلامه موثوقاً به ، وفضلاً عن ذلك فلا شك أنه لم يعثر على السرير الحديدى إلا فى عصر داود الذى استولى على الربة ، كما يروى صموئيل الثانى (١٢ : ٢٩) ... وهكذا شرحنا فكر ابن عزرا ، وكذلك نصوص الأسفار الخمسة ، التى ذكرها ، لكى يثبت فكره هذا ، ولكن يبدو أنه فاته ، أن يذكر أهم الأمور ، إذ يمكن إبداء ملاحظات أخرى متعددة أكثر خطورة على الأسفار ، فمثلا :

١- لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب ، وإنما يعطى عنه شهادات عديدة مثل :

تحدث الله مع موسى ، كان الله مع موسى وجهاً لوجه ، كان موسى رجلاً حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس (العدد ١٢ : ٣) ، فسخط موسى على وكلاء الجيش (العدد ٣١ : ١٤) ، موسى رجل الله (التثنية ١٣ ، ١) لقد مات موسى خادم الله ، و لم يقم من بعد نبى فى إسرائيل كموسى. وعلى العكس ، يتحدث موسى ، ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى التثنية ، التى كتبت فيها الشريعة ، التى شرحها موسى للشعب ، والتى كتبها بنفسه ، فيقول :

كلمنى الرب (التثنية ٢ : ١ ، ١٧ إلخ) ورجوت الرب ... إلخ .

إلا فى آخر السفر ، حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ، ويحكى فيه روايته ، كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة التى شرحها كتابة ، ثم أعطاهم تحذيراً أخيراً ، وبعد ذلك انتهت حياته .

كل ذلك - أعنى طريقة الكلام ، والشواهد ، ومجموع نصوص القصة كلها - يدعو إلى الإعتقاد :

بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار ، بل كتبها شخص آخر .

٢- يجب أن نذكر أيضاً ، أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ، ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين ، بل تروى أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء ، إذا قورن بالأنبياء ، الذين عاشوا بعده :

" و لم يقم من بعدُ نبى فى إسرائيل كموسى ، الذى عرفه الرب ، وجهاً لوجه " (التثنية ٣٤: ١٠)

هذه شهادة لم يكن من الممكن ، أن يدلى بها موسى نفسه ، أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة ، لا سيما أن المؤرخ قد استعمل صيغة الفعل الماضى : " و لم يقم من بعده نبى فى إسرائيل ".

ويقول عن القبر : " و لم يعرف أحد قبره ، إلى يومنا هذا " . (التثنية ٣٤ : ٦)

٣- يجب أن نذكر أيضاً ، أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء ، التى عرفت بها فى زمن موسى ، بل أطلقت عليها أسماء ، عرفت بعده بها بوقت طويل :

إذ يقال : إن إبراهيم تابع أعداءه حتى دان . (أنظر ، التكوين ، ١٤ : ١٤)

وهو اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة . (إنظر ، القضاة ١٨ : ٢٩)

٤- تمتد الروايات فى بعض الأحيان ، إلى ما بعد موت يشوع ، فيروى فى الخروج (١٦ : ٣٥) أن بنى إسرائيل ، أكلوا المن أربعين يوماً ، حتى وصلوا إلى أرض مسكونة ، على حدود بلاد كنعان ، أى حتى اللحظة التى يتحدث عنها سفر يشوع . (٥ : ١٢)

وكذلك يخبرنا سفر التكوين (١٦ : ٣١) :

" وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم ، قبل أن يملك ملك فى بنى إسرائيل " .

ولا شك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك ، الذين كانوا يحكمون الأدوميين ، قبل أن يخضعهم داود لحكمه ، ويضع حاميات ضدهم فى أدميا (انظر ، صموئيل الثانى ٨ : ١٤) .

من هذه الملاحظات كلها ، يبدو واضحاً وضوح النهار :

أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة . ولكن لنبحث ، إن شئت بمزيد من الدقة فى الأسفار ، التى كتبها موسى نفسه ، والمذكورة فى الأسفار الخمسة .

فمن الثابت فى "الخروج" (١٧ : ١٤) :

أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عماليق ، ولا يقول لنا هذا الإصحاح نفسه ، أى سفر كتب ؟ بل ترد فى " العدد " (٢١ : ١٤) إشارة إلى سفر يسمى " حروب الرب " ، يحتوى ولا شك على قصة الحرب ضد عماليق ، وعلى كل أعمال إقامة المعسكرات (التى يشهد مؤلف الأسفار الخمسة فى" العدد " (٢٣ : ٢) بأن موسى قد عرضها كتابة) .

كما جاء فى " الخروج " (٢١ : ١٤) : أن هناك سفراً آخر ، يعرف باسم : " سفر العهد " : قرأه موسى أمام الإسرائيليين ، عندما عقدوا عهداً مع الله .

ولا يحتوى هذا السفر ، أو هذه الرسالة إلا على أشياء قليلة ، أى أنه لا يحتوى إلا على شرائع الله ، ووصاياه ، الموجودة فى "الخروج " فى الإصحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الإصحاح ٢٤.

ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الإصحاح المذكور بشئ من الفهم السليم ، ودون تحيز ، ففيه يرى أنه بمجرد أن عرف موسى رأى الشعب فى العهد المبرم مع الله ، كتب على التو كلمات الله ووصاياه ، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب شروط العهد فى الصباح ، بعد إقامة بعض الطقوس ، وبعد هذه القراءة ، دخل الشعب فى هذا العهد ، بمحض رضاه ، بعد أن عرف الناس كلهم ، بلا شك هذه الشروط .

ونظراً إلى ضيق الوقت ، الذى استغرقته كتابة العهد المبرم ، وكذلك نظراً إلى طبيعة هذا العهد ، كان حتماً ألا يحتوى هذا السفر ، أكثر مما قلته الآن .

وأخيراً فمن الثابت:

أن موسى قد شرح جميع الشرائع ، التي سنها في السنة الأربعين ، بعد الخروج من مصر (انظر التثنية ١ : ٥).

وأخذ من الشعب وعداً جديداً ، بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع (انظر التثنية ٢٩ :١٤).

ثم كتب سفراً يحتوى على هذه الشرائع ، التي تشرح هذا العهد الجديد (انظر التثنية ٣١ : ٩) وقد سمى هذا السفر :" توراة الله " .

وقد أضاف إليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة ، رواية العهد ، الذى قطعه الشعب على نفسه من جديد فى أيامه ، وهو ثالث عهد ، يقيمونه مع الله (انظر يشوع ٢٤ :٢٥ - ٢٦) .

ولما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى فى الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع ، فيجب أن نعترف ضرورة ، بأن هذا السفر قد فقد .

(سبينوزا ص ٢٦٦ وما بعدها)

يتساءل المرء - بعد أن تظهر أمامه هذه الحقيقة - عن السبب فى أن القرآن الكريم ، أشار إلى ذلك إشارات خفيفة! لماذا لم يكشف الأخطاء فى التوراة ، فيهاجمها بأسلوب واضح لا يحتمل التأويل ؟

والجواب : أن أسلوب القرآن الكريم ، فى معالجة أخطاء التوراة ، يدل على أنه ليس من أعمال البشر ، بل هو منزل من عند الله ، الذى يعلم دقائق الأمور ، وأسرار الطبائع البشرية ، ذلك أنه لو أعلن مهاجمته للتوراة سافرة ، لكان ذلك أشبه بالمهاترات ، التي تتقاذفها الطوائف المتنازعة ، إذ يلقى كل التهمة على الآخر ، تحت تأثير العواطف الثائرة ، وغالباً ما يكون هذا الأسلوب بعيداً عن الإطار العلمى - حسب التعبير الحديث - وخارجاً عن دائرة التفكير العقلى ، ولهذا ركز القرآن على ناحيتين هامتين :

(١) وحدانية الله ، فقد وضح هذه المسألة وضوحاً لا لبس ، ولا غموض فيه ، بل وصل به الأمر أحياناً ، إلى التهديد الشديد ، والوعيد لمن يشرك بالله ، واستعمل فى ذلك أبلغ العبارات ، وأوضحها :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(المائدة : ١٧)

[حقيقة ما يظهر على يد رهبانهم من خوارق العادات]

فلو أنك تطالع جميع كتبنا ، وما كان لنا من الفضائل – وحتى إلى الآن ، فإن[1] منا أقواماً صالحين ، يوعون الآيات والبراهين ، ولكنهم لا يظهرونها ، إلا فى وقت الحاجة إليها ، ولو

-

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة : ٧٣)

(ب) إثبات أن محمداً رسول الله ، يتلقى الوحى من السماء :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء : ١٧٠)

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف : ١٥٨)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان : ٤ – ٦)

﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء : ٨٢)

فإذا نجحت الدعوة ، فى إقناع الفرد ، بأن الله واحد ، وأن محمداً رسول الله ، فاعتقد الإنسان ، أن القرآن وحى من الله ، لم يعد للتوارة – ولا لغيرها – وجود ، إذ تحل التشريعات القرآنية مكانها ، ويتخذها الفرد منهاجاً له فى سلوكه ، ويقرها المجتمع قانوناً ، ينظم شئون حياته كلها ، وحينئذ تصبح قضية التوارة عديمة الأهمية ، ويستوى ثبوت التحريف ، وعدم ثبوته ، إذ هو يتعلق بشئ ، لم يعد سارى المفعول فى المجتمع الذى آمن :

– بوحدانية الله .

– وبأن محمداً ﷺ ، أرسل إلى الناس جميعاً ، وبالقرآن وحياً منزلاً من الله عليه .

(1) فى ع : " فإنه " .

شاهدت نزول النور الذى يأتينا فى كل سنة ، فى ليلة عيدنا الكبير (...) [١] ، لرأيت أمراً عجيباً وشيئاً غريباً[٢].

---

[١] زاد فى ع : " أو يد الله التى كانت تظهر لنا فى كنيسة لنا فى الأندلس " .

[٢] أظهر الله على يد عيسى عليه السلام ، معجزة إحياء الموتى ، وإبراء الأكمة ، والأبرص ، تأييداً له ، وبياناً لمن بعث فيهم ، بأنه رسول من عند الله ، و لم يحدثنا القرآن الكريم عن رسول أحيا الموتى – مخالفاً بذلك سنن الله فى خلقه – إلا عيسى عليه السلام ، فهى منحة من الله أعطاها له ، لحكمة لا ندرك كنهها ، وإن عللها علماء الأديان بعلل شتى .

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (الرعد : ٣٨ ، غافر : ٧٨)

تلك كانت آية عيسى وحده ، دون غيره من الأنبياء ، فإذا لم يعطها الله لأحد منهم ، فأولى به ألا يعطيها لمن هم دون الأنبياء ، إذ لا فائدة فيها .

لكن يبدو أن طبيعة هذه المعجزة – أعنى إحياء الموتى – أثرت على عقلية أتباع المسيح ، كما أثرت عليها ، ما قصة اليهود من المعجزات التى أيدهم الله بها ، فقد حاولوا – أى اليهود – ، أن يبينوا بذلك ، أن الطبيعة كلها مسيرة لمصلحتهم وحدهم ، بأمر من الإله الذى يعبدونه ، وذلك حتى يقنعوا المعاصرين لهم من غير اليهود ، الذين يعبدون آلهة منظورة كالشمس والنور والأرض والماء والهواء ... ألخ ، وحتى يبينوا لهم ضعف هذه الآلهة ، وتقلبها ، أى تغيرها وخضوعها لإله غير منظور ، وقد سر الناس بذلك ، إلى حد أنهم ما زالوا حتى اليوم يصطنعوا معجزات بخيالهم ، حتى يعتقد الآخرون ، أن الله قد فضلهم على الآخرين .

أثر هذه كله على رجال اللاهوت المسيحيين ، فاعتقدوا أنهم قادرون على الإتيان بخوارق العادات ، مستندين إلى ما ورد فى الإنجيل : **" فالحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شئ غير ممكن لديكم "** . (متى ١٧:٢٠)

" لأنى الحق أقول لكم : إن من قال لهذا الجبل : انتقل وانطرح فى البحر ، ولا يشك فى قلبه ، بل يؤمن أن ما يقوله يكون ، فمهما قال يكون له ". (مرقس ١١ – ٢٣)

ثم تمادى الرهبان فى الإغراق فى هذه الناحية ، فزعموا أن الله فضلهم على الآخرين ، بإظهار خوارق العادات على أيديهم ، وشاع ذلك عنهم ، حتى طغى هذا الجانب على غيره ، وأصبحت هذه الظاهرة أمراً ملازماً للدين المسيحى ، وطبيعة خاصة لدى من يقومون بالطقوس الدينية .

شاع هذا بين العامة – حتى صدقها أيضاً عدد غير قليل من المسلمين – ، لأنهم عاجزون فكرياً ، عن التفريق بين الحقيقة والإدعاء ، ويميلون – بفطرتهم البدائية – إلى تصديق الخرافات .

[الشبهة الثامنة]

وأنتم تقولون : إن فى الجنة أكلاً وشرباً ونكاحاً ، وجميع ذلك عندكم فى الكتاب[١] الذى جاء به صاحب شريعتكم[٢]

لكن المحققين استطاعوا التوصل إلى ما يكمن وراء هذه الأعمال ، التي ادعى القسيسون أنها معجزات ، أظهرها الله على أيديهم ، دليلاً على صدقهم واتباعهم طريق الحق .

زعموا أن لديهم جداراً يبكى ، إذا تلى الإنجيل أمامه ، ويوهمون العامة ، أنه يبكى لما يعلمه من أمر الإنجيل .

وحقيقة الأمر ، أن فى جوفه مجارٍ فى غاية الدقة متصلة بزق مملوء ماء يعصره بعض الشمامسة ، فيخرج الماء من المجارى ، ويتصل بالمنافذ التي رسموها على هيئة عيون ، فتسيل " دموعاً " ، فيراها الخاص والعام . ومن لا يعرف سرها وعنده استعداد التصديق بمثل هذه الخوارق يعتقد أنها معجزة ، تدل على أن الأناجيل التي بأيديهم صحيحة .

وشبيه بذلك تلك الأصنام التي كانوا يصنعوها ، على هيئة إمرأة يخرج اللبن من أثدائها عند قراءة الإنجيل أمامها .

أما حقيقة النور ، الذى يرونه فى بيت المقدس ليلة عيدهم ، فليس إلا إحدى الحيل ، التي برعوا فيها ، بينها المؤلف فى رده كما بين حقيقة " يد الله " التي تمتد لهم فى يوم معلوم من السنة .

[١] فى ج : " وجميع ذلك عندكم هو مكتوب فى الكتاب " وفى ع : " وجميع ذلك هو عندكم مكتوب فى الكتاب".

[٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُون هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ (يس: ٥٥- ٥٧)

وقوله :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (محمد : ١٥)

وقوله :

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٤) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٥) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٦) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٧) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ

ونحن ننكر جميع ذلك[1] ، ولا يمكن بوجه من الوجوه [وقوعه] عندنا ، ذلك أننا [2] إذا حشرنا يوم القيامة ، حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ، ولكن لا نأكل [هناك] ولا نشرب[3]

﴿١٨﴾ **وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٠﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢١﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٢﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (الواقعة : ١٢-٢٤)

(1) استناداً إلى ما جاء في الإنجيل : **"وجاء إليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة وسألوه قائلين : يا معلم ، كتب لنا موسى : إن مات لأحد أخ وترك امرأة ولم يخلف أولاداً أن يأخذ أخوه امرأته ويقيم نسلاً لأخيه ، فكان سبعة إخوة ، أخذ الأول امرأة ومات ولم يترك نسلاً ، فأخذها الثاني ومات ولم يترك هو أيضاً نسلاً ، وهكذا الثالث . فأخذها السبعة ولم يتركوا نسلاً ، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً ، ففي القيامة متى قاموا ، لمن منهم تكون زوجة ؟ لأنها كانت زوجة للسبعة . فأجاب يسوع وقال لهم : أليس لهذا تضلون ، إذ لا تعرفون الكتب ولا قـــوة الله ، لأنهم متى قاموا من الأموات لا يُزَوِّجون ، ولا يُزَوَّجون ، بل يكونون كملائكة في السموات".**

(مرقس ١٢ : ١٨ - ٢٥)

(2) في ج : ت: " وذلك إلا أنا" .

(3) لم يرد في التوراة (الموجودة بين أيدينا) ذكر للدار الآخرة ، فلم توعد اليهود بـــشئ مقابـــل طاعتـــهم ، إلا بإستمرار دولتهم ، التي يسعدون بها ، وبنعيم الدنيا ، وفي مقابل ذلك فإنها أنذرتهم بسقوط الدولة ، وبأفدح المصائب ، لو أنهم عصوا الميثاق ونقضوه .

وكما أن غاية كل مجتمع ، وكل دولة ، هي العيش في أمن ، والحصول على مزايا معينة ، فإن الوعود ، التي نجدها في التوراة – مقابل المحافظة على الشريعة – لم تكن سوى الأمن في الحياة ، والنعم المادية ، وعلى العكس من ذلك ، فلم يتنبأ لهم بعذاب أكيد مقابل عصيانهم سوى انهيار الدولة ، وما ينتج عن ذلك من الشرور عادة ، وكذلك بعض المصائب التي تحل بهم خاصة ، وذلك نتيجة لإنهيار دولتهم. (أنظر : سينوزا ص ١٧٧)

فإذا نظرنا في العقوبات ، والمكافآت التي تحدثت عنها التوراة ، نجد أنها تتعلق بأشياء مادية ، وينالها المرء – ســـواء أكانت عقوبة أو جزاء – في الحياة الدنيا ، فحين توجه الله سبحانه ، إلى الأسرة الإنسانية الأولى ، بشأن الفاكهة المحرمة ، قال: **" وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه ، لئلا تموتا"** (تكوين ٣: ٣)

وحين خاطب ولدها الأكبر قابيل ، قاتل أخيه هابيل : قال **" فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاهـــا ، لتقبل دم أخيك من يدك ، متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها".** (تكوين ٤:١١-١٢)

وعندما فسدت الأرض بعد ذلك بحين من الدهر ، فعوقبت بالطوفان ، بارك الله نوحاً وبنيه ، فقال : **" أثمروا ، وأكثروا ، واملأوا الأرض"** .

(تكوين ٩ : ١)

وقوبل إذعان إبراهيم ، للإرادة الإلهية ، حيث أطاع الله فَهَمَّ بذبح ابنه ، بورك بالخيرات الأرضية ، على سبيل الثواب : **" بذاتى أقسمت يقول الرب ، إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة ، أكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء ، كالرمل الذى على شاطئ البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه "** .

(تكوين ٢٣ : ١٦ - ١٧)

منذ ذلك الحين أصبحت هذه الأفكار مألوفة لدى ذرية إبراهيم ، فهى تعد صيغة السلام والمباركة ، فإن إسحاق يبارك يعقوب بهذه الكلمات :

" فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل" .

(تكوين ٢٧ : ٨ -٩)

ويقول الرب أيضاً لإسرائيل (يعقوب) : **" أثمر ، وأكثر ،أمة ، وجماعة أمم تكون منك ، وملوك سيخرجون من صلبك ، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها ، ولنسلك من بعدك أعطى الأرض"**.

(تكوين ٣٥ : ١١ - ١٢)

فإذا وصلنا إلى موسى ، وجدناه ، يركز على تنمية نفس الهدف ، ليعظ أبناء إسرائيل ، وهو ينقل إليهم الدعوة الإلهية ، ليحملهم على الإيمان بها :

" وتعبدون الرب إلهكم ، فيبارك خبزك ، وماءك ، وأزيل المرض من بينكم لا تكون مسقطة ولا عاقر فى أرضك ، وأكمل عدد أيامك ، أرسل هيبتى أمامك ، وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم ، وأعطيك جميع أعدائك مدبرين ، وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحِوِّيين والكنعانيين ، والحِثِّيِّين من أمامك ، لا أطردهم من أمامك ، فى سنة واحدة ، لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية ، قليلاً أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض..."

(خروج ٢٣ : ٢٥- ٣٠)

ويقول الرب لهم فى موضع آخر : **" إذا سلكتم فى فرائضى ، وحفظتم وصاياى ، وعملتم بهم ، أعطى مطركم فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها وتعطى أشجار الحقل أثمارها ، ويلحق دراسكم بالقطاف ، ويلحق القطاف بالزرع ، فتأكلون خبزكم للشبع ، وتسكنون فى أرضكم آمنين ، وأجعل سلاماً فى الأرض فتنامون وليس من يزعجكم ، وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض ، ولا يعبر سيف فى أرضكم ، وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف ، يطرد خمسة منكم مئة ، ومئة منكم يطردون ربوة ، ويسقط أعداؤكم أمامكم بالسيف ، وألتفت إليكم ، وأثمركم ،**

وأكثركم وأفى ميثاقى معكم فتأكلون العتيق المعتق وتخرجون العتيق من وجه الجديد ، وأجعل مسكنى فى وسطكم ، ولا ترذلكم نفسى وأسير بينكم ، وأكون لكم إلهاً، وأنتم تكونون لى شعباً ، أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر ، من كونكم لهم عبيداً ، وقطع قيود نيركم وسيركم قياماً ، لكن إن لم تسمعوا لى ولم تعلموا كل هذه الوصايا، وإن رفضتم فرائضى ، وكرهت أنفسكم أحكامى ، فما عملتم كل وصاياى ، بل نكثتم ميثاقى ، فإنى أعمل هذه بكم أسلط عليكم رعباً ، وسلاً وحمى تفنى العينين ، وتتلف النفس ، وتزرعون باطلاً زرعكم ، فيأكله أعداؤكم ، وأجعل وجهى ضدكم ، فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتسلط عليكم مبغضوكم ، وتهربون وليس من يطردكم ".

(لاويين ٢٦ : ٣- ١٧)

ويقول فى موضع آخر : " **ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام ، وتحفظون ، وتعملونها ، يحفظ لك الرب إلهك العهد ، والإحسان اللذين أقسم لآبائك ويحبك ويباركك ، ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك ، وثمرة أرضك ، قمحك ، وخمرك ، وزيتك ونتاج بقرك ، وإناث غنمك ، على الأرض التي أقسم لآبائك أنه يعطيك إياها ، مباركاً تكون فوق جميع الشعوب ، لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ، ولا فى بهائمك ، ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة ، التي عرفتها ، لا يضعها عليك ، بل يجعلها على مبغضيك ، وتأكل كل الشعوب ، الذين الرب إلهك يدفع إليك ".**

(تثنية ٧: ١٢-١٦ وأنظر كذلك الإصحاح الحادى عشر : ١٣ وما بعدها)

فهى فكرة واحدة ، استولت على عقلية بنى إسرائيل :

عقاب وصورته : قحط ، هلاك ، ذلة ، عار ، استعباد الأعداء لهم ، وجزاء ، وصورته : زيادة فى غلة الأرض وثمارها ، ووفرة فى نتاج البهائم ، وزيادة فى نسلهم ، ونصر على أعدائهم .

ولا تتحدث التوراة عن ثواب أو عقاب فى الدار الآخرة ، بل لم يرد لها ذكر على الإطلاق ، والمسكن الذى ورد فى قول موسى : " **ترشد برأفتك الشعب الذى فديته ، تهديه بقوتك ، إلى مسكن قدسك".** (الخروج ١٥ : ١٣)

فليس المراد به جنة فى الدار الآخرة ، بل هى الأرض الموعودة وراء نهر الأردن ، وهى بلد الكنعانيين . يؤيد ذلك ما جاء فى فقرة أخرى : " **بل المكان الذى يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه ، فيه سكناه ، تطلبون ، وإلى هناك تأتون ، وتقدمون إلى هناك محرقاتكم ، وذبائحكم ، وعشوركم ، ورفائع أيديكم ، ونذوركم ، ونوافلكم ، وأبكار بقركم وغنمكم ".**

(تثنية ١٢ : ٥-٦)

وهكذا لا نصادف ، منذ آدم ، حتى موسى ، إلى آخر عهده ، أية إشارة ، فى أى مكان ، إلى حياة بعد الموت ، كأنما لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان فى أديانهم .

غير أن القرآن الكريم يحدثنا أن موسى – وكذلك إبراهيم – ذكر لهم الدار الآخرة ، وأنبأهم بالبعث بعد المـــوت فإبراهيم يدعو الله قائلاً ﴿ **وَلا تُخزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ** ﴾ (الشعراء : ٨٧)

وموسى يتوسل إلى الله قائلاً : ﴿**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**﴾ (الأعراف :١٥٦)

كذلك أنذرهم الله بيوم الآخرة ، حيث لا ينفع المرء إلا ما قدمت يداه فى هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى مخاطباً بـــنى اسرائيل: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَـــدْلٌ وَلا هُـــمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ (البقرة :٤٨)

لم يرد فى التوراة الموجودة بين أيدينا ، ذكر لهذه المعانى ، التى تحدث بها القرآن عن لسان أنبيائهم ، لأنهـــا ليـــست توارة موسى ، بل ألفها رجل آخر عاش فى عصر متأخر عن موسى بزمن بعيد – كما سبق بيان ذلك – ، عصر كـــان اليهود فيه أذلاء ، مستعبدين ، يتوقون إلى الحرية ، ويحلمون بالثروة ، ويتمنون اليوم الذى يستطيعون فيه الانتقـــام مـــن أعدائهم ، الذين يسومونهم سوء العذاب ، فعبر الكاتب عن آمالهم ، وآلامهم ، وخلطها بالأفكار ، والقصص الدينيـــة ، التي كانت تتناقلها الأفواه آنذاك ، فجاءت على هذه الحالة ، خالية من الإشـــارة إلى الـــدار الآخـــرة ، لأن ظـــروفهم الإجتماعية ، والسياسية كانت قاسية عليهم ، فلم يكونوا يفكرون إلا فى الخلاص من المآسى المحدقة بهم .

وإذا تصفحنا الأسفار التي عاش " مؤلفها " بعد فترة الأسر ، حيث اتصل اليهود بالإيرانيين ، أتباع زرادشت ، نجد فيها إشارات إلى الحياة الأخرى بما فيها من ثواب وعقاب . (انظر أ شعياء إصحاح ٤٠ : ٦٦ ، وحزقيال إصحاح ٤٦ : ٤٨)

ولعل أوضحها ما جاء فى سفر دانيال : " **وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحيـــاة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدى**" . (دانيال ١٢ : ٢-٣)

أما العهد الجديد ، فقد اشتمل على نصوص عديدة ، تشير إلى الجزاء الأخروى ، فإذا قلبنا صـــفحاته ، فلـــسوف نستمع إلى نغمة جديدة كل الجدة ، لم توجد فى العهد القديم ، هنا يحس القارئ بأنه انتقل من طرف ، إلى أقصى طرف مقابل له .

نجد فكرة دينية ، تدعو إلى أن صلاتنا بالعالم الراهن ، بكل ما فيها من غنى ، وعظمة سوف تنقطع ، فهى بالنسبة إلينا قيود ، ينبغى أن نتحرر منها ، نظراتنا لا تعود مثبتة على الأرض ، تنتظر الثمار ، والزرع ، بل إنها دائماً موجهة إلى السماء قال المسيح لأحد المؤمنين الجدد : " **إن أردت أن تكون كاملاً ، فاذهب ، وبع أملاكك ، واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى** ". (متى ١٩: ٢١ ومرقص ١٠: ٣٤)

وقال لتلاميذه : " **فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون ، وما تشربون ، ولا تقلقوا ، فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم ، وأما أنتم ، فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه ، بل اطلبوا ملكوت الله ، وهذه كلها تزاد لكم ، لا تخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت ، بيعوا مالكم ، وأعطوا صدقة ، إعملوا لكم أكياساً لا تفنى ، وكنزاً لا ينفذ فى السموات ، حيث لا يقرب سارق ، ولا يبلى سوس لأنه حيث يكون كنزكم هناك ، يكون قلبكم أيضاً**". (لوقا ١٢ : ٢٩ - ٣٤)

هذه التعاليم ذاتها ، قدمها كذلك تلاميذ المسيح فى وعظهم ، وفى رسائلهم إلى الذين دعوهم إلى التمسك بالمسيحية ديناً ، كتب " بولس " فى رسالته إلى " تيموثاوس " : " **أوص الأغنياء فى الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ، ولا يلقوا رجاءهم على يقينية الغنى ، بل على الله الحى ، الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع ، وأن يصنعوا صلاحاً ، وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة ، وأن يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع ، مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل ، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية** ". (رسالة بولس الأولى إلى " تيموثاوس " ٦: ١٧ - ١٩)

وقال يوحنّا : " **لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التي فى العالم ، إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب ، لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون ، وتعظيم المعيشة ليس من الآب ، بل من العالم ، والعالم يمضى وشهوته ، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد ، أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة ... وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية** ". (رسالة يوحنّا الأولى ٢ : ١٥ - ٢٥)

وهكذا نجد أن الإنجيل يجعل أمل المؤمنين دائماً هو الجزاء فى الآخرة ، فى حياة ما بعد الموت ، على العكس من العهد القديم الذى ركز على تحقيق ما يعد المؤمنين به من ثواب وما ينذرهم من عقاب فى الحياة الدنيا ، ولا نجد هذا الإتجاه فى الإنجيل إلا فى مواضع قليلة :

١- فى فقرة واحدة فى الإنجيل حيث وعد المسيح بمكافأة مزدوجة فى الحياة المقبلة ، وفى هذه الحياة (مرقس ١٠ : ٣) ، غير أن ذكر الجزاء الدنيوى فى هذه النقطة لم يأت فى إنجيل متى (إنظر متى ١٩ : ٢٩) .

٢- فى فقرات متعددة عند " بولس " ، حيث وعد الأولاد المطيعين بالأعمار الطوال فى رسالته إلى أهل " أفسس" ، الإصحاح السادس فقرة رقم ثلاثة ، كذلك وعد عامة الناس ، بأن يزيدهم الله كل نعمة " مادية" ، لكي يكونوا ولهم كل اكتفاء ، كل حين فى كل شئ يزدادون ، فى كل عمل صالح ، فيعطوا المساكن (رسالته الثانية إلى أهل " كورنثوس" ٩: ٨-١١) وفى رسالته الأولى إلى أهل " كورنثوس " ١١ : ٢٩ - ٣٠ ، فسر كثرة الوفيات ، والعدد الكبير من المرضى والضعفاء بالإخلال ببعض الواجب الدينى .

* * *

أما منهج التعليم القرآني ، فيبين للناس صورة مركبة مزدوجة ، تستهدف الحياة الدنيا ، والحياة الأخرى معاً ، وتعلن للإنسان بأن عليه أن يتقبل في كلتا الحياتين ، الثمن الأخلاقي ، والبدني ، والروحي ، لما قدمت يداه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ففي الصالحين يقول سبحانه : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة ٢٠١ ، ثم إقرأ الآيات : ١٤٨ آل عمران ، ١٣٤ النساء ، و٥٦ ، ٥٧ يوسف ، و٣٠ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٢٢ النحل : ٢٧ العنكبوت ، و ٣١ فصلت) . ويقول سبحانه في الطالحين : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ٨٥ ، ثم إقرأ الآيات : ١١٤ البقرة ، ١٢ ، ٥٦ آل العمران ، ٤١ المائدة ، و ٧٤ التوبة ، و٧٥ الإسراء ، و٩ ، ١١ الحج ، و١٩ النور ، و٢١ السجدة ، و٤٠ الزمر ، ١٦ فصلت ، و٢٥ نوح)

وليس المفهوم المادي للجزاء الأخروي إسلامي النوع ، بل هو عنصر مشترك بين جميع الأخلاق الدينية ، التي تعترف للناس بحياة أخرى ، سوف يجتمع فيها البدن والروح من جديد ، بعد أن يكونا قد انفصلا مؤقتاً بالموت ، يجتمعان ليتلقيا معاً ثواباً خالداً ، أو عقاباً أبديًّا .

ولما كان المسيح قد تحدث عن حياة أخرى بعد الموت – على عكس ما جاء في العهد القديم – فالمسيحيون يعتقدون ، بأن الله سيثيب الإنسان على ما قدم من عمل صالح ، ويعاقبه على ما اقترف من سيئات ، وليس بلازم أن يكون ذلك في الدنيا ، فمن لم ينل ثوابه ، وكذلك من لم يعاقب على ما ارتكب في الدنيا ، سيأخذه لا محالة يوم الحساب :" ... **فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي ، والأبرار إلى حياة أبدية** ". (متى ٢٥ : ٤٦)

غير أن علماء العقيدة المسيحية ، اختلفوا في كيفية الحياة في الدار الآخرة : فريق يرى أنها ستكون بلا أكل ، ولا شرب ، ولا نكاح ، مستدلين بما ورد في إنجيل مرقس ١٢ : ١٨- ٢٥ ، وعليه فلن يكون نبات ، ولا حيوان ، إذ خلقهما الله في الدنيا ، لسد احتياج الإنسان ، فلما انتفت الحاجة ، لزم عدم إعادة خلقهما ، ويؤولون ما يفيد ذلك .

ويرى جمهورهم أن الحياة الأخرى ، ستكون مثل الحياة الدنيا فيها أكل ، وشرب ، ونكاح ... إلخ وهذه هي القاعدة العامة لدى الكنيسة ، إذ يعلم آباء الكنيسة وفقاؤها أتباعهم عقيدة بعث الجسد ، وعقيدة اشتراكه مع الروح في الجزاء ، وهما عقيدتان قائمتان على أساس متين من تعاليم السيد المسيح ، والدعاة ، فقد قال يسوع لحوارييه : " **ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها ، بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم** ". (متى ١٠ : ٢٨)

وقال أيضاً : " **يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر ، وفاعلي الإثم ، ويطرحونهم في أتون النار ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان**". (متى ١٣ : ٤١ – ٤٢)

وكثيراً ما صور جهنم على أنها : " ... **إلى النار التي لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت ، والنار لا تطفأ** ".

(مرقس ٩: ٤٣ - ٤٤ ، ٤٨)

ويصرح الفتى الخبيث ، الذى كان يلبس الأرجوان ، والبز مترفهاً ، ولم يكن يتصدق على المسكين " لعازر " حتى مات جوعاً ، يصرخ وهو فى عذاب جهنم قائلاً : " **يا أبى إبراهيم ! إرحمنى ، وأرسل " لعازر" ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لسانى ، لأنى معذب فى هذا اللهيب**".

(لوقا ١٦ : ٢٤)

ونقرأ فى رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى : " **وأما الخائفون ، وغير المؤمنين ، والرجسون ، والقاتلون ، والزناة ، والسحرة ، وعبدة الأوثان ، وجميع الكذبة ، فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت**".

(٢١ : ٨)

وعلى الرغم من أن الكنيسة لم تقل شيئاً عن طبيعة النار ، فإنها تقرر أنها نار واقعية ، لها سماتها من اللهب ، والجمر والأوار الذى لا يخمد .. إلخ

ومع أن الإشارة إلى الجنة ، كانت أقل ترديداً فى العهد الجديد من موضوع النار ، فإنها تحمل كثيراً طابع السعادة الحسية ، بجانب السعادة الروحية .

ولقد رأينا آنفاً توسلات الفتى الخبيث ، يلتمس قليلاً من الماء ليبل لسانه ، ولذلك يقرر يسوع فى أكثر العبارات صراحة وعموماً : " **وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى ، وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر** ".

(لوقا ٢٢ : ٢٩ - ٣٠)

وقال أيضاً للذى دعاه : " **إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ، ولا الجيران الأغنياء ، لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة ، بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجدع ، العرج ، العمى فيكون لك الطوبى ، إذ ليس لهم حتى يكافوك لأنك تكافأ ، فى قيامه الأبرار** ".

(لوقا ١٤ : ١٢ - ١٤)

وأكثر من ذلك تحديداً أيضاً قوله فى آخر اجتماع له مع حوارييه : " **وأقول لكم : إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم ، حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى** ".

(متى ٢٦ : ٢٩ ، ومرقس ١٤ : ٢٥ ، ولوقا ٢٢ : ١٨)

بيد أن الجانب الحسى من نعيم الجنة أكثر ظهوراً فى رؤيا القديس يوحنا : " **من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي فى وسط فردوس الله** ".

(٢ : ٧)

" **من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً** " .

(٣ : ٥)

" **لن يجوعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ولا شئ من الحر** ".

(٧ : ١٦)

وبهذا يتبين خطأ ما ذهب إليه القسيس من أن المسيحية تنكر النعيم المادى فى الحياة الآخرى .

[الشبهة التاسعة]

وَدين الصليب فشا[1] فى الأرض دون سيف ولا قهر ، ودينكم إنما ظهر بالسيف ، والقهر فى الأرض[2]. وقاتل صاحب شريعتكم الأمم وغلبهم ، وكان سبباً فى تغيير أمرنا وتكفيرنا ، وفى

---

(١) فى ج : " فشاء " بهمزة.

(٢) هذا ما يردده أعداء الإسلام ، منذ بدء فترة الدفاع المسلح عن العقيدة إلى اليوم ، إذ ما زلنا نسمع من المستشرقين ، ومن يدور فى فلكهم من ضعاف النفوس ، أن المسيحية تنكر القتال ، بينما دعا الإسلام إلى الحرب ، وإلى الجهاد فى سبيل الله ، أى إلى إكراه الناس بالسيف على الدخول فى الإسلام ، وهذا هو التعصب بعينه ، وغاب عن هؤلاء الحقائق التالية :

أولاً: نص القرآن الكريم فى مواضع عدة ، على أنه لا إكراه فى الدين ، يقول تعالى:

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ . (البقرة : ٢٥٦)

ويقول:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(البقرة : ٢٥٦)

ويقول:

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف : ٢٩)

ويقول :

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية : ٢١ ،٢٢)

فالإسلام لا يجيز لأحد – ولو كان النبى نفسه – أن يجبر إنساناً على الدخول فى الإسلام .

ثانياً : يمتاز الإنسان عن الحيوان ، بالقدرة على التفكير ، ومن خصائص هذا التفكير ، ميل الإنسان إلى الحرية فى التعبير عن آرائه ، وفى اعتناق ما يراه موافقاً لطبيعته ، فإذا ما منع من هذا بقوة السلاح ، فإن من الطبيعى أن يدافع عن رأيه بالوسائل ، التي يقاتله بها من يريدون كبت حريته ، فإن أراد أحد أن يفتن آخر عن عقيدته ، مستعملاً الدعاية والمنطق ، دون اللجوء إلى حمله على ترك عقيدته بالقوة ، لم يكن للمؤمن أن يدافع عن عقيدته ، إلا بالحجة والمنطق ، أما إذا أجبر بقوة السلاح ، لم يكن له من سبيل إلا حمل السلاح أيضاً ، للدفاع عن عقيدته ، لأنها أثمن شئ عند من يفهمون

معنى الإنسانية ، فهى أثمن من المال والجاه ، بل أغلى من الحياة نفسها ، وقد أدرك هذا المسلمون الأولون ، فدفعوا حياتهم ثمناً للدفاع عن عقيدتهم، وتلك سنة الله فى خلقه.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة : ٢٥١)

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج : ٤٠)

ولو لم يقاتل المسلمون لحكم عليهم التاريخ بأنهم أذلوا ، وأهينوا ، فرضوا بالذل ، والهوان ، وتلك سبة تأباها الطبيعة الإنسانية ، ولما كان الإسلام موافقاً - فى تعاليمه وشرائعه - لهذه الطبيعة ، لم يرض لأتباعه أن يتصفوا بهذه النقيصة ، وعليه فلم يحمل المسلمون السلاح ، لإجبار أحد على الدخول فى دينهم ، بل كان للدفاع عن أثمن شئ لديهم ، ألا وهو حرية ممارسة ما تمليه عليهم عقيدتهم .

ثالثاً : يعقد أعداء الإسلام مقارنة بين محمد وعيسى عليهما السلام ، مدعين أن عيسى لم يقاتل أحداً ، بينما قاد محمد معارك كثيرة ضد من وقفوا فى سبيل دعوته ، وينسى هؤلاء أن عيسى عليه السلام استمر ثلاث سنوات فقط يدعو إلى دينه بدون قتال ، ومكث محمد ثلاث عشرة سنة يتلقى أذى قريش ، دون أن يحمل السلاح ، فأى المدتين أطول !

أضف إلى ذلك أن عيسى قال أثناء هذه المدة القصير : " **ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً** ". (متى ١٠ - ٣٤)

بينما لم يذكر محمد فى العهد المكى - وهو ثلاث عشرة سنة - شيئاً عن القتال ، فأيهما كان - بصرف النظر عن كون ما يتلقيانه وحياً - أشد ميلاً إلى السلم !!

كان يمكن أن تكون المقارنة صحيحة ، لو أن عيسى استمر فى دعوته مدة أطول من المدة التى مكثها محمد فى مكة داعياً إلى الله و لم يقاتل ، بينما قاتل محمد !

فإذا تركنا العهد النبوى لكل منهما ، وتصفحنا تاريخ كلتا الديانتين ، لرأينا أن المسيحية لم تعرف سلاماً إطلاقاً ، بل حمل المسيحيون الناس حملاً على إعتناقها ، فمنذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا ، خضبت أقطار الأرض جميعها بالدماء ، باسم السيد المسيح ، خضبها الروم ، وخضبتها أمم أوربا كلها .

والحروب الصليبية ، إنما أذكى لهيبها المسيحيون ، لا المسلمون ، ولقد ظلت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أوربا مئات السنين ، قاصدة أقطار الشرق الإسلامية تقاتل . وتحارب ، وتريق الدماء ، وفى كل مرة كان البابوات ، خلفاء المسيح ، يباركون هذه الجيوش الزاحفة ، للاستيلاء على بيت المقدس ، وعلى الأماكن النصرانية المقدسة ، أفكان هؤلاء البابوات جميعاً هراقطة وكانت مسيحيتهم زائفة ؟

أم كانوا أدعياء جهالاً ، لا يعرفون أن المسيحية تنكر القتال على إطلاقه ؟ أم يقولون : تلك كانت العصور الوسطى ، عصور الظلام ، فلا يحتج على المسيحية بها ؟ إن يكن ذلك بعض ما قد يقولون ، فإن هذا القرن المتمم للعشرين (وكذلك القرن الواحد والعشرين الذى يدعون أنه قرن انتشار الديمقراطية ، وحرية حقوق الإنسان) الذى نعيش فيه ، والذي يسمونه عصر الحضارة الإنسانية العليا ، قد رأى ما رأت تلك العصور المظلمة ، فقد وقف اللورد اللنبى ممثل الحلفاء (إنجلترا وفرنسا ، وإيطاليا ورومانيا وأمريكا) يقول فى بيت المقدس ، فى سنة ١٩١٨م ، حين استيلائه عليه فى أخريات الحرب العالمية الأولى : " اليوم انتهت الحروب الصليبية ". وفى هذا القرن تقتل جيوش "الحضارة الغربية " السكان الآمنين فى أفغانستان والعراق وفلسطين وغيرها من بقاع العالم الإسلامى .

وإذا كان من بين المسيحيين قديسون أنكروا القتال فى مختلف العصور ، وسموا بذواقم إلى الذروة من معنى الإخاء الإنسانى ، بل من معنى الإخاء بين عناصر الكون كله ، فمن بين المسلمين كذلك قديسون سمت نفوسهم هذا السمو ، واتصلوا بكل الوجود اتصال إخاء ومحبة وإشراق ، ملأ منهم النفوس بوحدة الوجود ، لكن هؤلاء القديسين من النصارى والمسلمين ، وإن صوروا المثل الأعلى ، لا يمثلون حياة الإنسانية أثناء تطورها الدائم ، وفى دأب جهادها إلى الكمال ، إلى الكمال الذى نحاول تصوره ، ثم يقعد بنا العقل ويقعد بنا الخيال ، دون شئ من الدقة فى إدراكه ، وإن نحن جازفنا بتصويره تمهيداً لما نحاول من جهوده فى سبيله ، وهذه أربع وتسعون وثلاثمائة وألف سنة قد انقضت منذ هجرة النبى العربى من مكة إلى يثرب (مضى الآن " فى الطبعة الرابعة لهذا الكتاب " على ظهور الإسلام ثمانٍ وعشرون وأربعمائة وألف) ، والناس فى مختلف العصور يزدادون فى القتال افتناناً ، وفى صنع آلاته الجهنمية المدمرة دقة وإتقاناً ، وما تزال كلمات نبذ الحرب ، وإلغاء التسلح ، والتحكيم لا تزيد على أنها كلمات تقال فى أعقاب كل حرب تهلك الأمم ، أو على أنها دعايات تلقى فى جو الحياة من أناس لم يستطيعوا حتى اليوم – ومن يدرى ! فلعلهم لا يستطيعون يوماً – أن يحققوا منها شيئاً ، وأن يحلوا السلام الصحيح ، سلام الإخاء والعدل محل السلام المسلح نذير الحرب وطليعة ويلاتها .

والإسلام ليس دين وهم وخيال ، ولا هو دين يقف عند دعوة الفرد وحده إلى الكمال ،وإنما الإسلام دين الفطرة التي فطر الناس جميعاً عليها .أفراداً وجماعات وهو دين الحق والحرية والنظام . وما دامت الحرب فى فطرة الناس ، فتهذيب فكرتها فى النفوس وحصرها فى أدق الحدود الإنسانية ، هو غاية ما تحتمل فطرة البشر ، وما يحقق للإنسانية تطورها فى سبيل الخير والكمال ، وخير تهذيب لفكرة الحرب ألا تكون إلا للدفاع عن النفس ، وعن العقيدة ، وعن حرية الرأى والدعوة إليه ، وأن ترعى فيها الحرمات الإنسانية تمام الرعاية ، وهذا ما قرره الإسلام وهذا ما نزل به القرآن ".

(هيكل ص ٢٥٣- ٢٤٥)

كتابه : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (١) .

ودخلت العرب بلادنا ، واستأصلت ديارنا ، وهتكت أستارنا [لكنه لما آمن بالله ، ودعا إلى الله ، أعانه الله ، فقاتل] جميع الأمم فغلبهم بسيفه .

وإنما جاء المسيح بن مريم مهيناً ضعيفاً ، و لم يقاتل أحداً ، فأخذ وصلب فى مرضاتنا ، فهو إلهنا ، وخالقنا ، ورازقنا ، ومميتنا ، ومحيينا وهو ﷻ بفضله يغفر ذنوبنا ويتغمدنا برحمته .

وأنا [.....] (٢) قد بذلت لك النصيحة فى هذه الرسالة [...] (٣) لِمَا ظهر لى من ذكائك(٤)، فاعتبرها وتدبرها ، والله يجعلها نورك ، وسبب هداك . آمين آمين .

ولما وقف الصبى على هذه الرسالة زجر موصليها ، وامتنع عن(٥) مراجعة القسيس ، تخوفاً منه ، لكونه يومئذ بين ظهرانيهم ، وفى كنه ديانتهم(٦) ، فألحوا عليه فى الجواب ، وفى خلال ذلك حان [موعد] سفره عنهم فكتب هذا الجواب المسمى بمقامع هامات الصلبان ، ورواتع روضات الإيمان(٧)

---

(١) المائدة : ١٧

(٢) فى ع : " يا صاحبى".

(٣) فى ع : " لمحبتى لك و ... "

(٤) فى ج : " سلك " وفى ت : " نباهتك "

(٥) فى ج : " من ".

(٦) فى ت : " لكونه مدجن بين أظهر القوم : وفى قبة ديانتهم ".

(٧) لم يتفق المؤرخون على عنوان هذا الكتاب فهو:

- مقامع الصلبان فى برنامج شيوخ الرعينى ، ونيل الابتهاج ، ومعجم المؤلفين.
- مقامع الصلبان ، ومراتع رياض أهل الإيمان ، فى التكملة.
- مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض الإيمان ، فى الذيل والتكملة .
- مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ، فى الأعلام .

كذلك اختلف العنوان فى المخطوطات الثلاث التي اعتمدنا عليها كما ذكر سابقاً.

وتركه[١] عندهم ومضى وهذه نسخته[٢] .

***

[رسالة أبي عَبيدة إلى القسيس] [٣]

من فلان إلى فلان

بسم الله الرحمن الرحيم

إله ، فرد ، صمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد[٤].

ولهذا رأيت أن أختار له عنوان " بين الإسلام والمسيحية " اقتباساً من موضوعه ، ثم ذيلته بما لم يختلف فيه وهو نسبته إلى أبي عَبيدة ، فجاء عنوان الكتاب هكذا : بين الإسلام والمسيحية

كتاب أبي عَبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ.

[١] في ج : " وغادره " .

[٢] سقط من ع قوله : " ولما وقف الصبي .. إلى وهذه نسخته ".

[٣] صدر صاحب " الفاصل بين الحق والباطل " الرد على القسيس بأبيات شعرية ، فيها محاجاة للمسيحيين ، وهي :

عجبي للمسيح بين النصارى ... وإلى أي والد نسبوه

أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه

وإذا كان ما يقولونه حقاً ... وصحيحاً فأين كان أبوه

حين خلى ابنه رهين الأعادى ... أتراهم أرضوه أم أغضبوه

فلئن كان راضياً بأذاهم ... فاحمدوهم لأنهم عذبوه

ولئن كان ساخطاً فاتركوه ... واعبدوهم لأنهم غلبوه

[٤] اقتباساً من سورة الإخلاص.

سلام على المهتدين ، والحمد لله رب العالمين ، مفضلنا بالإيمان على جميع الأجناس ، وجاعلنا خير أمة أخرجت للناس[١] ، نوحد الله بموجبات توحيده ،ونمجده سبحانه حق تمجيده ، ونؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله[٢] ولا نشرك بعبادة ربنا أحداً[٣].

وصلى الله على سيدنا ، ومولانا ، ونبينا محمد ، خلاصة أصفيائه ، وخاتم رسله ، وأنبيائــه ، سيــد الآدميــين ، المبعــوث رسولاً فى الأميين[٤] و ﷺ ، من نبى كريم ، على خلق

---

[١] ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
(آل عمران : ١١٠)

[٢] ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾
(البقرة : ٢٨٥)

[٣] ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾
(الجن ١، ٢)

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾
(الجمعة : ٢)

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف : ١٥٨)

فما معنى الأمى ، وما المقصود بالأميين؟

ورد لفظ الأمى فى القرآن الكريم مرتين فقط ، فى أيتى ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة الأعراف ، وفى كلا الإستعمالين وصف للنبى ﷺ بأنه أمى ، أى لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، فالعرب كانت تنسب من يجهلها إلى أمه " لأن الكتاب كان فى الرجال دون النساء ، فنسب من لا يكتب ، ولا يخط من الرجال ، إلى أمه فى جهله بالكتابة دون أبيه".

أما لفظ " الأميون " فقد ورد أربع مرات:

(أ) ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾
(البقرة : ٧٨)

(ب) ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾
(آل عمران : ٢٠)

عظيم[1] ، جاءنا على فترة من الرسل[2] ، موضحاً السبل ، داعياً إلى خير الملل ، ملة أبينا إبراهيم.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[3]

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]

-

(ج) ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
(آل عمران : ٧٥)

(د) ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة : ٢)

فالمقصود بالأميين من هم فى مقابل أهل الكتاب – وهم العرب – ما عدا الآية الأولى : فالمراد بهم قوم من أهل الكتاب ، وعليه فيحتمل أن يكون اللفظ فى آيتى آل عمران ، وآية الجمعة مستعملاً استعمالاً مجازياً ، على إعتبار أن العرب كانوا جاهلين برسالات السماء ، مثل من يجهل القراءة والكتابة ، لأنه لم يبعث فيهم رسول من قبل ، أو يكون المراد حقيقة اللفظ ، لأن الأمية كانت متفشية فيهم .

ولا يرد على استعمال الأول أن وصف النبى ﷺ بالأمى فى آية الأعراف ، لا يكون دليلاً قاطعاً على أنه لم يعرف القراءة والكتابة ، لأن قول الله تعالى :

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت : ٤٨)

يمنع صرف اللفظ عن حقيقته .

[1] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم : ٤

)

[2] ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة :١٩)

[3] البقرة : ١٣٠

[4] آل عمران : ٦٧ .

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ ﴾[1]

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [2]

فصل : فى تقديم الاعتذار ، عن الترول إلى إجابتك [3] ، والاعتذار عن ذلك للاعتراف بأن الالتفاف [إلى] ما لديكم يخل بعقل الإنسان ، ودينه [4].

***

[رأى أحد ملوك الهند فى المسيحية]

وكما وصف ملوك الهند – وقد ذكرت له الملل الثلاثة — فقال :

أما النصارى ، فإن كان مناصبوهم من أهل الملل ، يجاهدونهم بحكم شرعى ، فلقد أرى بحكم عقلى ، وإن كنا لم نر بحكم عقولنا قتالاً[5] ، ولكن أستثنى هؤلاء القوم من جميع العالم ، فإنهم قصدوا مضادة العقل ، وناصبوه[6] العداوة ، واستحلوا[7] ، بيت الإستحالات مع أنهم حادوا [8] عن المسلك الذى انتهجه غيرهم من أهل الشرائع ، وقد كان لهم فيهم كفاية ، ولكنهم شذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية الصالحة ، والعقلية الواضحة ، واعتقدوا كل مستحيل ممكناً فلم يعرف عنهم شئ[9] وبنوا من ذلك شرعاً لا يؤدى ألبتة ، إلى إصلاح نوع من أنواع العالم ،

---

[1] آل عمران : ١٩ .

[2] آل عمران : ٨٥ .

[3] فى ج ، ت :" بمجاوبتك ".

[4] فى ت : " للاعتراف بأن دينكم لا مجال فيه لعقل الإنسان ودينه ".

[5] أى أن العقل لا يحكم بالقتال إلا مع هؤلاء .

[6] فى ج : " وناصبوا " وفى ت : " ونصبوا ".

[7] فى ج : " وتحلوا ".

[8] فى ج : " مع أنهم حاروا " .

[9] أى لم يفهم منهم شئ .

إلا أنه يصير العاقل ،
إذا تشرع به أخرقاً ، أحمقاً ،
والمرشد سفيهاً ،
والمحسن مسيئاً ،

لأن من كان فى أصل عقيدته ، التى نشأ عليها [١] الإساءة إلى الخالق ، والنيل منه بوصفه بغير صفاته الحسنى ، فخليق به أن يستحل الإساءة إلى مخلوق .

وكذلك ما بلغنا عنهم فى خلقهم ، من جهل[٢] ، وضعف العقل والطمع والبخل ، ومهانة النفس ، وخساسة الهمة والقدر ، وقلة الحياة إلا قليلاً منهم .

فلو لم يجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التى لا تحصى وجوهه [لكفى ..] ، وكما يجب قتل الحيوان المؤذى بطبعه [لا يلام المرء على قتل هؤلاء] ، فكيف وثم من الموجبات ما تقدم .

فهذا ما بدا له من جهلكم ، وليس بمخاصمكم ، ولا مناوئكم ، ولا بمتهم باتباع الهوى فيكم .

ولم أقدم هذا الفصل قاصداً تبيتان ضلالتك ، لأن ذوائبها قد سارت مسرى الشمس[٣] ، وبواطلها لاحت لعيون الجن والإنس ، ولكن لأتم الحجة على نفسى ، وأحيل ما رمته أولاً من الإعتذار عن النزول إلى مجاوبتك ، وأوجب الاختلال بإنسانية من التفت إلى مقالاتكم، وعطل [نفسه ساعة] من نهار [بالاشتغال بـــ] [٤] محالاتكم التى عقيدتها قذى فى عين الحق ، ومقالتها قرع على كبد الصبر[٥].

---

[١] فى ج : " التى جرى نشاءه عليها " وفى ت : " التى جرى نشوه عليها".

[٢] كان هذا حالهم قبل النهضة الأوربية ، التى كان السبب الرئيسي فيها – كما يرى الباحثون المعتدلون – اتصال أوربا بالشرق الإسلامى .

[٣] فى ج: " صارت تستر الشمس "

[٤] كلمة النص غير واضحة فى ت ، ج.

[٥] فى ت : " ومقالها فزع فى عين العرف ".

[رأى رئيس سدنة الهياكلة بمصر]

وقال أفلاطون رئيس سدنة الهياكلة بمصر:

لما ظهر محمد ﷺ بتهامة ، ورأينا أمره يعلو على الأمم المجاورة له ، رأينا أن نقصد (إصطفن) البابلى[1] لنعلم ما عنده ، نأخذ رأيه ، فلما اجتمعنا على الخروج من مصر ، رأينا أن نذهب[2] إلى قراطيس معلمنا لنودعه ، فلما دخلنا عليه ورأى جمعنا ، أيقن أن الهياكل قد حدث فيها شئ[3] ، فغشى عليه حيناً غشية ، حتى ظننا أنه فارق فيها ، فبكينا ، فأومأ إلينا أن اسكتوا فكففنا عن الصراخ ، والبكاء ، فتصبرنا جهدنا ، حتى هدأ ، وفتح عينيه ، وقال :

هذا ما كنت أحاكم عنه ، وأحذركم منه ، إنكم قوم غيرتم فغير بكم ، وأطعتم جهالاً من ملوككم ، فخلطوا عليكم فى الأدعية ، فقصدتم البشر من التعظيم بما هو للخالق وحده ، فكنتم فى ذلك كمن أعطى القلم مدح الكاتب ، وإنما حركة القلم بالكاتب .

قال : فقلت له :

ويحك ! هذا التعظيم إنما هو للخالق ، فاجتمعت العامة فأخرجتنى من الهياكل[4] ، وكذلك ذكر عنه – أى أفلاطون – أيضاً أنه قال :

---

[1] فى ج :" اصكل من البابلى ".

[2] فى ت :" نسعى " ، وفى ج : " نصر".

[3] فى ج : " قد خلت منا".

[4] لم يستطيع البقاء عندما أراد أن يبين وجهة نظره فى وجوب الاستماع إلى ما نزل من عند الله على محمد ﷺ ، لأن العامة – الجاهلين بإدراك مثل هذه المواقف – ثارت عليه ، ووقفت بجانب من يدعو إلى التمسك بما كان عليه الآباء ولو كان ضلالاً ، وتلك ظاهرة قابلت الأنبياء جميعاً :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة : ١٠٤)

رأيت فى نومى فى ليلة حسن فيها إخلاصى ، كأن " أرمانيوس " الملك جالساً ، إذ دخل عليه غلمان بأطباق فى أيديهم [فيها] هدايا [يقدمونها له] ، فردها فى وجوههم ، ووضع خده فى الأرض ، يدعو عليهم ويقول: يا سيدى ! أعطنى ما يخصك ، ولا يشاركك فيه غيرك ، وعزيز – والله – علىّ أن أرى هذا المشهد العظيم ينتقل ، وانتقاله أحسن من التحريف ، وإقامة الدعوات على الاختلاط .

فكان على أثر ذلك ظهور محمدﷺ بدين الإسلام . وسيأتى فى هذه الرسالة ذكر [أشياء] من ديانتكم ، وأسباب التحريف المسلم بها ، وقصدكم تعظيم رجل بما هو للخالق وحده ، جرأة على الخالق ﷻ ، واستخفافاً بحقه ، وذكر إقامة الدعوات على اختلاط ، على أنى بين القصور ، لصغر السن ، وإغفال المطالعة ، وقلة العناية بذلك قبل اعتراضك إياى[1].

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ٢٨)

كما يعانى منها المصلحون فى كل عصر وجيل ، لأن العقبة الكئود أمام برامجهم الإصلاحية ، هى سهولة إثارة العامة ضدهم ، ويكفى أن تتصفح تاريخ جمال الدين الأفغانى – كمثل على ذلك – ، وتلميذه الشيخ محمد عبده ، فسترى أن من اتخذوا الوظائف العامة وسيلة للارتزاق ، وجمع الثروة ، وقفوا فى سبيل هذا التيار الإصلاحى ، لا حبًّا خالصاً فى الدين ولا دفاعاً عنه ، وإنما خوفاً على ضياع المركز ، وذهاب موارد جمع الثروة ، إلا قليلاً منهم ، دفعه جهله للوقوف فى وجه التيار الإصلاحى .

(1) سقط من ع من أول رسالة أبى عَبِيدة حتى هنا ، ووضع بدلاً عنها النص التالى :

" الحمد لله الذى ليس لأزليته بداية ، الأبدى الذى ما لأبديته نهاية ، خلق عيسى من غير ذكر ، وحوى من غير أنثى ، وآدم من تراب ، إن فى ذلك لآية ، أحمده حمد من نزه عن الجوهر والعرض والجسد ، وأشكره شكر من قدسه عن أن يكون والد ، أو يكون له ولد ، وأشهد أنه الملك الحق الذى لا يهزم ولا يغلب ، القوى الذى يفنى كل شيئ ، ولا يقتل ، ولا يصلب ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بشر به عيسى ، ونص عليه موسى صلى الله عليهم أجمعين ، إن الدين عند الله الإسلام ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين".

[إبطال دعوى ألوهية عيسى عليه السلام وإثبات نبوته من نصوص أناجيلهم]

أما بعد :

أيها الأعجمى الألكن ، الطاعن على كتاب الله جهلاً ، ولا يعرف لخطابه فصلاً ، والملتمس له تأويلاً ، وأنت لم تؤت من العلم كثيراً ولا قليلاً.

هلا راجعتك [١] بصيرتك ، وناجيت بالتحقيق سريرتك ؟ ، فعلمت أنه مترل بلغة لا تعلمها ، وعبارة لا تفهمها .

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [٢]

ومن أعجب قولك ، الشاهد على جهلك ، أن تندب مسلماً إلى الإيمان بالله ، وترغب مؤمناً فى عيسى بن مريم رسول الله[٣] وكلتا الخلتين قد أحكم عندنا مضمارها[٤] ولدينا ثبوتها واستقرارها ، ومنا صدع ظهورها فى الخليقة واستمرارها ، كواكب الإيمان بالله عندنا تتجلى ، ونحن بالمسيح ابن مريم رسول الله أولى ، قدرناه حق قدره ، وقلنا بفضله المعلوم وفخره ، واعتقدناه بمترلة تقبلها الأفهام ، وتليق بالعقول والأوهام[٥].

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾[٦].

---

[١] فى ج : " عارتك " وفى ت : " أعدت "

[٢] آل عمران : ٧

[٣] من ع ، وفى ج :" أن تندب مسلماً إلى الإيمان بالله عيسى ، وتولى عيسى بن مريم رسول الله" ، وفى ت : إلى الإيمان بالله .. عيسى بن مريم رسول الله" .

[٤] من ع ، وفى ج : "وكلتا الخيلتين عند أحكم مضمارها ". وفى ت : " وكلتا الحالتين عند حكم مضمارها".

[٥] فى ع : وفى ج : " واعتقدناه بمترل ما تعد فى الأفهام لائقة بالعقول والأوهام : وفى ت " واعتقدناه بمترلة سابغة فى الأفهام لائقة بالعقول والأوهام".

[٦] النساء : ١٧٢.

وتبرأنا من قوم غدوا فيه على طرفى نقيض : مفتون به ضال ، وظالم بغيض ، وهما فى عمى بصائرهما سيان ، ولدى حلبة الكفر فرسا رهان ، أما المفتونون به الضالون ، فقد أوقعوا أنفسهم فى خطيئة [ذى شقين] يستحيل غفرانها[1] :

[**الأول**] : الإشراك بعبادة الله غيره .

[**الثانى**] : أنهم أوردوا عيسى بغلوهم فيه مورداً يعتذر عند الله منه يوم الحشر بين يديـــه ، إذ يقول له ، وهو تبارك وتعالى أعلم :

﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِـــي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَـــمُ مَـــا فِـــي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [2].

أما من أبغضه ، أو سبه ولعنه ، فإنما أوردوه بفعلهم مورداً يكون الله حسيبهم فيه ، والقائم دونه ، يأخذ حقه منهم [..][3].

---

[1] من ع . وفى ج ، ت " أن للمفتون مزيتين فى الضلال على من أبغضه وسبه ، أحدهما : الإشراك بعباده الله غيره والأخرى : أنهم أوردو ا" .

[2] المائدة : ١١٦ ، ١١٧.

[3] زاد فى ع : " هذا وقد اطلعت على كتابك ، وعلمت مرامك ، ويعلم الله أنك فضلاً عن جهلك لديننا – دين الإسلام – القويم ، لست على شئ من دينك السقيم ، فلذلك قد أشفقت عليك ، وحررت لك كتابى هذا ، ردًّا على كتابك لعلك بعد تلاوته ، ترجع عن غيك وجهلك ، ويهديك الله صراطاً مستقيماً ، فأعرنى السمع والبصر ، لأشرح لك من نفس كتابيك : الإنجيل والتوراة ، فساد ما أنتم عليه من الاعتقادات المضحكة ، المخجلة التي لو لم توجد النصرانية إلى وقتنا هذا ، لما أمكن التصديق بوجود طائفة تعقل بين الناس ، فتعتقد أقوالكم ، أو ترضى بمقالاتكم .

ثم أبين بعد ذلك أساس ديننا ، وموافقته للمدنية ، ومساعدته لأشرف مقاصد المجتمع الإنسانى ، عسىَ الله أن يكشف عن بصيرتك ، وتميز الحق من الباطل ، فتخرج من الظلمات إلى النور .

أخبرنى أيها الجاعل إلهه المسيح من حيث هو من الله روح ! لم تظلم آدم ؟ وأنتم تقولون وتوافقون : أن الله تعالى نفخ فيه من روحه بعد أن سواه من تراب ؟

وتقولون : إن المسيح نفخة من روح الله فى رجل ، سواه الله تعالى من لحمة مريم ، المتخذة من آدم ، فلحمه إذن بمنزلة ترابه ، ونفخة من روح الله بمنزلة نفخة من روح الله ، فلماذا أوجبت الألوهية لعيسى ، و لم توجبها لآدم ، وأنت تقر له بروح الله فى حجاب من تراب[1].

ما أزين بك أن تقول : إن الله خلق عيسى وأمه آية للناس ، عبداً ورسولاً ، [وهى] صديقة مباركة ، [و] كانا يأكلان الطعام[2] ، وأكل الطعام هنا كناية عن التغوط ، وقد كان يجب لله تعالى ، لو سبق فى حكمه أن يكون إنساناً ويترل لمقابلة عباده[3] - كما زعمت - أن يمتنع عن التغوط ، إذ هو دنية ، ابتلى بها آدم وبنيه ، مبينة لنقصهم واحتقارهم .

وهو تعالى المختص بالكمال ، والموصوف بالعظمة والجلال ، فلا يليق به تلك الدنية ، ولا نعلم فى فرق ملتكم من يقول : إن عيسى لم يكن يتغوط ، ولا يبول ، حاشى الله أن يحقر خلقاً له بدنية ، يراها أخس الآدميين عاراً على نفسه ، ثم يتشبه بعبيده فيها ، بل كان يتركها دون غيرها من صفات الإنسانية[4].

أليس من الواضح عند ذوى العقول ، أنه لما يلزم من عدم الأب والأم البشريين لآدم عليه السلام أن يكون ابناً لله تعالى ، ولما لم يبعد خلق آدم من التراب ، لم يبعد أيضاً خلق عيسى عليه السلام من الدم ، الذى كان يجتمع فى رحم أمه عليهما السلام .

---

[1] فى ج " فلحمة أذنه بمترلة ترابه ، ونفخه من روح الله ، فهى أوجبت بذلك الألهية لعيسى ، فمالك لا توجبها لآدم وأنت تقول أنه روح من الله فى فخار من تراب " .

[2] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾

(المائدة : ٧٥)

[3] فى ج ، ت : " لمباشرة ".

[4] سقط من ع من أول قوله : " ما أزين بك ".

فلو أنصفت وطلبت الحق ، لعلمت أن ذلك من البيان ، ما يبلغ إلى الغاية القصوى ، فى تحصيل المرام من هذه المسألة ، ولكنك قد اتخذت التقليد دليلاً على عدم النظر ، والتأمل فى الأمور مذهباً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

أخبرنى أيها المسكين :

متى ادعى عيسى عليه السلام الألوهية تصريحاً ؟ أو متى ذكر الأقانيم التى تقولونها توضيحاً ؟[١]

ألم تقرأ فى إنجيلك الكائن بين يديك عن عيسى ، أنه قال حين خرج من السامرة ولحق بالجليل[٢] : أنه لم يكرم أحد من الأنبياء فى وطنه[٣]؟ وفى الإنجيل للوقا : أنه لم يقبل أحد من الأنبياء فى وطنه فكيف تقبلونه ؟[٤]

وحسبك هذا من دليل على أنه ما ادعى غير النبوة المعلومة .

وفى الإنجيل لمرقس[٥] أن رجلاً أقبل إلى المسيح ، وقال له :

[أيها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية[٦]، فقال له : لماذا تدعونى صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد ، وهو الله[٧]، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة ، فاحفظ

---

[١] زيد فى ع من قوله :" أليس من الواضح ".. "

[٢] فى ج ، ت : " بجلجان ".

[٣] **" وبعد اليومين خرج من هناك ومضى إلى الجليل ،لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه" .**
(يوحنا ٤ : ٤٣ - ٤٤)

[٤] **" فقال لهم : على كل حال تقولون لى هذا المثل : أيها الطبيب ! إشف نفسك ، كم سمعنا أنه جرى فى كفر ناحوم ، فافعل ذلك هذا أيضاً فى وطنك ، وقال : الحق أقول لكم : إنه ليس نبى مقبولاً فى وطنه ".**
(لوقا ٤ : ٢٣ - ٢٤).

[٥] فى ج ، ت " لماركس " .

[٦] فى ج ، ت " لأنال الحياة الدائمة ".

[٧] فى ج ، ت " لم قلت لى صالحاً إنما الصالح الله وحده".

الوصايا ، قال له : أية وصايا ؟ فقال يسوع[1]: لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك] [2].

وفى الإنجيل ليوحنَّا[3] أن اليهود لما أرادت القبض[4] عليه وعلم بذلك ، رفـع بـصره إلى السماء ، وقال : قد دنا الوقت يا إلهى فشرفنى لديك[5] ، واجعل لى سبيلاً إلى أن أملك كل ما ملكتنى ، الحياة الباقية ، وإنما الحياة الباقية ، أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً ، وبالمسيح الذى بعثـت ، وقد عظمتك على أهل الأرض ، واحتملت ما أمرتنى به ، فشرفنى لديك[6] .

وفى الإنجيل[7] أن عيسى قال لتلاميذه : لا تسبوا أباكم على الأرض ، فإن أباكم الذى فى السماء وحده ، ولا تدعوا معلمين ، فإن معلمكم المسيح وحده[8].

فقوله : ولا تسبوا أباكم على الأرض [معناه] : لا تقولوا : إنه على الأرض ، ولكنه فى السماء.

---

[1] وردت العبارة فى ج ، ت هكذا " .. الله وحده .. وقد عرفت الشروط وذلك ألا تسرق ، ولا تزن ، ولا تشهد بالزور ، ولا تخون ، أكرم أباك وأمك ".

[2] متى ١٩ : ١٦ - ١٩ ، أما ما جاء فى إنجيل مرقس ، كما أشار المؤلف بهذا الصدد ، فهو كما يلى : **" وفيما هو خارج إلى الطريق ، ركض واحد ، وجثا له ، وسأله أيها المعلم الصالح ! ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ، فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحاً ، ليس أحد صالحاً إلا واحد ، وهو الله ، أنت تعرف الوصايا ، لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك ".** (مرقس ١٠ : ١٧ - ١٩)

[3] فى ج : " ليحنى ".

[4] فى ج ، وفى ت :" التقبض ".

[5] فى ج : " لذلك "

[6] قارن يوحنَّا :" الإصحاح السابع عشر.

[7] فى ج : " وفى الإنجيل لما أن عيسى .."

[8] ورد النص فى إنجيل متى هكذا : **"ولا تدعوا لكم أباً على الأرض ، لأن أباكم واحد الذى فى السموات ، ولا تدعوا معلمين ، لأن معلمكم واحد المسيح ".** (متى ٢٣ : ٩ - ١٠)

ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى وقال : ولا تدعوا معلمين ، فإن معلمكم المسيح وحده.

فها هو [ذا] قد سمى نفسه معلماً فى الأرض لهم ، وشهد أن إلههم فى السماء واحد .

وفى الإنجيل للوقا أن عيسى أحيا الميت بباب مدينة (نائين)[١].

عندما[٢] أشفق لأمه ، لشدة حزنها عليه فقالوا : إن هذا النبى لعظيم[٣] ، وإن الله قد تفقد أمته[٤].

وفى الإنجيل ليوحنَّا[٥] أن عيسى قال لليهود :

لست أقدر [أن] أفعل من ذاتى شيئاً لكننى أحكم بما أسمع ، لأننى لست أنفذ إرادتى ، بل إرادة الذى بعثنى[٦].

وفى الإنجيل ليوحنَّا[٧] أيضاً أنه أعلن صوته فى البيت ، وقال اليهود : قد عرفتمونى فى موضعى ، ولم آت من ذاتى ، ولكن بعثنى الحق ، وأنتم تجهلون[٨]، فها هو [ذا] قد جعل نفسه ، وموضعه معلومين عند اليهود ، وجعل الله عندهم مجهولاً ، وقال :

إنه لم يأت من ذاته ، ولكن الله قد بعثه ، فما زاد فى دعواه شيئاً على ما ادعاه غيره من الأنبياء عليهم السلام .

---

[١] فى ج ، ت : " نائم ".

[٢] فى ج ، ت :" حين".

[٣] فى ج ، " العظيم".

[٤] ".. فأخذ الجميع خوف ، ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه ". (لوقا ٧ : ١٦)

[٥] فى ج :" ليحنا".

[٦] ونص إنجيل يوحنَّا : " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً ، كما أسمع أدين ، ودينونتى عادلة ، لأنى لا أطلب مشيئتى ، بل مشيئة الأب الذى أرسلنى". (يوحنَّا ٥ : ٣٠)

[٧] فى ج : "ليحنا".

[٨] يشير إلى قول إنجيل يوحنَّا : " فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلاً : تعرفوننى ، وتعرفون من أين أنا ، ومن نفسى لم آت ، بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه". (يوحنَّا ٧ : ٢٨)

وفى الإنجيل أنه قال لليهود – بعد حوار طويل ،[وكلام] كثير مذكور بينه وبينهم فى ذلك المجلس – حين قالوا له : إنما أبونا إبراهيم .

قال: إن كنتم بنى إبراهيم ، فاقفوا أثره ، ولا تريدوا قتلى ، على أنى رجل أديت إليكم الحق الذى سمعته من الله ، غير أنكم تقفون أثر آبائكم .

فقالوا : لسنا أولاد زنا ، إنما نحن أبناء الله ، وأحباؤه .

فقال : لو كان أباكم لحفظتمونى ، لأنى رسول منه [أى من الله][١] ، خرجت مقبلاً ، و لم أقبل من ذاتى ، ولكن هو بعثنى ، ولكنكم لا تقبلون وصيتى ، وتعجزون عن سماع كلامى ، إنما أنتم أبناء الشيطان ، وتريدون إتمام شهواته ، إلى كلام كثير ذكر فى الإنجيل الذى بأيدكم ، [عما] [٢] كان بينه وبين اليهود فى ذلك[٣].

وفى الإنجيل أيضاً : أنه كان يمشى يوماً فى أسطوان سليمان ،فأحاطت به اليهود وقالت له : إلى متى تخفى أمرك[٤] ؟ إن كنت المسيح الذى ننتظره ، فأعلمنا بذلك[٥].

و لم يقولوا : إن كنت الله ، لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك[٦] ، ولا اختلاف عند اليهود أن الذى انتظروه [هو] إنسان نبى ، ليس بإنسان إله كما تزعمون .

---

[١] زدنا ما بين القوسين لأن النص يقول : " **لأنى خرجت من قبل الله وأتيت ، لأنى لم آت من نفـــسى بـــل ذاك أرسلنى**". (يوحنَّا ٨ : ٤٢)

[٢] فى ج : " إذا " وفى ت : "لأنه " .

[٣] قارن يوحنَّا الإصحاح الثامن.

[٤] نص إنجيل يوحنَّا : " **إلى متى تعلق أنفسنا** " (يوحنَّا ١٠ : ٢٤)

[٥] يوحنَّا (١٠: ٢٥)

[٦] لم يوفق أبو عَبيدة فى الإستدلال بهذا النص ، على أن الإنجيل الموجود بين أيدينا ينكر ألوهية عيـــسى ، كمـــا أخطاه الصواب فى الاعتماد عليه – أى النص المشار إليه – بأن اليهود لم تعلم من دعواه أنه ادعى الألوهية ، ذلك أننـــا نقرأ بعد فقرات قليلة ، أن الحوار تطور بينه وبينهم : " **فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه ، أجابهم يسوع : أعمـــالاً**

-

وفى الإنجيل أيضاً عنه : أن اليهود أرادوا القبض[1] عليه ، فبعثوا لذلك الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم .

فقالوا : لِمَ لَمْ تأخذوه ؟

فقالوا : ما رأينا آدميا أنصف منه !

فقالت [2] اليهود : وأنتم أيضاً مخدوعون[3] !

أترون أنه آمن به أحد من القواد ، أو من رؤساء أهل الكتاب ؟

إنما آمن به من الجماعات ، من يجهل الكتاب .

فقال لهم [نيقوديموس] - وهو من كبار القسس[4] :

أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه؟

فقالوا له : إكشف الكتاب ! ترى أنه لا يجئ من الجليل نبى[5].

فما قالت اليهود ذلك إلا [لأنه] [6] أنزل لهم نفسه منزلة نبى فقط ، ولو علمت من دعواه [إدعاء] الألوهية لقالته يومئذ [تقبيحاً له ، وتحريضاً على قتله] .

-

كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي ، بسبب أى عمل منها ترجموننى ؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف ، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً ". (يوحنا ١٠ : ٣١ - ٣٣)

فإذا سلمنا بصحة هذا النص - وذلك بعيد - لا يسعنا إلا التصديق بأن اليهود الذين اشتركوا فى هذه المناقشة ، علموا أن عيسى ادعى الألوهية .

[1] فى ج ، ت " التقبض" .

[2] فى ج :" قالت " .

[3] فى ج " تخدعون".

[4] فى ج :" قعود من القس " وفى ت ." نقود من القس".

[5] قارن يوحنا ٧ : ٤٥ -٥٢.

[6] فى ت :" إلا وقد أنزل لهم نفسه " وفى ج :" إلا وقد أنزل الله نفسه "

وكثير من هذا فى الإنجيل ، يطول ذكره ، ولا محالة أنك إن سمحت نفسك بالانقياد إلى الحق ، وخلعت الهوى ، علمت أن ذلك كذلك .

وفى الذى اتخذتموه دليلاً على صلبه من كلام عاموص النبى ، أن الله قال على لسانه :

ثلاثة ذنوب أقبل لبنى إسرائيل [و] الرابعة لا أقبلها ، [وهى] بيعهم الرجل الصالح .

[حجة عليكم لا لكم ، لأنه] لم يقل : بيعهم إياى ، ولا قال : بيعهم إلهاً متساوياً معى ، ويجرى تأويل قوله [هنا] على وجهين :

١- إما أن يكون عنى بالمبيع عيسى كما تزعمون ، فقالوا [حينئذ] :

إنه الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، كما قال عاموص ، وليس بالإله المعبود .

٢- وإما أن يريد بالمبيع غيره ، وهو الذى شبه لليهود فابتاعوه ، وصلبوه [1]، ويلزمكم [وقتئذ] إنكار صلوبية عيسى عليه السلام .

ثم جعلت حجة على إجلال منزلة عيسى عن آدم ، والاعتلال به إلى منزلة الألوهية أنه أحيا ميتاً، ولم ترد أن يكون الله تعالى [قد جعل] [2] له ذلك برهاناً على نبوته ، ودلالة على صدق رسالته ، ثم لم تلبث أن أوجبت ما نفيت ، وأقررت بما أنكرت ، وكنت كالقائم القاعد فى الحال الواحد [وذلك حين] قلت : إن عيسى فى حال الألوهية التى تصفونه بها ، قد أيد نفراً من الحواريين بإحياء الموتى - بزعمكم - ، وجعلهم رسلاً[3] إلى الأجناس ، فأحيوا الموتى بزعمك .

فما الذى أوجب أن يكون المسيح فى حال الألوهية ، قد أيد بذلك بشراً[4] ، وجعله رسولاً إلى الأجناس ، ومنع أن يكون الله عز وجل يؤيد بشراً ، ويجعله رسولاً إلى الناس ؟

---

[1] يساق هذا دليلاً على عدم صلب المسيح عليه السلام

[2] فى ح :" أن يجعل ".

[3] فى ج ، ت :" وجعل لهم أرسالاً ".

[4] فى ج :" كثيراً " .

فإن كان المسيح من أجل إحياء ميت[1] هو الله ، فكل من أحيا ميتاً بزعمك فهو الله!

وبإجماع من جميع الملل الثلاثة ، أن إلياس النبى أحيا الموتى ، وكذلك اليسع [2] ، فَلِمَ تظلمون بعضاً دون بعض ؟ ثم قلت : إن الله ﷻ لما كلم العالم على ألسنة أنبيائه ، الذين جعلهم رسله ، ووسائطه إلى خلقه ، ليعلموهم الإقرار بربوبيته ، وشرعوا لهم ترك أوثانهم ، وأصنامهم الفاشية ضلالتها فى جميع الأرض [لم يذعنوا] ، فنزل هو تعالى بعد ذلك من السماء ، ليكلم

---

[1] فى ج : " فإن المسيح فمن أحيى ميتاً "

[2] تحدث القرآن الكريم عن إلياس مرتين :

(أ) ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنعام : ٨٥)

(ب) ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ(١٢٤)أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصافات : ١٢٣ - ١٣٢)

وليس فيهما ما يدل على أنه أحيا الموتى ، كذلك لم يذكر مؤلفو قصص الأنبياء شيئاً من ذلك ، بإستثناء الثعالبى الذى ذكر أن إلياس أحيا ميتاً بعد موته بأربعة عشر يوماً (إنظر : ابن كثير ج٢ ، ص ٢٤١ - ٢٤٧ ، الثعالبى ص ٢٢٨ ، وهو من الإسرائيليات التى نقلها الثعالبى من سفر الملوك الأول إصحاح ١٧)

أما اليسع فقد ذكره القرآن فى موضعين :

(أ) ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام : ٨٦)

(ب) ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (سورة ص : ٤٨)

دون أن يبين أن الله أظهر على يديه معجزة إحياء الموتى ، كذلك لم أعثر فى قصص الأنبياء على ما يؤيد رأى أبى عَبيدة ، إلا أن العهد القديم ذكر أن اليسع أحيا صبياً مات بعد إصابته بدوار فى رأسه (الملوك الثانى ٤ : ١٦ - ٣٧) ، ويبدو أن أبا عَبيدة تأثر بذلك - وهى ظاهرة ابتلى بها كثير من علماء المسلمين - فسلم بأن إلياس واليسع أعادا الحياة للموتى ، ونسى أن القرآن الكريم لم يخبر أن الله أيد نبياً غير عيسى عليه السلام بمعجزة إحياء الموتى ، وعليه فيكون قوله :" وبإجماع من جميع الملل .. إلخ " قولاً خاطئاً.

الخلق بذاته ، لئلا تكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حجتهم بأن كلمهم بذاته ، لا بواسطة ، فارتفعت المعاذير عمن ضيع عهده بعد أن كلمه بذاته .

أخبرنى أيها المغرور!

ما الذى أوجب ذلك ؟ هل كان علمه[1] لم يحط بما فعل أنبياؤه ، حتى هبط ليطلع على فعلهم ؟

أو هل كانت أنبياؤه متهمة عنده لمخالفة أمره ؟

أو هل كانت الأنبياء لم تقو على بيان[2] ما جاءت به من الإيمان بالله ، وعجزت عن إظهاره فى العالم ، وضعفت عن إظهار المعجزات العجيبة الدالة على صدقهم ، حتى هبط هو ، ففعل ما لم يفعله [من أرسل] من قبله ؟ فلقد قصصتم فى الإنجيل الذى بأيديكم :

أن اليهود كانت تطالبه[3] بمثل معجزات موسى بن عمران ، فلا يجيبهم بشئ ، وسأذكر ذلك ، وبعض مواضعه من الإنجيل إن شاء [الله] ﷻ .

أخبرنى أيها المخدوع !

ما الذى أظهره دليلاً على أنه هو الله حتى تنقطع حجة العالم به دون غيره ، كما زعمت؟

وما الذى رأوه من العظمة التى لم يكونوا رأوها حتى ترتفع المعاذير ؟ ألاجل أن رأوا يديه ورجليه مكتوفة ! - كما تظن من غير يقين - مصفوعاً على قفاه ، مبصوقاً فى وجهه ، بتاج من الشوك على رأسه[4] ، مصلوباً على جذع [5] ، مسمرة يداه ورجلاه فيه .

وعجباً لتمويهكم أيضاً ، بإختلافكم فى خشبة صلبه ، فمن قائل : كانت من السرو .

ومن قائل : كانت من الأرز ،

ومن قائل : كانت أطروشاً من قنبيط !!

---

[1] فى ج :" هل كان معلمك ".

[2] فى ج :" هل كانت الأنبياء لم تقوا فيما بان".

[3] فى ج ، ت :" تطلبه".

[4] قارن انجيل يوحنا ١٩ : ١ - ٥

[5] فى ج ، ت " على أطروش قلبيط".

وقلتم : إن الخشبة قطعت ، وحملت على عنق الله تبارك وتعالى إذلالاً له ، أو تبكيتاً ، وصلب عليها .

تشنعون بذلك خطيئة اليهود ، لتضرموا قلوب عوامكم ضغناً عليهم .

ولقد وجب [وحق الإنسانية] تنقيص تلك الألوهية بما لا يخفى على أحد [ولو كان صبياً] .

لا جرم أنه لو سبق فى حكم الله ، أن يباشر خلقه ، مثل المباشرة التى ذكرتما ، لأنبأت بذلك التوراة ، والأنبياء تصريحاً ، لا كتابة وألغازاً ، ولجل ذلك عن الأفكار ، ولعظم فى الأوهام ، وانتظرته الأمم بأشد أسباب الإنتظار .

ولقد[1] تأولتم فى التوراة ، وفى بعض النبوات [لإثبات التثليث] بما يخرج عن منهج الحق ، ويبعد عن الصدق[2] ، ويوجد تأويل من قبلكم لها ، [وهو] أهدى سبيلاً ، وأقوم قيلاً ، وأوضح دليلاً ، [مثلاً] ، كما تأولتم فى الملائكة الثلاثة الذين أتوا بالبشارة [إلى] إبراهيم تحت العفصة ، فقام إليهم ، وبجلهم ، وخاطبهم خطاب رجل واحد على ما ذكر فى توراة اليهود[3].

جعلتم [ذلك] دليلكم على التثليث ، إلى غير ذلك من التأويلات التى هى رمد فى عين الإيمان ، وشجى[4] فى صدر كل ناطق إنسان .

ثم احتال بعضكم[5] لذلك الكفر البشيع ، والجهل الشنيع فى وجوه من العذر [التى] هى أقبح من الذنب ، كالشمس ثلاثة أشياء : جرم ، ونور ، وحرارة ، تشبيهاً بالتثليث .

وكالحديد يحميها الحداد ، ثم يمدها ، فليمدها ما شاء ، فإنه ليس يمد النار ، وإنما يمد جسم الحديد ، تشبيها بالله ﷻ ، حين صلب بظنكم ، إلى غير ذلك من الهذيانات .

---

[1] فى ج ، ت :" أما أنكم".

[2] فى ج ، ت :" ويتزح عن مبين الصدق "

[3] انظر سفر التكوين ١٨ : ١ -٢٢.

[4] فى ج : " سحى".

[5] فى ج : " بعضهم".

وإنما استدركتم العذر بهذه الأقوال الوخيمة ، لتوهموا جهلاءكم[1] ، أن لتلك البشائع التى تعتقدونها ، وتنطق بها ألسنتكم[2] ، أسراراً وأصولاً ثابتة فى الحقائق ، حين ينظرون إلى من سواهم من أهل الملل ، يعبدون الله وحده ، ولا يشركون به شيئاً ، وإن اختلفوا فيما سوى ذلك.

وقد دعا سيد المرسلين محمد ﷺ أربابكم[3] إلى المباهلة ، حين أنزل الله عليه :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[4]

فجزعوا لذلك ، وأبوا عليه ، فأوعدهم عليه الصلاة والسلام لو باهلوا بإضطرام ذلك الوادى ناراً عليهم ، فتخوفوا نقمة الله تعالى ، حين يظهر[5] كرامته عليهم وجاهه لديه ، وإلا فَلِمَ لَمْ يجيبوه[6] حينئذ ويتباهلوا ، ولا يحترقون كما أوعدهم ، فيكون فى ذلك عليه ما لا يخفى[7]:

[وإذا تأملتم بعين الإنصاف] الإنجيل الذى بأيديكم ، فإنكم تجدون فيه نصًّا على ما قدمت من الدلائل على براءة عيسى مما نسبتموه إليه من ادعاء الأولهية لنفسه :

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[8].

---

[1] فى ج ، ت :" سفهاءكم "

[2] فى ج :" ألسنتهم"

[3] فى ج ، ت : " وقد كان سيد النبيين محمداً ﷺ دعى أربابكم "

[4] آل عمران : ٥٩ : ٦١.

[5] فى ج " سعوا" ، وفى ن : " شنوا " .

[6] فى ج ، ت :" بيكتوه "

[7] انظر البخارى جـ٥ ص ٢١٧ وابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١٠٠ – ١٠٨.

[8] آل عمران : ٧٩

غير أن من ضل بعده إلى مدة من نحو ثلثمائه سنة كانوا (مهرة) فى استدراك الأكاذيب ، وتقفية الإنجيل بها ، فادعوا[1] أنه[2] يكلمهم فى سحاب السماء ، وفى أضغاث الأحلام ، وشدوا أزر[3] ذلك بأن نصوا فى الإنجيل :

أن الإيمان بعيسى لم يتم إلا بعده ، ليجعلوا ما جاءوا به من الكذب تماماً لإيمانهم .

وأصل هذا النص أن عيسى قال لأصحابه:

إن الإيمان به لا يتم إلا بالذى بعده ، وأكد ذلك فى مواضع كثيرة صرح فيها بسيد النبيين والمرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ . سأذكر ما تأتى لى ذكره فى هذه الرسالة إن شاء الله تعالى. ولما هموا بالتحريف[4] بعد مدة من وفاة[5] الحواريين رضى الله عنهم ، وكرهوا ما ندبهم إليه عيسى ، وأمرهم به ، فانحرفوا عنه بتأويلات وخيمة اخترعوها ، وإلى شرائع مضلات شرعوها .

***

[بيان إضطراب الأناجيل وتناقضها
وهو الجزء الأول من الرد على الشبهة السابعة]

وفى الإنجيل الذى بأيديكم [كثير من المتناقضات] [6].

---

[1] فى ج ، ت :" يدعون "

[2] فى ج : " أنهم ".

[3] فى ج :" وشدوا أن رد ذلك"

[4] فى ج :" بالتخويف".

[5] فى ج ، ت :" هلاك "

[6] ذكر صاحب كتاب " الفاصل بن الحق والباطل " متناقضات أخرى ، أردنا إثباتها هنا بتصرف مع تصحيح نصوص الإنجيل التى أخطأ فى نقلها :

أخبرنى أيها المغرور !

أى ضمان عندكم على صدق رواة دينكم ؟

وأى شهادة لكم على صدق أقوال مؤسسى مذهبكم ؟

أنتم تعلمون علم اليقين ، وتقرون مع الناس أجمعين ، أن عيسى عليه السلام لم يأخذ القلمْ بنفسه مطلقاً ، ولم يترك مسطوراً من أقواله ، ولم يكلف أحداً بجمع مقالاته ، ولا أملى إنساناً شريعته ، وإنما أحاديثه ومواعظه كانت كلها شفاهاً لم تحصرها الدفاتر ، ولا سطرتها الأقلام فى زمن المسيح عليه السلام ، ولا فى زمن متقارب منه ، لأن دينكم فشا فى الناصرة بين جماعة من صيادى الأسماك .. قليلى العدد. ولاختلاطهم باليهود ، واستيلاء الجهل عليهم ، لم يقدروا على كتابة شئ من أقوال المسيح عليه السلام ، ثم اشتغلتم بعد ذلك بالمنازعات ، والمدافعات عن النصرانية .. فلم تفكروا فى تقرير شئ من أصل دينكم ، وبقى هذا الدين .. فى الأذهان تلعب به أيدى الأغراض ، وهو يتقلب بين ما يمحوه النسيان ، وبين ما يثبته ويزيد فيه حوادث الأيام ، حتى آل الأمر إلى اختلاف مذاهبكم ، وتعدد شرائعكم ، فصار عندكم أزيد من الخمسين إنجيلاً ، اتفقتم بعد الجيل السادس على خمسة أناجيل ، اخترعتموها تعرفون منها أربعة مشهورة .. وها أنا أسرد عليك عدة من تناقضها ، لتعلم تغييرها وتبديلها ، وعدم الوثوق بشئ منها :

١- قال " لوقا" : **"وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله .. فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً ، وتسمينه يسوع ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية "** (لوقا ١ : ٢٦ -٣٠)

ثم يذكر بعد ذلك - أى لوقا- أن يسوع حمل إلى بيلاطس مذلولاً مهيناً : **" وسأله** (أى سأل بيلاطس يسوع) **بكلام كثير فلم يجبه بشئ ، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد "** . (لوقا ٢٣ : ٩ : ١٠)

وهذا تناقض ، لأن أحد النصين يجعل يسوع عليه السلام ملكاً عظيماً .

والآخر يصفه بالذل والمهانة ، ثم إن هذا الملك الذى بشر به ، لم يتحقق مطلقاً ، أما على رأيكم فقد صلب ، وأما على رأينا فقد رفعه الله تعالى من غير ملك ، ولا مهانة .

وقولكم فى هذا لا أصل له ، ثم إن محاورة تجرى بين عيسى عليه السلام والأحبار ، أقحمت فى الإنجيل إقحاماً ، فأى شئ أدخلها فى الإنجيل المنزل من السماء ؟

فالأولى بك أن تقطع أن هذا غير منزل .

٢- ذكر إنجيل " لوقا " أنه لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود ، ظهر له ملاك السماء ليقويه (انظر لوقا ٢٢ : ٤٢)

لم يذكر ذلك " متى " ، ولا " مرقس " ، ولا " يوحنَّا " !

فإن كانوا قد تركوا ذلك ، لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام .

وإن كان الترك صحيحاً فتكون الزيادة كذباً فى النسخة الأخرى ! وليس هذا سوى التحريف والتبديل ، مع أن نقل " لوقا" يقتضى رفع المسيح عليه السلام إلى السماء ، لأن الملك لا تقتله اليهود ، وما أنزل إلا للعصمة من الأذى .

وهذا ظاهر وهو مبطل لمعتقدكم فى الصلب ، ثم تقوية الملك إن كان للاهوت المتحد بالناسوت فمحال ، لأن الله تعالى لا يحتاج إلى تقوية بغيره ، وإن كان للناسوت ، فحينئذ أين هو اللاهوت ؟ فما حصل الاتحاد الذى تقولونه .

٣- قال " يوحنَّا ": إن أول آية أظهرها المسيح عليه السلام هى تحويل الماء خمراً (يوحنَّا " ٢ : ١ - ١١) ، ولم يذكرها الثلاثة الأخر ، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين ، وإن كانت غير صحيحة عندهم ، فكيف ينقل الدين عن شخص واحد هو يوحنَّا ، وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر .

٤- قال " يوحنَّا " : إن المسيح غسل أقدام تلاميذه ، ومسحها بمنديل كان فى وسطه (إنظر يوحنَّا ١٣ :٤-١١) وأمرهم أن يقتدوا به فى التواضع ولم يذكر ذلك الثلاثة الأخر ، فإن كان كذباً دخل الخلل ، وإن كان صدقاً ، فَلِمَ أغفلوه ؟ فدخل الخلل أيضاً .

٥- قال " متى" : **"حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ، إلى يوحنَّا ليعتمد منه ، ولكن يوحنَّا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى".**
(متى ٣ : ١٣ -١٤)

وفى موضع آخر يقول : **" أما يوحنَّا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح ، أرسل اثنين من تلاميذه ، وقال له : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر".**
(١١ : ٢-٣)

وقال يوحنَّا: **"وفى الغد نظر يوحنَّا يسوع مقبلاً إليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل .. فهذا هو الذى يعتمد بالروح القدس"** .
(١ : ٢٩-٣٣)

ولم يشارك أحد من أصحاب الأناجيل " يوحنَّا" فى الإشارة إلى عيسى بأنه حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، كذلك اضطرب " متى" ، فمرة يحكى عن احتياج " يوحنَّا " لعيسى ، وأخرى يبين لنا جهل " يوحنَّا " - وهو النبى بحقيقة عيسى.

٦- يحكى يوحنَّا أن مريم المجدلية جاءت لزيارة قبره ومعها امرأة أخرى ، وإذا ملك نزل من السماء وقال لهما : لا تخافا فليس يسوع هنا ، فقد قام بين الأموات .
(٢٧: ١-٧)

بينما يحكى " يوحنَّا " : أنها جاءت وحدها فرأت أن الصخرة قد رفعت عن القبر ، فأسرعت إلى " بطرس " وتلميذ آخر ، فأخبرتهما أن المسيح عليه السلام قد أخذ من تلك المقبرة ، فخرج " بطرس " وصاحبه ، فأبصرا الأكفان موضوعة فى ناحية القبر ، وبينما هى واقفة تبكى .. قال لها يسوع : يا امرأة لماذا تبكين ؟ من تطلبين .. إلخ .

(انظر يوحنَّا ٢٠ : ١١ - ١٨)

[فمثلاً][1] استشهادكم بكلام الأنبياء عليهم السلام واتخاذكم أقوالهم حجة[2] بينكم وبين اليهود ، ثم أثبتم فى نص الإنجيل أن عيسى قال :

أنا الباب ، فمن دخل علىّ سَلِم ، ويجد مرعى أبداً ، ثم عرض بمن قبله من الأنبياء ، فجعلهم لصوصاً وسراقاً ، فقال آمين ، أقول لكم : إنى أنا باب الضأن ، والقادمون عليكم كانوا لصوصاً وسراقاً ، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئاً ، ويقتل ، وأنا قدمت لتحيوا ، وتزدادوا خيراً[3] ولقد رأيت مفسركم " أوجستين "[4] ، قد اعتذر عن هذا بهذيان لا يلتفت إليه .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عنه قال :

إن كنت أشهد لنفسى ، فشهادتى غير مقبولة[5] ، وغيرى يشهد لى .

ثم فى موضع آخر من الإنجيل أنه قال :

إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ، لأنى أعلم من أين أتيت[6] ، وإلى أين أذهب .

أخبرنى ! كيف تكون شهادته حقاً وباطلاً ، ومقبولة وغير مقبولة ؟

وكيف يجمع بين هذين فى كتاب منسوب إلى الله تعالى ؟

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عنه : أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه - بظنكم — قال :

فأى الروايتين أصح؟

٧- لِمَ أغفل " متى" صعود المسيح عليه السلام ، وذكره " يوحنَّا" بتعبير غامض (٢٠ : ١٨) ، وهما من الحواريين الإثنى عشر ، بينما ذكره " لوقا" ،و " مرقس " وهما ليسا من الحواريين . (قارن : الفاصل بين الحق والباطل ص ٤٢ - ٤٩)

[1] فى ج ، ت :" مملو من القول ونقيضه ، ولقد رأيت فيه من التضاد والتناقض ما فيه عجيب كاستشهاد ".

[2] فى ج ، ت : " حنة " .

[3] قارن إنجيل يوحنَّا ١ : ٨- ١٨.

[4] فى ج ، ت :" لطيفكم أغشيش " وفى ع : " أغشتين " .

[5] فى الإنجيل :" فشهادتى ليست حقاً " (يوحنَّا ٥ : ٣١) .

[6] فى الإنجيل :" من أين جئت " (يوحنَّا ٨: ١٤) .

[الآن] قد جزعت نفسى ، فماذا أقول يا أبتاه ؟ ، فسلمنى من هذا الوقت[١] ، وأنه حين رفع فى الخشبة صاح صياحاً عظيماً ، وقال :

إيلى ، إيلى ! لم شبقتنى[٢] ، وترجمته : إلهى ، إلهى لم أسلمتنى[٣] ؟ ثم فى موضع آخر من الإنجيل أنه قال قبل ذلك :

من أحب أن يقفو أثرى فليوهب نفسه[٤].

فحرص على إتلاف النفوس ، فكيف يجزع [هو] مما حرض عليه قبل ؟ ، أم كيف يكون إلهاً وتجزع نفسه ؟

أم كيف يكون ابناً لله يدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت فلم يستجب له ؟ ، وفى الإنجيل الذى بأيديكم عن [متى] الحوارى ، حين ذكر نسب عيسى عليه السلام :

قال هو ابن[٥] يوسف بن يعقوب بن قتان بن أليعازر بن أليود ابن أخيم[٦] " وهكذا إلى أن " عد إلى إبراهيم الخليل عليه السلام أربعين أباً[٧].

وفى إنجيل [لوقا] الحوارى يقول فى نسب عيسى :

إنه ابن يوسف بن هالى[٨]. وهكذا عد إلى إبراهيم خمساً وخمسين أباً[٩].

---

[١] نص الأجيل : " **فقال لهم : نفسى حزينة جداً حتى الموت .. يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك** ". (متى ٢٦ : ٣٨ - ٤٢)

[٢] فى ج : " لم عرب " ، وفى ت :" لم عذبتنى " .

[٣] قارن ا" متى" ٢٧ : ٤٦.

[٤] نص الإنجيل :" **من أراد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ، ويتبعنى ، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ويهلك نفسه من أجلى ، ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها** ". (مرقس ٨ : ٣٤ : ٣٥)

[٥] فى ج : " من يوسف".

[٦] متى ١:١-١٧.

[٧] فى ج ، ت :" تسعاً وثلاثين أبا ".

[٨] فى ج ، ت :" يوسف بن متان بن لابى بن ملحاً بن منان".

[٩] فى ج "، ت :" تسعاً وخمسين " وهو خطأ ، أنظر لوقا ٣ : ٢٣ - ٢٤.

فكيف يقع هذا الاختلاف فى كتاب الله تعالى ؟ حتى إن[1] أحد ملوك العجم غير المتنصرة اطلع [فى] [2] أناجيلكم على هذا التناقض فى نسب عيسى فعابه عليكم[3] ، وشافه أربابكم فيه ، فلم يكن فيهم من يعتذر عن ذلك وسقط ما بأيديهم . ثم إن أحد الأساقفة سمع ذلك على بعد ، فخاطب الملك بعذر تخيل فيه[4] ، وهو أن النسبين المتناقضين :

أحدهما : نسب طبيعى ، نسب التناسل[5] والتوليد .

والآخر : نسب شرعى ، نسب الولاء والكفالة .

فاستحسن جمهوركم هذا العذر وعمل عليه .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عنه أنه كان يوماً قد نهاهم عن التجارة فى بيت المقدس ، وأن اليهود قالت حينئذ : أى علامة تُظْهِر لنا ؟

فقال : تهدمون هذا البيت وأبنية لكم فى ثلاثة أيام .

فقالت اليهود : بيت بنى فى خمس وأربعين سنة ، تبنيه أنت فى ثلاثة أيام ؟[6]

ثم فى موضع آخر عنه [يقول : إنه] لما ظفرت به اليهود - بظنكم - وحمل إلى بـــلاط عامل [ال] قيصر ، واستدعيت عليه بينة ، أن شاهدى زور جاءا إليه ، وقالا : سمعنـــا هـــذا يقول : أنا قادر على بنيان هذا البيت فى ثلاثة أيام[7].

أخبرنى! كيف استجزتم أن تسموهما شاهدى زور ، وقد شهد نص كتابكم أنـــه قـــال ذلك ؟

---

[1] فى ج ، ت " وقد كان".

[2] فى ج ، ت : " من ".

[3] فى ج : " فكانت عليكم"

[4] فى ج : " بعد أن تجبل فيه".

[5] فى ج ، ت : " التنسيل"

[6] نص الإنجيل: " أية آية ترين ا؟ .. فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل" (يوحنا ٢ : ١٨-٢٠)

[7] قارن ! متى ٢٦ : ٦٠ - ٦١

فإن قلت : إن اليهود ظنوا بهذا القول غير ما عنى عيسى ، فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل ، إنما شهدا على لفظه ، وما نطق به لسانه ، وما هو فى كتابكم منصوص[1].

وأى تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى محاوبة اليهود ، من أن البيت المعنى فى كلامه ، [هو] بيت المقدس ؟

[فقلتم إنما أراد جسمه ، وإنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام ، وإن الخمس والأربعين هو عدد أرقام اسم آدم بحساب الْجُمَّل ، وهكذا من الهذيانات التى لم تعرف اليهود منها شيئاً ، ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى عليه السلام هذا المجلس ، ولا سوى ذلك مما تصفون من خرافات كتبكم][2] .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عنه أن يحيى قال فيه : إنه يجب أن يكبر ولا ينقص[3].

أخبرنى أيها المغرور ! عمن كان إلهاً تاماً كما تصفون ، كيف تلحقه الزيادة ويدركه النقصان ، أو تأخذه الآفات ؟

وقد اعتذر عن سفاف هذه المقالة مفسركم " أوجستين " [4] ، وأراد تأويله بنوع [من] الهذيان ، ثم استحى .

وفى الإنجيل " للوقا " أن عيسى قال لرجلين من تلامذته :

---

[1] فى ج ، ت : " وما هو فى كتابكم نص".

[2] فى ج، وت :" فقلتم فى معنى ذلك أن التربة التى صنعت منها الخمسة والأربعون من أقطار الأرض ، وأن الأحرف التى فى ابتداء السطر إذا حصلت وجد آدم ، وأكدتم التصديق ، فهذا الهذيان الذى لا يؤدى إلى معنى بإخراج المعدود من اسم آدم ، حين نزل حروفه بحساب أبى جاد على خمسة وأربعين من العدد ، فأنتم تأولتم قول اليهود بهذا الهذيان ، وأنتم أقررتم أنها لم ترد شيئاً من ذلك ، وإنما أرادت المدة التى يبنى فيها بيت المقدس ، ومن أعجب الأشياء أن اليهود لا تعرف شيئاً من هذا ، ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى هذا المجلس ، ولا سوى ذلك مما تصفون من مزخرفات أصل مزخرفات كتبكم".

[3] نص الإنجيل : **"ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص"** . (يوحنا ٣ : ٣٠)

[4] فى ج ، وت : " مقسركم ولطيفكم أعسس ".

إذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما ، فإذا دخلتما ، فستجدان جحشاً[1] مربوطاً لم يركبه أحد ، فحلاه وأقبلا به إلىّ [2] .

وفى الإنجيل " لمتى " يصف هذا الخبر بعينه ، ويذكر [أنه كان معه أتانة] [3]، فحسبك [هنا] من خلل ووقوع تشكيك .

وفى الإنجيل " للوقا " يخبر عن المرأة التى صبت الطيب على رجلى المسيح ، و [أنكر ذلك] [4] التلاميذ ، وقالوا : هلا تصدقت به[5].

وفى الإنجيل " لمتى " يصف هذا الخبر بعينه [ويذكر] أنها إنما صبت الطيب على رأس المسيح[6].

فما أبعد اليقين عن خبر فيه هذا الإختلاف ؟

وفى الإنجيل أن أم ابنى [زبدى] [7] جاءت إلى عيسى ، ومعها ابناها ، فقال : ما تريدين ؟

فقالت : أريد أن يجلس ولدىّ : أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك ، إذا جلست فى ملكك .

فقال : تجهلين السؤال . أيصبران على الكأس الذى أشرب ؟

فقالا: نصبر

---

[1] فى ج ، ت :" فلوا ".

[2] نص الإنجيل :" إذهبا إلى القرية التى أمامكما وحين تدخلانها تجدان جحشاً مربوطاً ، لم يجلس عليه أحد من الناس قط ، فحلاه وأتيا به ". (لوقا ١٩ : ٣٠)

[3] فى ج ، ت :" أنها إنما كانت حمارة متبعة ". قارن متى ٢١ : ١ - ٢ .

[4] فى ج ، وت :" شق على ".

[5] قارن لوقا ٧ : ٢٦ - ٥٠

[6] متى ٢٦ :٧

[7] فى ج :" سداى " ،وفى ت :" أن أم سداى "

فقال: سيشربان بكأس ، وليس تجليسكما عن يميني ، ولا عن شمالي إلا إلى مـــن وهـــب ذلك إليّ[1].

فها هو ذا عيسى قد أقر أنه ليس له من الأمر شئ[2].

ومن أعجب الأشياء ، إلتماس بعضكم تأويلاً لهذه المقالات الشنيعة[3].

[فتنقلون من الفلسفة تارة ، ومن العلوم الروحانية أخرى] [4] ، حين [لا تجدون لنـــصوصكم مخرجاً شرعياً] [5] .

وأيم الله ! ما يعلم في معمور الأرض ديانة يتشرع بها إنـــسان[6] ، تـــضاد الفلـــسفات والعقليات التي ادعيتم تجويز محالاتكم عليها مثل ملتكم[7].

ولعمري[8] إن العرب ، عبدة الأوثان – الذين بعث الله فيهم سيد النبيين ، والمرســـلين ، محمداً ﷺ – كانوا أشد الكفار[9] عبادة [للأوثان] ، وأشنعهم إلحاداً [ورغم هذا] فلقد اتقوا من مثل ما أنتم عليه ، حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم :

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [10]

---

[1] قارن متى ٢٠ : ٢٠ – ٢٣.

[2] ليس هذا النص دليلا على التناقض في الإنجيل ، وإنما يساق دليلاً على عدم ألوهية عيسى ، لأنه فوض الأمـــر لله العلي القدير.

[3] في ج : " البشيعة".

[4] في ج ، ت :" من فلسفة ، وروحانية ".

[5] في ج :" يهديكم المقبولات الشرعيات "، وفي ت :" حتى نبذتم المعقولات الشرعية ".

[6] في ج :" يسرع بها إنساناً" .

[7] في ج : " من مثلكم " .

[8] في ج ، وت :" ولقد تعلم ".

[9] في ج ، وت :" كانوا شر الكفار".

[10] الزمر : ٣

فكأنهم نزهوا الله تعالى ، [إلا أنهم] جعلوا واسطة بينهم وبينه جهلاً منهم .

ما أبين فضل[1] هؤلاء على من اعتقد أن الله تبارك [وتعالى] ، نزل من السماء عن كرسى عظمته ، ودخل فى امرأة ، وقام يتخبط تسعة أشهر فى بحر[2] بين بول ، ودم ، وطمث ، ثم خرج بعد ذلك إلى لطم اليهود خديه ، وصفعهم فى قفاه ، وبصقهم فى وجهه ، ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه وقصبة يده استخفافاً به ، وتسميرهم يديه ورجليه فى خشبة ، وصلبهم إياه عليها[3] ، وإيجابه تبارك وتعالى على نفسه اللعنة بذلك ، لأنه تعالى قال فى التوراة : " ملعون ، ملعون من تعلق بالصليب " [4] .

ولقد جعلتموه سفيهاً حين وصفتموه بهذا وهو قادر ، وأوجبتم شكر اليهود على أنفسهم ، فإن فعلهم به أرشد من فعله بنفسه ، حيث أعادوه إلى سمائه ، وصرفوه إلى كرسى عظمته.

وقد كان سفهاً بأن أهان نفسه ، وأنزلها فى غير نصابها .

نستعيذ بالله من شر هذا الإلحاد الذى شرعتموه ، ونستهديه أوضح سبل الرشاد الذى حرمتموه ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومما فى الإنجيل عنه من التناقض أنه قال : لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح بين أهل الأرض ، لم آت لصلاحهم ، لكن لألقى المحاربة بينهم . إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه ، وبين الإبنة وأمها ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته[5].

وفى الإنجيل أيضاً عنه أنه قال : إنما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيراً ، وأصلح بين الناس[6].

---

[1] فى ج : " ما من فصل".

[2] فى ج :" من بحر".

[3] قارن ا" متى" ٢٧ : ٢٨ - ٣١ ، " مرقس " ١٥ : ١٦ : -٢٠ ، " لوقا " ٢٢ : ٦٣ - ٦٥ ،" يوحنا " ١٩ : ١ -٥ .

[4] نص التوراة : **"وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، فقتل ، وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله".** (سفر التثنية ٢١ : ٢٢ - ٢٣)

[5] قارن متى ١٠ : ٣٤ - ٣٦ .

[6] هذا النص ترجمة لما تحتويه موعظة الجبل ، انظر متى : الإصحاح الخامس والسادس والسابع .

ففى الأول جعل المسيح نفسه نقمة على العالم ، وفى الثانى رحمة عليهم ، وهذا كلام نبرئ الحواريين منه .

وأنه قال : من لطمك على خدك الأيمن[1] فانصب الأيسر[2].

وفى الإنجيل عنه أنه قال : لم آت لأنقض شريعة من قبلى ، إنما جئت لأتمم[3].

وما أشبه هذا ، ثم فيه بعد أحرف قليلة كلام آخر ينقض فيه شريعة التوراة حرفاً حرفاً فى قوله :

أما علمتم أنه قيل للقدماء : لا تقتلوا ، ومن قتل فقد استوجب القتل.

وأنا أقول : كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة .

ومن قذف أخاه ، فقد استوجب النفى من الجماعة ، ومن رماه بالحرق ، فقد استوجب جهنم .

أما علمتم أنه قيل للقدماء : من فارق امرأته ،فليكتب لها كتاب الطلاق ؟

وأنا أقول: من فارق امرأته منكم ، فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنا[4] ، ومن تزوج مطلقة فهو فاسق .

وقوله : أما بلغكم أنه قيل للقدماء : العين بالعين والسن بالسن ؟

وأنا أقول لكم : لا تكافئوا أحداً بسيئة ، ولكن من لطم خدك اليمنى ، فانصب له خدك اليسرى ، ومن أراد مغالبتك ، وانتزاعك قميصك ، فزده أيضاً رداءك ، ومن سألك شيئاً فاعطه ومن استسلفك فأسلفه[5].

أخبرنى أيها المغرور عن هذا الخلاف ! أتعده تتميماً ، أو نقضاً لشريعة من سبقه ؟

وفى الإنجيل " لمتى " عن المسيح أنه قال " لبطرس " :

---

(1) فى ج : " بخديك".

(2) قارن ا" متى " ٥ : ٣٩

(3) قارن ا" متى" ٥ : ١٧

(4) فى ج :" الزواج".

(5) قارن " متى " ٥ : ٢١ - ٤٤.

طوبى لك يا شمعون بن الحمام ، وأنا أقول لك : إنك الحجر ، وعلى هذا الحجــر أبــنى بيتى ، فكل ما حللته على الأرض يكون محلولاً فى السماء ، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً فى السماء[1].

ثم فيه بعد أحرف يسيرة يقول له - أى " لبطرس " :

إذهب [عنى] يا شيطان ، ولا تعارضنى ، فإنك جاهل[2].

فكيف يكون شيطاناً جاهلاً ويطيعه صاحب السماء ؟

وفى الإنجيل أيضاً نص [يفيد] أنه لم تلد النساء مثل يحيى ، هذا مــا جــاء فى إنجيــل [متى][3].

ثم فى إنجيل يوحنَّا: أن يحيى بعثت إليه اليهود من يكشفون لهم عن أمره ، فسألوه من هو : أهو المسيح؟

قال: لا

قالوا: أخبرنا من أنت ؟

قال: أنا صوت صارخ فى البرية[4].

إلى كلام كثير ينفى [فيه] عن نفسه ، كونه المسيًّا ، أو كونه نبيًّا[5] ولا يجوز لــنبى أن ينكر نبوته.

وقال فى هذا الكلام [حين] [6] ذكر عيسى : أنه لا يصلح أن يحل شراك نعله[7]، وسماه

---

[1] قارن " متى " ١٦ : ١٧ - ١٩.

[2] قارن " متى " ١٦ : ٢٣.

[3] قارن " متى" ١١ : ١١

[4] فى ج ، وت :" أنا صوت مناد فى المفاز ".

[5] قارن ا" يوحنَّا " ١ : ١٩ - ٢٧.

[6] فى ج ، وت :" وقد ".

[7] فى ج :" شراك عينيه ".

حمل الله[1] ، وأنتم تقولون : هو الله .

وكذلك تنالون من الإنجيل الذى بأيديكم [حين تدعون] أنه لا نبى بعده ، [أى بعد عيسى ، ثم تثبتون] فيه أيضاً : أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء منهم " برنابا" ، و " سمعان " ، " ولوكيوس " ، و" ومناين " [2].

وكذلك فى كتبكم : أنه قام أنبياء الله من البيت المقدس ،وقام آخرهم – وكان يتيماً [اسمه] " أغبانوش " – فتنبأ [بقحط شامل ومجاعة عامة][3].

وفيها [أى الكتب] : أن " جرجس " [جاء] بعده ، وبعث إلى مالك الموطى وهو من أهل فلسطين ، وكان قد أدرك بعض الحواريين .

فأنتم القائلون أن لا نبى بعد المسيح ، وأنتم المصدقون بنبوة هؤلاء كلهم ، ولم يكن لهم من الذكر فى الكتب ، ولا [فى أخبار الأنبياء] مثل ما للذى كفرتم .

وأقتصر على هذا من تهافت أناجيلكم ، وما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل .

ومن طالع كتبكم ، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضى له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أهل سبأ ، وأنكم لا تلزمون مذهباً ، [وليس هذا بغريب] فأناجيلكم [ما هى إلا] حكايات ، وتواريخ ، وكلام كهنة ، وتلاميذ وغيرهم حتى أنى أحلف بالذى لا إله إلا هو ، أن تاريخ الطبرى عندنا أصح نقلاً من الإنجيل ، ويعتمد عليه العاقل أكثر ، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبنى عليه شئ من أمر الدين ، وإنما هو فكاهات فى المجالس .

وتقولون مع ذلك : إن الإنجيل كتاب الله ، أنزله إلينا ، وأمر المسيح باتباعه .

---

(1) فى ج ، ت : " حروف " بإهمال الأول ، لكن فى الإنجيل (حمل) انظر يوحنا ١ : ٣٦.

(2) فى ج : " فأربه (بدون نقط) وشمعون ، ولو موسى (بدون نقط) وما ثلل ، وهذا خطأ ، إذ جاء فى أعمال الرسل الإصحاح الثالث عشر :" وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون : " برنابا "، " وسمعان " الذى يدعى " نيجر " ، " ولوكيوس " القيراوانى ، " ومناين " الذى تربى مع " هيرودوس " رئيس الربع ، و "شارل".
(أعمال الرسل ١٣ : ١)

(3) فى ج : " فتنبأ وقال : إنه يكون فى بلاد مجاعة ، وقحط شديد ".

فليت شعرى ! أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله ! وأين كلماته من بين هذه الكلمات!

[إن] الذى تنقلونه عن عيسى عليه السلام لفظاً - وهو قليل - لا يلزم أن يكون منزلاً من عند الله ، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة ، ومن مقتضى الطباع البشرية ، وغير ذلك ، فهذا كله ليس من عند الله ، فنحن لا نقول : إن كل ما تكلم به محمد ﷺ قرآن ، وقد نقل عنه القرآن - الموحى به من ربه لفظاً - نقلاً متواتراً ، يقطع بصحته الخلف والسلف أما أنتم فلا يتعين لكم شئ مما أنزل الله أبداً ، فضلاً عن نقله بعد تعيينه .

***

[إبطال دعوى صلب المسيح من الإنجيل]

ثم قلت : إنه لا ينكر صلبه [أى عيسى] إلا كافر ، وما ذلك إلا ضلالات ابتدعتموها ، ومحالات على رعاع الأعاجم أجزتموها ، وأيم الله ! إنكم لفى شك منه ، ما لكم به من علم إلا اتباع الظن[1].

وإلا فأخبرنى أيها المغرور ! ما معنى قول "يهوذا الأسخريوطى"[2] [وهو من الحواريين ، تلاميذ المسيح ، ارتد عنكم بزعمكم] ودل عليه بظنكم ، حين خرج مع اليهود إلى طلبه ، قال لهم : إنى لأسحق منه ، [ولذا فسوف] أجعل الأمارة عليه- حيث أنكم لا تعرفونه بعينه - أن أُقَبِّله ، فإذا فعلت فأنتم وذاك[3].

فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه ، وهذا منصوص فى إنجيلكم[4] ، ومن نصوصكم

---

(1) ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عيسى بن مريم رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء : ١٥٧)

(2) فى ج ، ت :" اليهود الإشكوريوت ".

(3) نص الإنجيل : " والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً هو الذى أُقَبِّلهُ أمسكوه" . (متى ٢٦ : ٤٨)

(4) فى ج : " هذا فى إنجيلكم أيضاً " ، وفى ت :" وهذا فى أنا جيلكم ، وفى نصوصكم أيضاً " .

أيضاً أنهم حين أحاطوا بعيسى ومن معه ، خرج بنفسه إليهم وقال : من تطلبون ؟

قالوا : يسوع الناصرى[1].

قال : أنا هو

فنظروا إلى يهوذا [نظرة تساؤل عن الإشارة التى اتفقوا معه عليها ، ففعلها] [2] فقبضوا[3] عليه بظنكم[4].

أخبرنى !

كيف أمنتم [والحال كما رويتم] أن يكون قد عمدت إلى سواه – [حيث] كانت لا تعرفه – ورفعه الله ، كما رفع أخنوخ النبى[5].

---

(1) فى ج :" باشر القازرى " .

(2) فى ج :" فنظروا إلى أن أظهر يهوذا الأمارة ".

(3) فى ج :" فتقبضوا " .

(4) اتفقت الأناجيل الثلاثة – " متى" ، ومرقس "، و" لوقا " – فى رواية القبض على عيسى عليه السلام – كما يزعمون – ، إذ نصت على أن " يهوذا الإسخريوطى " قَبَّل عيسى ، فعرفه الجند ، فقبضوا عليه ، وخالفهم فى ذلك " يوحنَّا " فقد جاء فى إنجيله :

" فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى ، قال لهم يسوع : أنا هو ، وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم ، فلما قال لهم : إنى أنا هو ، رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض ، فسألهم أيضاً : من تطلبون ، فقالوا : يسوع الناصرى ، أجاب يسوع : قد قلت لكم إنى أنا هو ، فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ، ليتم القول الذى قاله : إن الذى أعطيتنى لم أهلك منهم أحداً .. ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به " . (يوحنَّا ١٨ : ٣ – ١٢)

(5) فى ج :" حنوح "، فاسمه فى التوراة العبرية : " خنوخ " وفى الترجمة العربية " أخنوخ " من هو " أخنوخ " هذا ؟ جاء ذكره فى الكتاب المقدس خمس مرات :

(أ) أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام (التكوين ٥ : ١ – ٢٠) ، ثم أخبر أن الله أخذه : " وسار " أخنوخ " مع الله ، و لم يوجد ، لأن الله أخذه " . (التكوين ٥ : ٢٤)

(ب) ذكر كاتب " أخبار الأيام الأول نسبه ، وهو مطابق لما ورد فى سفر التكوين " (١- ١)

(ج) كذلك أورده " لوقا " فى إنجليه ، عندما تحدث عن نسب المسيح ، فاتفق مع سابقه فى سلسلة نسبه - أى أخنوخ - (حتى آدم عليه السلام). (لوقا ٣ : ٣٧)

(د) جاء فى الرسالة إلى العبرانيين : " بالإيمان نقل " أخنوج " لكي لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله ".

(١١-٥)

" اتفق هذا النص مع نص سفر التكوين ، وإن اختلفت الألفاظ ، ففى سفر التكوين : " .. أخذه .. " ، وهنا : " .. الله نقله " ، فاليهود والمسيحيون يفسرون كلا التعبيرين بأن الله رفعه إلى السماء .

(هـ) أما ما حكى فى " رسالة يهوذا " فلم يخرج عن كونه إخباراً بأن :" أخنوج " هو النبى السابع بعد آدم ، بلغ رسالة ربه إلى الناس ، مبيناً لهم أنه سوف يعاقب الفجار على ما اقترفت أيديهم .. إلخ " .

(قارن " رسالة يهوذا " ١٤ - ١٦)

يتضح من هذه النصوص اتفاق الكتاب المقدس بقسميه : العهد القديم ، والعهد الجديد - على :

- سلسلة نسب " أخنوخ".
- وأن الله رفعه حيًا .

ماذا تقول المصادر الإسلامية عنه ؟

لم يذكر القرآن الكريم هذا الإسم إطلاقاً ، إلا أن المؤرخين عندما تحدثوا عن إدريس عليه السلام، قالوا إنه ابن يارد ابن مهللئيل بن قينان بن أنوش ابن شيث بن آدم عليه السلام، واسمه فى التوراة " أخنوخ " .

ثم رووا قصة عن كعب ، تفيد أن الله رفعه إلى السماء ، رداً على سؤال لابن عباس عن تفسير قوله تعالى :

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾

(مريم ٥٧)

(أنظر: ابن كثير :قصص الأنبياء جـ ١ ص ٧١ - ٧٥ ، والثعالبى ص ٤٢ - ٤٣، والطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن: جـ١٦ ص٧٢)

ولا يخفى أن هذا كله إسرائيليات ، إذ تدل الآية القرآنية على أن الله رفع قدره ، لا على أنه رفعه إلى السماء ، فتوجيهها إلى المعنى الذى روى عن كعب متأثر بتيار انتشار الإسرائيليات فى المجتمع الإسلامى .

كذلك اعتمد المؤرخون فى نسب " إدريس " عليه السلام على ما جاء فى الكتاب المقدس بشأن " أخنوج " ، ويبدو لى أن ولوعهم بذكر نسب كل نبى ورد اسمه فى القرآن ، دفعهم إلى القول بأن " إدريس " هو " أخنوخ " ، إذ عندما تصدوا لكتابة قصص الأنبياء ، وجدوا أن القرآن الكريم أشار إلى بعضهم إشارات عابرة - لأنه ليس كتاب قصص فى المقام

ولعلكم صدقتم [يهوذا] الإسخريوطى[1] فى دلالته عليه، [و] فى نص إنجليكم ، أنه مرتد كافر ، ملعون ، فشهادته إذن غير جائزة ، أو لعله عندما عاينه ، وأدركته الندامة ، جعل الأمارة على غيره من التلاميذ ، وسارع التلميذ إلى وقايته بنفسه .

والدليل على قيام هذا الإحتمال أنه فى نص الإنجيل الذى بأيديكم ، أن " يهوذا الإسخريوطى " أدركته الندامة حينئذ ، و[أعاد] [2] لهم الثلاثين درهما التى كان باعه بها ، إذ أعلمهم أنه ليس [هو] ذلك [المقبوض عليه] .

فقالت له اليهود : وما علينا[3] !

فأنت ترى هذه الندامة ، وهذا القول لليهود (وتقرأها فى) أناجيلكم [4] وقلتم : إنه

الأول ، بل هو تشريع – ، لذا بحثوا عما سكت عنه فى الكتاب المقدس ، فكان عملهم هذا غير علمى – فى محيط المجتمع الإسلامى – إذ المصدر الذى يعتمد عليه فى البحث العلمى ، يشترط فيه أن يكون صحيحاً ، وخاصة ما يتعلق بشرح ما جاء فى القرآن الكريم ، وعليه فقول المؤرخين المسلمين : إن " إدريس " هو " أخنوخ " ، يفتقر إلى دليل صحيح من مصادر التشريع الإسلامى.

[1] فى ج ، وت :" الإشكربوث ".

[2] فى ج :" حرف ".

[3] قارن متى ٢٧ : ٣ – ٤.

[4] تتلخص ملاحظات أبى عَبيدة التى استنتجها من الإنجيل للتدليل على أن الشخص الذى صلبته اليهود لم يكن عيسى فيما يلى :

(أ) لم يكن عيسى بشخصه معروفاً لدى رجال الشرطة ، التى أمرت بالقبض عليه ، ولذا أخذوا معهم "يهوذا الإسخريوطى" ليعينه لهم .

(ب) ثبت أن يهوذا ندم على استعداده لمعاونة الشرطة ، فى تعيين شخص عيسى من بين التلاميذ ، ورد لهم المبلغ الذى أخذه منهم .

(جـ) يحتمل بناء على هاتين الملاحظتين - وهما مذكورتان فى الإنجيل نصًّا - أن يهوذا أدركته الندامة قبل وصوله مع رجاله الشرطة إلى المكان الذى فيه عيسى مع تلاميذه ، فعين لهم أحد التلاميذ على أنه عيسى ، و لم ينكر التلميذ رغبة فى إنقاذ معلمه فأخذ وصلب .

ولا يرفع هذا الإحتمال ذهاب مريم المجدلية إلى القبر ، وإخبارها بقيام عيسى عليه السلام ، لأنها لم تكن مع التلاميذ ، حين ذهبت الشرطة للقبض عليه ، و لم يخبروها بأن المقبوض عليه ليس عيسى ، حتى لا ينتشر الخبر ، فتعاود السلطات البحث عن عيسى ، كذلك لم يكذبوها حين روت أنه قام من قبره ، لأن فى ذلك رفعاً لشأنه ، وعاملاً قويًّا لحمل الناس نفسيًّا على الإيمان بالمسيحية .

اعتقدت مريم بأن المصلوب هو عيسى ، فصدمت نفسيًّا ، و لم تصدق الواقع ، فآمنت - تحت تأثير الصدمة - بإمكان رجعته بعد موته ، وتلك ظاهرة معروفة فى كل الجماعات الدينية ، فإننا " إذا تتبعنا تطور الجماعات الدينية فى معتقداتها ، وجدنا أن عقيدة الرجعة لإنسان معين تنم عن تقدير المعتقد لهذا الإنسان المعين ، وعن حبه له ، بل عن شدة الوله به ، وعن هذا الحب الشديد ، والرغبة المتزايدة فى الحرص على بقائه ، ومحادثته ، ينشأ شك المحب فى قتل من يحبه أو موته ، لو سمع بأنه قتل ، أو مات . فإذا اصطدم بالحقيقة الواقعة ، وهى أنه لم يعد يراه يقظة ، و لم يعد يتحدث إليه مشافهة بعد فوات وقت طويل على ذلك ، لم يصدق بموته أو قتله ، وإزاء هذا يؤمن بغيبته فحسب . ثم بناء على ذلك بأوبته ورجعته يوماً ما ، طالت فترة الغيبة أم قصرت ، لأن الحب القوى يخلق أملاً قوياً قد يتعارض مع واقع الأمر ، والنفس موزعة بين الأمل القوى ، والواقع الذى لامراء فيه ، لا تركن إلى طرف منهما ، وهذه حال الشك ، ولكن عيشة النفس فى الأمل أهدأ وأرغد ، لأن متعتها فيه أطول ، ولأنه ملجؤها عند فرارها من الواقع ، ولهذا تُرَجِّح البقاء فيه عن النزول إلى عالم الحقيقة ، وهذا هو ترجيح أحد طرفى الشك ، وهو هنا ترجيح غيبة المحبوب ، دون الإعتقاد بقتله ، أو موته الذى يمثل الواقع ، ثم يصبح هذا الترجيح عقيدة بالغيبة .

فإذا اطمأنت النفس عندئذ إلى غيبة المحبوب ، تحول هذا الإطمئنان إلى أمل قوى فى عودته ، لأنها شديدة الحرص من قبل على رؤيته يقظة ، ومشافهته فى الحديث ، ثم يتحول هذا الأمل بعد مرور فترة أو فترات عليه إلى عقيدة برجعته".

(البهى : الجانب الألهى جـ١ ص ٩٢ - ٩٣)

اشتد هذا الأمل عند مريم ، فتخيلته واقعاً ، فأخبرت بأنها رأت عيسى عليه السلام ، وكلمها و لم يكن ذلك سوى هواجس النفس ، التى لا تذعن للواقع من شدة ما ألم بها من الحزن.

خنق[1] نفسه[2] وتأويل المفسرين منكم فى خنق نفسه : أنه[3] أراد الإسراع عــاجلاً إلى جهنم ، قبل نزول عيسى إليها ، ليخرج[4] من فيها حين فداهم بدمه من عذابها ، فأراد يهوذا أن يكون من جملة المخرجين .

وقلتم :إن عيسى أبى إلا أن يكون (أى يهوذا) فيها من المخلدين[5].

فأما[6] اليهود فإنها قتلت رجلاً لم تعينه – بإقرار كتابكم – ، و لم تعرفــه[7] إلا بــشهادة يهوذا الإسخريوطى ، أنه ذلك المطلوب ، وأما أنتم فلا كتاب عندكم صادق بتحقيق ذلــك ، ولا خبر قاطع للحجة .

كيف لا ، ونصوص الإنجيل ، والكتب النصرانية ، متضافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام ووقوع الشبه على غيره ، وذلك من وجهين :

أحدهما : جاء فى الإنجيل أن المصلوب قد استسقى اليهود ، فأعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ، فذاقه و لم يشربه ، فنادى : إلهى ! إلهى ! لم خذلتنى ؟ والأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كــان يطوى أربعين يوماً وليلة ، ويقول للتلاميذ : إن لى طعاماً لستم تعرفونه ، ومن يصبر على العطش والجوع أربعين يوماً وأربعين ليلة ، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد ! هذا لا يفعله أدنى الناس ، فكيف بخواص الأنبياء ؟ أو كيف بالرب تعالى ، علــى مــا تدعونه ؟ فيكون حينئذ المدعى للعطش غيره ، وهو الذى شبه لكم .

---

[1] فى ج :" خلق ".

[2] متى ٢٧ :٥.

[3] فى ج :" إذا ".

[4] فى ج :" فيخرج".

[5] يشير بذلك إلى ما ورد فى الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام : " .. **ويل لذلك الرجل الذى بــه يــسلم ابــن الإنسان ، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد** " (مرقس ١٤ : ٢١)

[6] فى ج : " وأما ".

[7] فى ج : " لا تعينه ..... ولا " .

ثانيهما: إلهى ! إلهى ! لم خذلتنى ؟ هو كلام يقتضى عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى ، وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك فيكون المصلوب غيره ، ولا سيما وأنتم تقولون : إن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه ، ويخلصه من الشيطان ورجسه ، فكيف تروون عنه ما يؤدى إلى خلاف ذلك ؟ مع روايتكم فى توارتكم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت ، كانوا مستبشرين بلقاء ربهم ، فلم يجزعوا من الموت و لم يهابوا مذاقه ، و لم يعيبوه ، مع أنهم عبيد الله ، والمسيح - بزعمكم – ولد [الله] ، ورب ، فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم ، ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره .

ولعلك تقول : إن القول بإلقاء الشبه على عيسى عليه السلام يفضى إلى السفسطة والشك فى الحقائق ، والدخول حينئذ فى الجهالات ، وما لا يليق بالعقلاء ، لأننا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره ، فإن الإنسان إذا رأى ولده لم يثق بأنه ولده ، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده ، وكذلك القول فى امرأته وسائر معارفه لا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليه .

ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان يقطع بأن ابنه هو ابنه ، وأن كل واحد من معارفه هو هو من غير شك ولا ريبة ، بل القول بالشبه يمنع الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله ، ولعله مكان آخر ، ألقى عليه الشبه ، فلا وثوق بوطنه ، ولا بسكنه ، ولا بإلفه ، ولا بشئ مما يعرفه .

بل إذا غمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه ، ثم فتحتها فى الحال ، ينبغى له أن لا يقطع أنه صديقه ، لجواز أن يلقى شبهه على غيره .

لكن جميع ذلك خلاف الضرورة ، فيكون القول بالشبه محال ، كالقول : إن الواحد نصف العشرة ، والمثلث هو عين المربع .

ويكون قصدك من ذلك كله أن يكون المصلوب هو عين عيسى عليه السلام ، فإن قلت ذلك ، أجيبك بما يلى :

إن قولك هذا تهويل ليس عليه تعويل ، لأن البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم ، وأن حكم الشئ حكم مثله ، فما من شئ خلقه الله تعالى فى العالم إلا وهو قادر على خلق مثله ، إذ لو تعذر خلق مثله ، لتعذر خلقه فى نفسه ، فليزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلاً ، بل جملة العالم ، وهو محال بالضرورة .

وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شئ فى العالم ، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال فى حيز الإمكان فى العدم ، يمكن خلقها فى محل آخر غير جسد عيسى عليه السلام ، فيحصل الشبه قطعاً .

والقول بالشبه قول بأمر ممكن ، لا بما هو خلاف الضرورة ، ويؤيد ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية فى عصاة موسى عليه السلام ، وهو أعظم من الشبه ، فإن جعل حيوان يشبه حيواناً أقرب من جعل نبات يشبه حيواناً ، وقلب العصا حية تسعى مما أجمع عليه اليهود والنصارى ، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً ، وعلى قلب الماء خمراً ، فإذا جوزتم مثل هذا ، جوزتم أيضاً إلقاء الشبه من غير استحالة[1].

ثم إن الإنجيل عندكم ناطق بأن عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود فى مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم ، يعظمهم ويعلمهم ، ويناظرهم ، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله ، حتى كانوا هم يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه مريم ؟ أليس أخواه عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟

وإذا كان كذلك فى غاية الشهرة والمعرفة عندهم ، فلم نص الإنجيل على أنهم وقت ما أرادوا القبض عليه لم يحققوه ، حتى دفعوا لأحد تلاميذه – وهو يهوذا – ثلاثين درهماً ليدلهم عليه ، فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان ، ومعه جماعة من اليهود ، ومعهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة ، وقال لهم التلميذ المذكور : الذى أُقَبِّلُه هو مطلوبكم فامسكوه .

فلما جاء قال: السلام عليك ، ثم قَبَّله ، فقال له يسوع : لماذا جئت يا صاحب ؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه ، وتركه التلاميذ كلهم وهربوا ، وتبعه (بطرس) من بعيد ،فقال له رئيس الكهنة : أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا ،هل أنت المسيح؟ فقال له المسيح : أنت قلت ذلك ،

---

[1] راجع تفسير آخر لكيفية إلقاء الشبه فى ص ١٥٣ ، مهموشة رقم ٤.

وإنى أقول لكم : إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان ، حتى تروه جالساً عن يمين القوة ، آتياً فى سحاب السماء[1].

فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين فى المحاورات العظيمة ، والمجادلات البلغية ، كلها تدل على وقوع الشبه قطعاً ، خصوصاً أن فى الإنجيل ، أنه أخذ فى حندس من ليل مظلم من بستان ، فشُوِّهَت صورته ، وغُيِّرَت محاسنة بالضرب والسحب وأنواع النكال ، ومثل هذه الحالة توجب الإلتباس بين الشئ وخلافه ، فكيف بين الشئ وشبهه ، فمن أين لكم ، أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهة ؟ بل إنما حصل الظن والتخمين ،كما قال الله تعالى:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ ﴾[2].

ثم فى الإنجيل أيضاً : أن يسوع عليه السلام كان مع تلاميذه بالبستان ، فجاء اليهود فى طلبه ، فخرج إليهم عليه السلام ، وقال لهم : من تريدون ؟ قالوا : يسوع ، وقد خفى شخصه عنهم ، ففعل ذلك مرتين (يوحنَّا ١٨ : ٤ – ٨) وهم ينكرون صورته ، وما ذلك إلا دليل الشبه ، ورفع عيسى عليه السلام ، لا سيما وقد حكى بعض منكم ، أن المسيح أعطى قوة التحول من صورة إلى صورة .

قال متى فى إنجيله (متى ٢٦ : ٣١ – ٣٤) : بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع عليه السلام قال : كلكم تشكون فىَّ فى هذه الليلة ، فإنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتفترق الغنم .

فقال (بطرس) : فلو شك جميعهم ما أشك أنا .

فقال يسوع : الحق أقول لك : إنك فى هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك .

فقد شهد عليهم بالشك ، بل على خيارهم ، " بطرس " ، فإنه خليفته عليهم ، فقد انخرم حينئذ الوثوق بأقوالكم ، وجزم بإلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام .

---

[1] قارن متى ٢٦ : ٦٣ -٦٤.

[2] النساء : ١٥٧ – ١٥٨.

وصح قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾[1].

ومثل هذا كثير.

ومن هنا نعلم أن هذه الأناجيل ليست قاطعة فى صلبه ، بل فيها اختلافات وشكوك كثيرة ، كما قدمت لك ، وإن أردت أن أزيدك توضيحاً ، تذكر ما فعله [يهوذا] ، ويحتمل أن يكون قد كذب فى قوله لليهود ، ويدل على وقوع ذلك منه ، ظهور منه الندم بعد ذلك .

وقول المسيح عليه السلام : يا صديق ويا صاحب ! لم أقبلت ؟

ولو كان مصرًّا على الفساد ما سماه صديقاً .

ثم لا تنسى أن الإنجيل شهد أن المسيح عليه السلام ، شهد للتلاميذ الإثنى عشر بالسعادة (متى ١٩ : ٢٨) ، وشهادته حق ، ولا شك أن السعيد لا يتم منه الفساد العظيم ، إذا شرع فيه ، ويهوذا أحد الإثنى عشر فيلزم :

إما أن يكون يهوذا لم يدل عليه .

أو يكون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق .

أو يكون كتابكم قد تحرف وتبدل .

فاختاروا لكم واحدة من هذه الثلاث .

ثم لنا قول آخر هو : يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب فى الجماعة الذين أطلقهم الأعوان ، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام .

وهكذا ليس ببعيد فى أتباع الأنبياء عليهم السلام ، فكيف أتباع الإله على زعمكم ؟ ويمكن أن الأعوان قد اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه ، كما أخذوا رداء الشاب الذى كان يجرى وراءه عند القبض وأطلقوه أيضاً .

ثم إذا نقلتم أن يهوذا الحوارى مع جلالته قبل الرشوة ، على أن يعين على أخذه ، فقبول الأعوان الرشوة لإطلاقه أقرب .

---

[1] النساء ١٥٧.

ثم هل يستحيل أن يكون الله تعالى قد صور لهم شيطاناً أو غيره بصورته فصلبوه ، ورفع المسيح عليه السلام ؟ . يدل على ذلك أنهم سألوه ، فسكت .

وفى تلك السكتة تتعين النكتة ، وهذا ممكن ، والله تعالى على كل شئ قدير ، وإذا كان ليس عندكم نصوص قاطعة بصلبه ، كما بينا لكم وجوه احتمالات ما نقلتموه ، واليهود ليسوا قاطعين بذلك ، لأنهم اعتمدوا على قول " يهوذا " ، فأى ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب فى حق رب الأرباب على زعمكم ؟ إن هذا لمن عجب العجاب! [1].

***

[إبطال دعوى الصلب بدليل تاريخى]

وإنما قيل لكم بعد نحو[2] مائتين وثلاثين من السنين :

إنه قد كان فى سالف الدهر رجل من أمره كذا ، وبأضغاث أحلام من امرأة اسمها [مريم المجدلية] [3] ، ادعت أنها رأت فى منامها هذيانات ، فقبلتم بأقوالها ، وشرعتم بها من غير يقين[4]، ولا تواتر متصل ، وسمع ذلك القيصر ابن " هيلانة " [5] ، حين كثر عدوه وكاد ملكه يذهب، لاختلاف[6] رعاياه وأنصاره من الروم عليه ، فأراد أن يحملهم على شريعة ، ينظم بها سلوكهم ، ويؤلف متفرقهم ، فاستشار من لديه من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى ، لارتباطهم معه ، وآكد بجدهم فى نصرته ، فوجد اليهود

---

[1] زيد فى ع من: " كيف لا ونصوص الإنجيل .. (إلى) عجب العجاب".

[2] فى ج ، وت :" زمان" .

[3] فى ج ، وت :" اسمها إلا أنه .. "

[4] فى ج :" من غير نفس " .

[5] فى ج ، وت :" غير أن " قسطنطين " قيصر الملك بن هلانى ".

[6] فى ج : بإختلال "

يزعمون أن فى بعض تواريخهم خبراً عن رجل ، كان منهم ، هَمَّ بنسخ حكم التوراة والانفراد[1] بالتأويل فيها ، فطلبوه[2] وهو فى نفر [يسير] [3] ، وظفروا بواحد اعتقدوا أنــه المطلــوب[4] فصلبوه ، وما عندهم تحقيق بكونه ذلك المطلوب بعينه ، إلا فقدهم إياه من حينئذ [5] ، فعمــد " قسطنطين " إلى من وجد من أمة عيسى ، [فوجدهم] قد اختلفت آراؤهم[6] بعــد المــسيح بأربعين سنة ، والتفت إليهم غير محسوسين فى الأرض لا يظفر بواحد منهم إلا قتل ، ومُثِّل به ، فاستخرج " قسطنطين " ما بقى من رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ما شاء ، وما رآه موافقاً لاختياره :

كالقول بالصلوبية ، ليتعبد قومه بطلب الدم .

والقول بترك الختان ، لأنه شأن قومه .

ثم [أكد ذلك بــ] خلق منامه ، وذلك أول شئ أظهره من هذا الأمر ، فجمع أنــصاره ورعاياه من الروم ، وذلك على رأس سبع سنين من ملكه[7] .

فلما اجتمع إليه أنصاره ورعاياه ذكر لهم ، أنه كان يرى فى منامه آتيا أتاه ، فيقول لــه : بهذا الرسم تغلب ، ويعرض عليه هيئة الصليب ، فأعظمت ذلك العامة ، ثم بعــث إلى [إمــرأة كانت] كاهنة فى ذلك الزمان ، وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى ، فقوى تصديق العامة لذلك .

---

[1] فى ج ، ت : " وينفرد ".

[2] فى ج : " تعهدوا "، وفى ت : " فعمدوا إليه".

[3] من ع.

[4] فى ج ، ت : " أنه ذلك المطلوب".

[5] فى ع : " ولم يحققوا أنه هو إلا بكونه لم يوجد بعد ذلك ".

[6] فى ج ، ت :" دعاويها".

[7] قسطنطين (٢٧٤ - ٣٢٧ م) امبرطور رومانى تولى الحكم فى عام ٣٠٦ ، ولم يعمد إلا على سرير الموت .

وفى هذا كله لا يعلمون لذلك الرسم تأويلاً ، و [لم يكن] " قسطنطين " [قد] كشف لهم شيئاً من أمره وخرج بهم إلى عدوه ، ووعظهم ، وهَوَّل عليهم أمر الرسم ، فحصل له كل ما أراد من جد القوم ، واجتهادهم معه .

فلما عادوا إلى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم ، وألحوا عليه فيه ، فقال : " أوحى إلىّ فى نومى أنه كان الله تعالى هبط من السماء إلى الأرض فصلبته اليهود ".

فهالهم ذلك كثيراً مع ما [تقدم] عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ، فانقادوا إلى " قسطنطين " انقياداً حسناً ، وصح له منهم ما أراد ، وشرَّع لهم هذه الشرائع [التى بأيديهم إلى اليوم أو أكثرها] [1] .

وقد ظهر لجماعة من أهل العلم غير أولى الشرائع فى ذلك الزمان ، أن هذا الشخص الذى تعظمه النصارى ، وتضفه بالألوهية ، لم يكن و [ولا وُجد] [2] فى العالم ، ولكن " قسطنطين " ابتدع ذلك كله ، واتفق مع نفر من أحبار اليهود ، وعلمائها على [أن يعطى لهم ما يطلبونه][3] من متاع الدنيا ، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود فصلبته ، وأن تضع الأحبار ذلك مسطوراً عند اليهود ، ففعلت وألقت من أخباره شيئاً ، وشهدت أن ذلك القول ، جمع بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل ، فبقيت النصارى على ذلك ، والأحداث فى شريعتهم مع إفتراءات بمنامات تدعيها النساء ، ومن لا يوثق به[4] ، فيدون ذلك ، ويتشرع به زائداً على[5] ما كان بأيديهم .

فلما[6] بعث الله رسولاً كريماً ، وأنزل عليه كتاباً حكيماً ، وأيده بالآيات ،وأنجده

---

[1] فى ج ، ت :" على بعض ما هى عليه".

[2] فى ج ، ت :" لم يكن وجوده فى العالم".

[3] فى ج ، ت :" على أن يبذل لهم ما شاءوا".

[4] فى ج :" ومن لا يؤثر ".

[5] فى ج ، ت :" إلى " .

[6] فى ج : " فلما أن ".

بالمعجزات ، فصدع بالحق المبين ، وقطع الشك باليقين ، نكصتم على أعقابكم ، ومن نكص على عقبيه فلن يضر الله شيئاً .

وأما قولك :

" فأخذوه ، وصلبوه ، وغار دمه فى إصبعه ، لأنه لو وقع منه شئ فى الأرض ليبست ، إلا شئ وقع فيها فنبت فى موضعه النوار" .

فهذا من أعجب ما قيل ، ولا احتياج إلى مجاوبتك ، ولعمرى لو أن شيطاناً يتقول على لسانك ، وهو يريد الإضحاك بك ، ما بلغ منك ما بلغت من نفسك بهذا القول .

***

[إبطال دعوى صلب المسيح بالأدلة العقلية]

ثم قلت : " إنه لم يمكن أن ينتقم الله من عبده العاصى آدم الذى كلمه ، واستهان بقدره لاعتلاء جلالة السيد ، وسقوط منزلة العبد ، أراد أن ينتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح (عليه السلام) ".

أخبرنى أيها المخدوع أولاً عن هذه المماثلة ! كيف وجبت لعيسى بالله تعالى ؟ [ثم] إذا كان الله لم يرد الانتقام من آدم لاعتلاء قدر السيد ، وسقوط منزلة العبد ، فالأولى أن يعفو عن الذنب ، ويتوب على المذنب .

وإن الأبعد عنه ﷻ أن يعاقب أحداً بذنب غيره ، [إن هذا] لغاية الظلم [ونهاية الجور] .

أبيت التسوية[1] احتيالاً للصلوبية وإثباتها ، ونسبت إلى الله [تعالى] ما ينسب إلى الأشرار الآدميين من الحقد ، والغائلة ، ونفيت عنه ما يليق به ﷻ من العفو والصفح ، وقلت : إنه

---

[1] فى ج : " فأتيت من الظلم الثواب " بدون نقط على الكلمة الأخيرة.

انتصف من الإنسان الذى هو إله مثله .

وفى [اعتقادكم وفى] الإنجيل الذى بأيديكم أن الصلب لحق جسم عيسى المتخذ من آدم ، وأن النصف اللاهوتى لم يلحقه الصلب ، ومخالفة ذلك عندكم كفر .

فإذا كان هذا ، فإلى الآن لم ينتقم الله ، ولا انتصف من إله مثله كما قلت ، إنما انتصف ، وانتقم من إنسان من نسل آدم ، فكيف ينبغى لله أن يظلم إنساناً فيعاقبه بذنب جده ؟ وكيف أجزت[1] [لنفسك] أن تقول : انتصف من إله مثله ؟ ما أبين خلل هذه المقالات ، و[أوضح] [2] ضلالها!

أخبرنى أيها المغرور عن رجل أخطأ عبده [فى حقه][3] ، فبقى بعده مدة غاضباً عليه ، [ساكتاً] على معاقبته، حتى ولد لنفسه ولداً ، فعمد إلى قتله[4] بذنب العبد الذى كان أذنب له!

ألست ترى ذلك من قتله ولده [أنه أراد أن] يشفى نفسه على ذلك العبد ، [فأصبح][5] ذلك زائداً فى كربه ، وداعياً إلى دوام حزنه ؟

وهل يحدث هذا على نفسه ..... [6] عاقل أو من لا عقل له ؟

إن الذى دعاكم إلى القول بصلب عيسى ، ما أقررتم به من الفداء حين قلتم : إن آدم وجميع ولده إلى زمان عيسى كانوا كلهم ثاوين فى الجحيم بخطيئة أبيهم آدم ، حتى فداهم عيسى بإهراق دمه عنهم فى خشبة الصلب ، ثم نزل [فى ذلك الوقت] [7] إلى الجحيم ، وأخرج منها جميعهم إلا " يهوذا الإسخربوطى ".

---

(1) فى ج ، ت : " استجزت " .

(2) فى ج ، ت : " أبدى " .

(3) فى ج ، ت : " عليه " .

(4) فى ج ، ت : " فقتله " .

(5) فى ج ، ت : " فيكون ".

(6) فى ج زيادة هى : " بعد على ذلك العبد أن يكون زايداً فى كربه بكرب " بدون نقط على الكلمة الأخيرة.

(7) فى ج ، ت : " لحيته ".

أخبرني أيها المغرور عن موسى بن عمران ! كيف تفهم أن الله تعالى أدخله الجحيم وخلده فيها[1] بعد أن كلمه ، واصطفاه وفضله ، وبعثه إلى عباده نبيــاً ، وهاديــاً ، و لم يكفــر بعــد [ذلك] ؟

وكذلك إبراهيم الذى كان قد اتخذه خليلاً واصطفاه ، وفضله بهدايته ونبوته ، وأظهــر على يديه توحيده ؟

ولا جرم أنه لو كان ذنب آدم بقى فى أعناق أولاده ، حتى أُنْقِذوا منه بدم إله ، لنطقــت به التوارة ، ولصرحت به الأنبياء ! لأنه أمر شنيع ، ومصاب للعالم بشيع ! ففى أى موضع مــن التوراة ذكر ؟ أو فى أى صحيفة من صحف الأنبياء سطر ؟

أما أنكم أتيتم على ذلك بشواهد من التوراة وكتب الأنبياء ، [فــ] تأويلكم فيها لا يخفى على العواجز[2] ضعفه ، ولا يستر على [عقول] صغار الولدان سخفه[3].

فمن أوضح دليل [لكم] على ذلك ، قوله فى التوارة عن يعقوب بن اسحاق عليهمــا السلام ، أن ابنه يوسف جاء [ه] بابنيه [منسى] و [أفرايم] ، ليبارك له عليهمــا ، فجعــل يوسف ابنه [منسى] - وهو الكبير من ولديه — عن يساره ، كى يكون عن يمين يعقوب ، إذا وقف به أمامه ، وجعل [أفرايم] عن يمينه ، كى يكون عن يسار يعقوب ، ثم قربهمــا إليــه ، فخالف يعقوب بذراعيه ، وجعل يده اليمنى على رأس الأصغر واليسرى على رأس الأكــبر ، ثم بارك على يوسف ، وعلى ولديه ، فشق ذلك على يوسف ، فأخذ بيد أبيه ، ورام رفعها عــن رأس الصغير إلى رأس الكبير ، وقال : لا يحسن هذا يا أبتاه ، لأن هذا أكبر ولدى ، فاجعل يمينك على رأسه ، فكره ذلك الشيخ ، وقال : قد علمت ذلك يا بنى ، وستكثر ذريه هذا ، ولكن أخاه الأصغر يكون أكثر ذرية ونسلاً[4].

---

[1] فى ج ، ت : " كيف استحار الله أن يخلده فى الجحيم بعد أن كلمه " .

[2] فى ج ، ت : " العجائز" .

[3] فى ج ، ت : " الولدان نوله وسخفه ".

[4] قارن ! سفر التكوين ٤٨ : ١٣ — ٢٠.

فتأولتم ذلك [بأن] مخالفته بيديه إعلام بالصلب !

[فما أغرب هذا الأمر ، وكيف رضيتم بتأويل ذلك بهذا الهذيان] [١].

وفى نص التوراة سبب مخالفته بيديه من فضل [أفرايم] على [منسى] ، فإن كان لابد من تأويل مستدرك[٢] على نص التوراة ، فهلمّ إلى تأويل أحسن موقعاً فى النفوس من تأويلك .

وذلك أن مخالفة يعقوب بيديه عند البركة إعلام [بـ] أن الله سيخالف بهذه البركة عن ولد إسحاق ، إذا أسخطوه بالعصيان ، ويصيرها فى ولد إسماعيل ، وذلك ما فعل الله بولد إسماعيل عليه السلام ، إذ بعث منهم سيد النبيين والمرسلين محمداً ﷺ .

وكذلك تأولتم فى قول داود : أعطونى فى مطعمى المرار[٣] ، وسقونى الخل[٤] ، أن الله تكلم بذلك على لسانه مخبراً عن الصلب ، وقلتم : إن الله تبارك وتعالى حين ربط على الخشبة استسقى ماء من[٥] اليهود فسقوه خلاً. تأولتم فى كلام داود ما لم يرد ، لتثبتوا من صلب المسيح ما لم يكن .

وتأويل كلام داود معلوم ، ومن كثير مما يجرى بين الناس مفهوم . [فـإذا] أسخطك المسخط بفعله ، تقول [له] أطعمتنى المر ، أو جرعتنى[٦] السم والحنظل ، وما أشبه ذلك على طريق المثل . و[قد] قال داود ذلك حين أسخطته [اليهود] بعصيان الله ، والحيد عن الهدى[٧] ومخالفته فيما أمر به من المعروف ، ونهى عن المنكر .

أخبرنى أيها المغرور!

---

(1) من ع ، أما فى ج ، ت " وما تحتاج إلى تأويل ذلك بهذا الهذيان ".

(2) فى ج : " مشترك ".

(3) فى ج : " أطعمونى فى مطمع المران ".

(4) وأصل النص : " **ويجعلون فى طعامى علقماً ، وفى عطشى سقونى خلاً** " (مزامير ٦٩ : ٢١).

(5) فى ج : " استسقى ما عند ".

(6) فى ج : " أجرعتنى ". وفى ت : " سقيتنى ".

(7) فى ج : " الهوى ".

من كان الممسك للسموات والأرض ، إذ كان الله [كما تزعمون] مربوطاً فى خشبة الصليب ؟

هل بقيا [ساكنتين] ؟ أم كان استخلف عليهما غيره ، وهبط هو لربط نفسه فى خشبة الصليب ؟ .. وليوجب اللعنة على نفسه بما قال فى التوارة : ملعون من تعلق بالصليب !![1]

عجباً له !! إنه المنتقِم والمنتقَم منه ، والحقود والمحقود عليه ، وإنه الظالم ، يأخذ نفساً بذنب غيرها ، وهو المظلوم ، لأنه صُلِب بذنب غيره .

وعجباً لتفاوت غائلته ، وحقده !! كيف يمتنع عن المعايب[2] — وليس هو عندكم غير [من اتصف بهذه المعايب] - ، حتى سمرت يداه ، ورجلاه ؟

ولا قنع من آدم صاحب الذنب [بالتوبة] ، حتى غرست الخشبة فى ظهره ، [تكفيراً] لما [ارتكبه آدم] فى الجنة[3].

أخبرنى !

ما الذى أوجب لآدم عليه السلام أن يكون موصوفاً لديكم بهذه الشتائم ، وهو أبو البشر ، والله قد تاب عليه واجتباه ؟

أستغفر الله من شر ما جئتم به ، وهو الغفور الرحيم .

ثم وصفتم فيما جئتم به من كذب [حادثة] الصلب ، وأحاديثها الفاسدة[4] ، إذ قلتم : قام بعد ثلاثة أيام من القبر.

---

(1) أصل النص فى التوارة : " **وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله** " (تثنية ٢١ : ٢٢ - ٢٣)

(2) فى ج : " كيف لم يقنع من المعايب " ، وفى ت : " حيث لم يقنع من المعايب ".

(3) فى ج : " لما كان قد سلخ فى الجنة " ، وفى ت : " لما كان قد سلم فى الجنة ".

(4) فى ج ، ت : " الفاجرة ".

وتحدثتم عن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب أنهما اشتريتا حنوطاً وأقبلتا إلى القبر ، وقالتا : من يترع لنا الصخرة من على فم القبر ، فزالت الصخرة من ذاتها ، فنظرتا إلى فتى قاعد فى الجانب الإيمن [من القبر] مغطى بثوب ، وذلك فى يوم الأحد قبل طلوع الشمس[1].

عجباً لتوقحكم على الله ، وتحديدكم الجانب الأيمن من القبر ، وقبل طلوع الشمس من اليوم ، لتحققوا كذبكم على رعاع الأعاجم ، فقال لهما ذلك المغطى بالثوب : [و لم يكن غير تراب] [2] المصلوب قام ، ومضى إلى الجليل ، قولا لتلاميذه ، ينهضون إليه [وكهذا جملة من الهذيانات. قصصتم عليها فى ذلك] [3].

***

[إبطال دعوى ألوهية عيسى عليه السلام بدليل عقلى]

ثم كتبتم فى الإنجيل الذى بأيديكم : أن الرب صعد ، فصار على يمين الرب فى إثر الصلب[4]

أخبرنى أيها [المخدوع] [5] عن هذين الربين :

من خلق منهما صاحبه ؟ فالمخلوق منهما ضعيف عاجز ، ليس بإله ، وإذا أراد أمراً ، لمن الحكم منهما ؟ فإن كان أحدهما مضطراً إلى مشاورة الآخر ، ومساعدته ، كان المضطر عاجزاً مقهوراً ، و لم يكن إلهاً قادراً ، وإن كان قادراً على مخالفته ، ومدافعته ، فهو إذن إله مداهن ، ويكون الآخر ضعيفاً ، عاجزاً مقدوراً عليه .

---

(1) أنظر ! مرقس ١٦ : ١-٨ .

(2) فى ج : " المغطى بالثواب تراباً المصلوب .... " .

(3) من ع ، وفى ج : " ثم أن نحنا سمع صوتاً من السماء هذا ما يقول الأول والآخر الإله الذى كان ميتاً فحيى ، مع جملة من الهذيان ركضتم فى ذلك " ، وفى ت : " باشر القزوري ".

(4) أنظر ! مرقس ١٦ : ١٩.

(5) فى ع ، وفى ج ، وت : " بالمغرور " .

أما [تعلم] أيها المغرور أنه ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1]

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2].

ومن عجيب تناقضكم إتفاقكم[3] على أن التثليث أب ، وابن ، وروح قدس ، وأن كل واحد من هذه الثلاثة لا يبصر ، ولا يلحقه ما يلحق الخليقة[4] ، وأن عيسى كان يبصر ، ويجوع ، ويشبع ، ويأكل ، وغير ذلك من صفات الخليقة[5] ، ثم جعلتموه الإبن من تلك الثلاثة ، ويلحقه ما ليس يلحقها !

فإن قلتم : إن نصفه هو إله تام ، والنصف الآخر ليس بإله ، فيلزمكم — إذا دعوتموه — [أن تقولوا] : يا نصف المسيح! إرحمنا !

وإذا قيل لكم : من إلهكم ؟ فقولوا : هو نصف المسيح !

وكيف يكون نصفه خالقاً ، ونصفه معبوداً لنصفه ، وليس بإله تام ؟

على أنكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك ! وكفى دليلاً على ذلك قولك فى رسالتك :

" لما لم يمكن أن ينتقم الله من عبده آدم لسقوط منزلة العبد ، انتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، وأن الانتصاف إنما كان من الجسم ، فهو المماثل " .

فإذا جعلتموه كله [إلهاً] فأنتم تعبدون غير الله ، [ولا فرق عندكم بين الله وبين] مخلوقاته وقلتم :

" إن الإبن إله تام ، وإن الأب يستحق من الألوهية والقدم ، ما لا يستحقه الإبن " .

فإذا كان ذلك ، فالإبن إذن إله غير تام ، [حيث][6] لا يستحق من الألوهية مثل ما

---

(1) الأنبياء : ٢٢ .

(2) المؤمنون : ٩١ .

(3) فى ج ، ت : " واتفاقكم " .

(4) فى ج : " وإن كان واحد من الثلاثة لنصر ، ولا يلحق الخليقة ".

(5) فى ج : " ويتجوز غير ذلك من ...... ".

(6) فى ج : " حين لا يستحق ".

يستحقه الأب. وهذا من مكابرتكم العقول .

وقالت اليعقوبية[1] — [وهى] من فرق ملتكم - : إن الله نزل فدخل فى بطن مريم ، واتخذ من لحمها جسداً ، فصار الله مع الجسد نفساً واحدة .

وقالت النسطورية[2] : ليست النفس هى الله ، وإنما هى بعضه .

ومن كلام اليعقوبية : أن الله أخذ ذلك اللحم ، والدم فوردهما فى نفسه فصار ذلك اللحم الله .

[ثم] اتفقتم أن أقانيم الأب ، والإبن ، والروح القدس غير مختلفة ، بل هى [أقنوم] واحد.

فإذا كان هذا ، الأب هو الإبن ، وهما روح القدس ، الكل شئ واحد ، وهذا توحيد ، فلم خصصتم المسيح بالإبن [؟]، ولم تقولون : إنه الأب [؟] . وقد قلتم : إن الأب ، والإبن ، والروح القدس شئ واحد ؟

---

(1) هم أتباع يعقوب البراذعى ، توفى عام ٥٧٨م .

(2) أتباع نسطورالحكيم المتوفى عام ٤٥٨م .

وقد أخطأ الشهر ستانى فى تحديد زمن حياة نسطور (جـ١ ص ٢٢٤) حيث قال : النسطورية : هم أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون .

" قالوا : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة ، ولا هى هو ، وقد دفعهم تأثرهم بالفسلفة الإغريقية فى شرحهم النصوص الدينية دفعهم إلى أن يؤولوا التثليث تأويلاً عقلياً ، فرأوا أن التصديق بالثلاث عبارات ليس قولاً بالتثليث فى الواقع ، لأن مدلولاتها ترجع فى الحقيقة إلى شئ واحد ، هو " الوجود " . فالوجود هو الجوهر ، وهو الذات الواحدة فى الواقع . و" العلم " ، و " الحياة " صفتان ، أو اعتباران له ، وبهذا لا يوجد كثرة حقيقية فيه . وعلى هذا : فالله ، وكلمة الله ، والروح القدس ، تلك العبارات التى وردت فى النص المسيحى لا تدل على ذوات ثلاث فى واقع الأمر ، بل الله هو الذات الواحدة ، وهو وحده أصل العالم ؛ وكلمته على معنى علمه ، والروح القدس على معنى القوة المدبرة ، حالان أو اعتباران لذاته .

" والنساطرة بهذا التأويل عدوا من أصحاب مذهب " الوحدة " أو يمكن أن يعدوا من أصحابها ، ولذلك اعتبرتهم الكنيسة البيزنطية ، وهى كنيسة الشرق الأدنى خارجين عن الجماعة المسيحية المؤمنة ، كما اعتبرتهم زنادقة هذه الجماعة ، وهم من أجل ذلك يستحقون فى نظرها لعنة الرب والمسيح " (البهى : الجانب الإلهى جـ١ ص ١٢٠-١٢١) وذلك فى مؤتمر خلقيدون الذى انعقد فى عام ٤٥٠م .

ثم جعلتم جوهر البدن شيئاً معبوداً ليس من الثلاثة ، فهؤلاء إذن أربعة ، وقد بطل التثليث ، وصار[1] تربيعاً ، فإن أبيتم إلا ثلاثاً فقد جعلتم نفى العبد وإثباته سواء ، وكابرتم العقول .

***

[الرد على الشبهة الأولى]

وأما قولك : إنك ترى الأحكام الشرعية حكمين : حكماً توراوياً ، [وهو] من لطمك فالطمه .

وآخر إنجيليًا ، وهو :

من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر[2].

ولا ثالث لهما !

فأخبرني أولاً عن تفضيلك الحكم الإنجيلي على الحكم التوراوي في قولك لي : أنت ترى فضل هذا على الآخر !!

كيف [أجزت] [3] ذلك ، وأنت قد نسبت إلى الله ﷻ أنه أبى أن يغفر ذنب آدم حين عصاه [بالأكل] [4] من الشجرة التي نهاه عنها ؟

وقلت : إن الله لم يزل غاضباً عليه زماناً حتى انتصف منه بصلب المسيح ! فلو كان العفو بحكم شريعتك أفضل ، ما سبق الخالق إليه .

---

(1) في ج : " وحاز ".
(2) في ج ، ت : " من ... اليمنى ... اليسرى ".
(3) في ج ، ت : " استجزت ".
(4) في ج ، ت : " بأكل ".

فلتعلم ما جئت به من التناقض فى تفضيلك حكماً نسبت ضده إلى الخالق سبحانه [وتعالى] .

ولا جرم ! أن العفو أفضل ، إنما جادلتك بتناقض عقيدتك .

ثم أقول :

إن ذينك الحكمين اللذين أعدمت ثالثهما ناقصان . لم يتم فيهما رحمة الله على عباده ، ليكون فضل التمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الإسماعيلية المعظمة ، كما شهدت له العجوز القبطية.

وبيان نقص ذينك الحكمين ، أن الناس قد يترل بهم الخطب الذى لا يصلح فيه الاقتصاص والانتقام ، فإن يكن الداعى لهم [ومرشدهم] [١] حينئذ يأخذهم بحكم التوراة ، لم يكن ذلك صالحاً .

وربما نزل بهم الخطب الذى يصلح فيه الاقتصاص والانتقام ، فإن يكن [قائدهم] [٢] حينئذ يأخذهم بالحكم الإنجيلى جرأهم ذلك على اقتراف[٣] ذنب آخر، وهذا كله واضح .

فإن يكن الراعى مع أحد الخطبين يأخذ بما يخالفه التماساً للتدين ، فقد أفسد نظام السياسة ، وما فضل شريعة لا تصلح نظام أهلها ؟

وإن هو أخذ بما يوافق السياسة ، وخالف الشريعة ، كان من ذلك ما لا يخفى ، وما فائدة شريعة لا يستطاع امتثالها ؟

فهذان حكمان ناقصان عما فيه صلاح العالم ، إلى أن جاءت الآية الكبرى. المعلمة بنور البشرى ، الواردة بخير الدارين : الأولى والأخرى [وهى] القرآن [الكريم] الذى تكملت على

---

(1) من ع .

(2) من ع .

(3) فى ج ، ت : " أجترام ".

الناس فيه النعمة ، وتمت لهم بأحكامه الرحمة ؛ فنطق وهو أصدق القائلين ، وحكم وهو أعـدل الحاكمين فقال :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ ﴾[1]

﴿ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾[2]

فكل حكم أخذ به الراعى مما يراه صالحاً لمقامه ، كان فيه موافقاً للشريعة .

***

[الرد على مطاعن الأساقفة]

ثم قلت :

" وأما دينكم ، فقد ألف كثير من أساقفتنا كتباً فى الطعن عليه ، وذكـروا صـاحب شريعتكم ، ووصفوا أشياء : فرأينا أنكم لستم على الحق ، وإنما الحق معنا ".

فاحتججت فى تعييبك دينى بما اقترفه أساقفتكم ، وقلت : " وصفوا أشياء " ، ولم تذكر شيئاً من تلك الأشياء ، فأنا سأذكرها إن شاء الله ، وأقيم البرهان على كذب أساقفتكم الطاعنين المفترين .

فأما قولك :

" فرأينا أنكم لستم على الحق ، وإنما الحق معنا " ، فلا أحتاج إلى مجاوبتك علـى هـذا الكلام ، وحسبى ما فيه من الرعونة والسخافة .

---

(1) النحل : ١٢٦ ، ١٢٧.

(2) البقرة : ٢٣٧.

وأما طعنكم فى ملة الإسلام ، وتجرؤكم إلى خلق الأكاذيب [عليها] ، والنيل منـــها ، فغير بعيد على من كانت عقيدته وديانته ما تقدم من [إذلال الخالق][1] ، والتحقير لعظمتـــه ، ووصفه تعالى بغير صفاته الحسنى .

وخليق بمن دان بمثل هذا كله ، أن يجرى على سنن مثله من الطعن أيـــضاً فى ديـــن الله ، وكتابه الحكيم ، ورسوله الكريم .

ومع هذا فإن من الأسباب التى دعتكم إلى ذلك ، أن الله تبارك وتعالى لما بعث سيد النبيين والمرسلين محمداً ﷺ ، رحمة للعالمين ، [ومنقذاً][2] مما كانوا فيه من الضلال المبين ، كانوا ما بين عابد وثن ، [وضال][3] مثلكم ، وقد [غفل][4] لِمَا سبق فى الحكمة الأزلية أن يكون فـــضل التمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الإسماعيلية المعظمة ، كما شهدت لها العجوز القبطية .

قال الله تعالى فى المصحف الأول[5] لهاجر أم إسماعيل عليه السلام : إنى أجعله فى أمة عظيمة.

ولإبراهيم حين دعا فيه : سمعت فى إسماعيل ها أنا[6] قد باركته ، وكثرته جدًّا جدًّا[7] .

والمراد بهذا كله محمد ﷺ ، ولكنه كنى عنه بجده إسماعيل [عليه السلام] .

ومما يبين هذا قوله أيضاً فى إسماعيل : ويقابل جميع الناس ، ويقابلونه ، ويضع فسطاطه فى بلاد إخوته[8] .

---

(1) فى ج : " اذامة الحق ".

(2) فى ج ، ت : " ومستنفراً " .

(3) فى ج ، ت : " وغاو ".

(4) فى ج : " نبى " بدون نقط ، وفى ت : " فتن ".

(5) لعله يقصد الصحف التى نزلت على إبراهيم عليه السلام

(6) فى ج ، ت : " هذا وذا ".

(7) ونص ما جاء فى التوارة : **" وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا اباركه و أثمره وأكثره جدًّا اثنى عـــشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة "** (تكوين ١٧ : ٢٠)

(8) نص ما جاء فى التوراة — وهو جزء من الحوار الذى دار بين هاجر وبين " ملاك الرب " حين ظهر لها علـــى العين التى فى طريق شور :

ولا محالة أن هذه صفة محمد ﷺ ، لا صفة جده إسماعيل ، ومثل هذه الكناية بالجد عن الحفيد فى الكتب كثيرة ، من ذلك فى الزبور الذى بأيديكم قوله :

سبحوا للرَّب تسبيحاً جديداً ، سبحوا الذى يسبحه[١] الصالحون ليفرح إسرائيل بخالقه[٢].

وكيف يفرح إسرائيل وكان قبل الزبور بزهاء خمسمائة سنة ؟

وإنما أراد ليفرح بنو إسرائيل .

ومثل هذه الكناية قوله :

أقسم الله بفخر[٣] يعقوب ، أن لا نضع عنهم أعمالهم إلى الانقراض[٤] وإنما أراد بفخر بنى يعقوب .

ولما بعث الله نبيه محمداً ﷺ إلى كافة خلقه شاهداً ، ومبشراً ، ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صدع[٥] بما جاء به من عند الله ، ودعا العالم إلى الله وحده ، ولم يشرك بعبادته أحداً ، وهداهم [إلى الديانة] الحنفية[٦] ، دين إبراهيم ، التى هى دين الله ، ودين أوليائه.

" ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك . وأنه يكون إنساناً وحشيًّا ، يده على كل واحد ، يد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن " (تكوين ١٦ : ١١-١٢)

(1) فى ج ، ت : " هيكله ".

(2) نص ما جاء فى الزبور : " هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة ، تسبيحة فى جماعة الأتقياء. ليفرح إسرائيل بخالقه " (مزامير ١٤٩ : ١ -٢)

(3) فى ج ، ت : " لسفاهه ".

(4) لعله يشير بذلك إلى ما جاء فى العهد القديم : " قد أقسم الرب بفخر يعقوب ، إنى لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم " (عاموس ٨ : ٧)

(5) فى ج ، ت : " فصدع ".

(6) فى ج : " وهداهم الحنيفية " .

وبيّن لهم ما اختلفوا فيه بما أوحى الله إليه من كتابه المبين ، الذى هو الآية الكبرى ، المعلمة بنور البشرى ، الواردة بخير الدارين الأولى ، والأخرى .

وكملت بنبوته على جميع المخلوقات الرحمة ، واتسعت عليهم برسالته ، وظهور دينه النعمة ، ، وأنجز لهم به ما قد وعدبه على ألسنة أنبيائه ورسله الأكرمين .

وكان من اتقى الله من زعماء أهل الكتابين ، لما سمعوا بأمره ، ساروا إليه باحثين عليه ، وعلى دينه ، فظهر عليهم بساطع برهانه ، وأذهب كفرهم بإيمانه ، فلم يلبثوا حين عرفوا الحق من ربهم ، أن آمنوا به ، واتبعوه على دينه .

وفيهم أنزل الله من القرآن :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [١]

ولا محالة أن البكاء دال على صحة العقيدة ، وثبات اليقين ، وإخلاص النية ، ومعرفة الحق .

وقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [٢]

وقوله تعالى :

﴿ قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ [٣]

وقوله تعالى :

---

(1) الأسراء : ١٠٧ — ١١٠.

(2) القصص : ٥٢.

(3) الرعد : ٤٣.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[١].

وكثير مثل هذا .

فعند ذلك تزلزلت النصرانية ، وسقط ما بأيديهم من المحالات ، وانتقضت عرى ديانتها ، وهدت قواعدها ، ودخلوا فى دين الله أفواجاً .

[وقد أثار هذا][٢] حسد نفر من مضلى زعمائهم ، وأهل الذكر فيهم ، فلفقوا[٣] ما بأيديهم ، وقفوه بأشياء كثيرة ، استدركوها على استدراك " قسطنطين ".

ثم لم تزل لهم محافل يستدركون فيها على ما قدموا ، وينشئون الكتب ، ويصنفون الدواوين فى خلق الأكاذيب على سيد النبيين والمرسلين محمد ﷺ ، وشتم عرضه على نحو ما فعلوا بالخالق ﷻ عن قولهم علواً كبيراً .

فمن تلك الأكاذيب قولهم :

إن محمداً كان يقول لقومه : لست أموت ، ولكن أرفع إلى السماء ، فلما مات تركوه يومين حتى نتن ، ثم دفنوه .

وكنفيهم معجزاته ، و لم يذكروا منها[٤] شيئاً إلا خبر أم معبد[٥]،

---

(1) المائدة : ٨٢ ، ٨٣.

(2) فى ج : " لرست حسد "" بدون قطط ، وفى ع : " فرتب حينئذ " ، وفى ت : " فوثب حينئذ نفر .. "

(3) فى ج : ت : " ولفقوا ".

(4) فى ج : " مثلها : .

(5) ورد عليها رسول الله ﷺ - وهو فى طريق الهجرة من مكة إلى المدينة - ومعه أبو بكر ، ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط الديلى ، فسألوها : هل عندها لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً ، وقالت : لو كان عندنا شئ ما أعوزكم القِرَى. وكانوا ممحلين ، فنظروا إلى شاة فى كسر خيمتها ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : خلفها الجهد . فقال : أتأذنين أن أحلبها ؟ فقالت : إن كان بها حلب فاحلبها. فدعا بالشاة ، فمسحها ، وذكر

وخبر الذئب[1].

وقولهم : إننا رأينا لمسليمة صاحب اليمامة كتاباً تحدى به ، لو رأته العرب ، وسائر المسلمين لارتدوا عن الإسلام إعجاباً بنظمه .

وكدفعهم فى حسن نظم القرآن ، وإعجازه الذى لا يشك فيه إنسان.

وكجحدهم ما فيه من الأخبار عن المعجزات ، وعن الغيوب ، وكجحدهم بشارة[2] الكتب والأنبياء من قبل محمد رسول الله ﷺ .

إلى غير ذلك من الأكاذيب التى لم يخلوا[3] منها ، توقحاً منهم على الله تبارك وتعالى ، وجرأة عليه ، كما وصفهم [عوبديا][4] الذى تنبأ فيكم عند بنى إسرائيل ، فذكر وقاحة قلوبكم ، وتمادى على وصف طلب طباعكم[5].

وأنا أذكر الآن ما يوضح لك كذبهم على سيد الأولين والآخرين ، وأكتفى بذكر القليل عن التطويل.

وإنما أريد أن تتحقق [ويبدو أمامك] خلاف ما قالوه ، ويتبين كذبهم عليه توقحاً منهم :

اسم الله ، فذكر الحديث فى حلبه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها ، وترك عندها إناءها ملأى ، وكان يروى الرهط .

(ابن كثير : شمائل الرسول ص٤٥)

[1] حدثنا يزيد ، حدثنا القاسم بن الفضل الحمدانى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : عدا الذئب على شاه فأخذها ، فطلبه الراعى ، فانتزعها منه . فأقعى الذئب على ذنبه ، فقال : ألا تتقى الله ؟ .. تنزع منى رزقاً ساقه الله إلىّ ؟ فقال : يا عجبى .. ذئب يقعى على ذنبه يكلمنى كلام الإنس! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ... (ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٢٧٣)

[2] فى ج : " ببشار ".

[3] فى ج ، ت : " يستحيوا ".

[4] فى ج : " عفويدنا " بنقط النون فقط ، وفى ت : " عوزرياء ".

[5] إقرأ رؤيا عويديا فى العهد القدم .

قالوا عنه ، إنه قال : لا أموت .

وفى القرآن مكتوب .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١]

وفيه أيضاً

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾[٢]

وفيه ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[٣]

وقال : " بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة "[٤]

وقال : " اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "[٥]

ينهى بذلك قومه أن يتخذوا قبره مسجداً ، حتى لا يؤدى[٦] بهم ذلك إلى الفتنة به ، فيعبد من دون الله ، كما فعلت النصارى فى عبادة عيسى بن مريم .

وكان عليه السلام يستعيذ بالله من عذاب القبر[٧] .

وبإجماع من أمته ، أنه فاح لهم منه رائحة المسك حين مات ، وكان على بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنهما يقولان :

" بأبى أنت وأمى طبت حياً وميتاً "[٨]

---

(1) الزمر : ٣٠.

(2) آل عمران : ١٤٤.

(3) الأنبياء : ٣٤.

(4) البخارى جـ ٣ ص ٢٩.

(5) قارن البخارى جـ٦ ص١٣.

(6) فى ج : " حتى يحرق بهم .. " بإهمال الياء ، وفى ت : " خشية أن يخرق بهم بذلك إلى الفتنة ".

(7) قارن البخارى جـ٢ ص ٢٣.

(8) ابن كثير : السيرة جـ٤ ص٥١٨.

فهذا بعض ما هو منصوص فى الكتب ، ونقلته عنه ثقات أمته الذين عنوا بأخباره، وتقلدوها ديناً ، ورأوا ، وعاينوا إعلاناً وسراً ، وكثير مثل هذا يستغنى عن ذكره.

فمن نقل إليكم — معشر الغاوين — أنه قال :

لا يموت ويرفع ؟

وإن كان الذى رفع من الأنبياء إلى السماء أفضل من الذى فى الأرض ، فلم تفضلون موسى بن عمران على إدريس ، وأحدهما مرفوع [كما جاء فى توارتكم] [١] والأفضل مقبور ؟

وأما قولكم ، إنكم رأيتم لمسيلمة صاحب اليمامة كتاباً تحدى به ، لو رأته العرب لارتدت عن دينها إعجاباً بنظمه ، فهذه مجاهرة عظيمة بالباطل ، وإسراف بالتوقح على الله [تعالى] .

أخبرنى :

كيف عرفتم أحوال مسيلمة ، وجهلها العرب ؟

وكيف قرأتم كتابه على بعدكم[٢] ، وعميت عنه العرب ؟

وإنا لنراكم جاهلين بأحوال المسيح و أمه ، الذين ادعيتم الانفراد بولائهما .

[لقد] [٣] ذهبتم فى ذلك إلى التمويه على أعدائكم بحسب ما جرت به عوائدكم .

وإن كان اتصل بكم شئ من كلام مسيلمة ، [فليس إلا] من أيدى المسلمين ، ومما كتبوه فى تواريخهم[٤] ، إذ لم يغادروا من حوادثهم صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها لعلو هممهم ، وشرف نفوسهم .

فليت شعرى !

ما الذى استحسنتم من كلام مسيلمة المتقول على الله ﷻ ؟

---

(1) كما بينا سابقاً فى ص ١٥٠ — ١٥١ .

(2) فى ج : " بعادكم ".

(3) فى ج : " أما أنكم " ، وفى ت : إلا أنكم ذهبتم ".

(4) فى ج : " كتبوا يمينه ".

أقوله : " يا ضفدع نقي ما تنقين ، أعلاك فى السماء ، وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين[1] ، ولا الماء تكدرين "[2] .

أم قوله : " والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحنًا ، والخابزات خبزاً ، فالثاردات ثرداً ، فاللاقمات لقماً وسمناً ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، رفيقكم فأمتعوه[3] والمعتر فآووه ، والباغى فناوئوه[4] ".

أم قوله : " تفكروا فى نعمة الله عليكم ، إذ جعل لكم الشمس سراجاً ، وجعل لكم فى الأرض أنهاراً ودجاجاً ، وكباشاً ، ونعاجاً ، وفضة ، وزجاجاً ، وذهباً ، وديباجاً ، وأخرج لكم من الأرض رماناً ، وعنباً ، ورطباً ، وتمراً ، وأبًا " .

أم قوله : " لقد من الله على الحبلى ، إذا أخرج منها نسمة تسعى . ما بين فرث وحشا[5] ، فمنهم من يموت ويدس فى الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى إلى أصل ومنتهى ، والله يعلم السر وأخفى ، ولا تخفى عليه الآخرة والأولى " ؟

أم قوله : " والشمس وضحاها ، فى ضوئها ومتجلاها ، والليل إذا عداها ، يطلبها ليغشاها ، فأدركها حتى أتاها ، فأطفأ نورها ومحاها " ؟.

فهذه [نُبَذ] من كلام مسيلمة ، كذاب اليمامة ، وأجدر بكم — معشر النصارى — أن لايقع استحسانكم إلى على مثل هذا الكلام .

فمن كان قد ارتضى إلهه صليباً ، [فهو خليق] بأن يرضى بمسيلمة رسولا ، وبكلامه هذا فرقاناً.

---

(1) فى ج : " المتعين ".

(2) الطبرى : تاريخ جـ ٣ ص ٢٨٤.

(3) من ع ، وفى ج : " زيفكم فامنعوه " ، وفى الطبرى : تاريخ : ريفكم فامنعوه .

(4) من الطبرى : تاريخ ... وفى ج : " فباوه " وفى ع : " فاووه " أنظر الطبرى تاريخ جـ٣ ص ٢٨٣ ، وابن كثير : السيرة النبوية جـ٤ ص ٩٩.

(5) قارن ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص ٥٦ — ١٠٠ ، ابن هشام ، جـ ٢ ، ص٥٧٧ .

[الكلام فى إعجاز القرآن الكريم]

ومن أعجب الأشياء دفع مضليكم فصاحة القرآن الذى هو حاضر إلى الآن ، يظهر فيه كذبهم ، ويوجب عند كل متكلم خزيهم ، وقد كان فصحاء العرب ، وشعراؤها ، وأئمة البيان فيها ، ورؤساؤها تمشى إلى استماعه سرًّا وجهراً ، ولا تدفع فيه ، وهم أعداؤه يومئذ ، وخصماؤه ، والمستهلكون أنفسهم فى رده. وهو ومن اتبعه مستضعفون فى الأرض يومئذ ، مبالغ فى أذاهم ، وكان يقرأ عليهم :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [1]

ثم قال ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾[2]

ثم رجع إلى سورة واحدة فقال : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[3]

ثم قال : ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾[4]

فما أجابوه بحرف إذعاناً إلى إعجازه ، وإلقاءً بأيديهم لديه ، وإلا فما منعهم حين سمعوه قد قرأ عليهم ذلك [أن يعارضوه بـ] أن يقولوا :

هذا الرجل قد تخطى رقابنا – معشر العرب – على ما فينا من خطيب بليغ ، وشاعر هميم ، وذوى عقل ، وحكم ، وعلم ، وتجربة ، ونظر فى العواقب ؟

وقالوا :

إنكم متى عارضتموه بسورة واحدة مثل كتابه فهو كاذب .

---

(1) الإسراء : ٨٨.

(2) هود : ١٣.

(3) هود : يونس : ٣٨ ، وفى البقرة : ٢٣ ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ .

(4) البقرة : ٢٤.

كيف يجوز هذا على مثلنا ، وهو وحده ، ونحن كثير ، والكلام كلامنا ؟

قد علمت جميع الأمم أنه فاض بياننا ، وجاشت بالبلاغة صدورنا ، فهلموا إلى شئ يغنينا عن استهلاك أنفسنا فى محاربة هذا الرجل ، ومكابدته إلى ما هو أيسر علينا ، وذلك أن نؤلف كلاماً فى سورة واحدة مثل كتابه ، فيكون كاذباً ، كما حكم على نفسه إذا فعلتم ؟

إعتبر أيها المغرور من نفارهم[1] عن ذلك ، و لم يفعلوا شيئاً منه ، وفى قوله لهم : " ولن تفعلوا " فيحتمل هذا وجهين ، ولا محيص عنهما :

إما أن يكون القوم قد ميزوا عجزهم ، فستروا أنفسهم عن معارضته .

وأما أن يكونوا قدروا على ذلك فمنعهم الله ، كما لو قال لهم :

إن أحدكم لا يقدر أن ينطق باسم أبيه ، فيعترى ألسنتهم ما يمنعهم عن ذلك ، وهذا لا يقدر عليه إلا الخالق ﷻ .

وقد كانت العرب بالغت فى إيذائه بأقوالها ، وأفعالها ، فما دفع أحدهم قط فى إعجاز كتابه ، بل كان منهم من نسبه إلى السحر ، وأين السحر من القرآن ؟ وإنما السحر بخيالات ، وحيل ، ثم يضمحل ويزول باطله ، والقرآن هو اليوم كما كان يومئذ .

وقد كتبت أمته جميع ما أوذى [به] من سب ، وهجر ، ونفى ، وضرب ، وجرح ، وحصر فى الشعاب ، وغير ذلك من أنواع الإيذاء ، فما رُوىَ أن أحدهم عارضه بسورة قط ، ولا يجوز أن يكون ذلك فيخفى ، لما فى سجية الخلق من اللهج بنقل الأخبار[2].

وإن كان عليهم فيه شئ .

وأيضاً فقد كتبوا هجوه ، ورددوه ، وهو أبلغ فى الإثم .

وأيضاً قد قرأ عليهم فى ذلك " ولن تفعلوا " .

فلو فعلوا لكان سبباً فى تفوق قومه وتكذيبه ، حيث قال : " لن تفعلوا " ففعلوا !.

---

[1] إحدى مصارد الفعل الثلاثى : نفر ، وله مصدران آخران : نفورا ، ونفيراً ، ومعنى الفعل فى هذا المقام : تباعد.

[2] فى ج : " من اللهوج مثل الأخبار " وفى ت : " من اللهوج بنقل ..... "

وقد كانوا قالوا للوليد بن مغيرة المخزومى : إختر لنا ما نقول لجماعة العرب إذا قدموا الكعبة [فى] الموسم !

ففكر وقال : ماذا تقولون أنتم ؟

قالوا : نقول : هو شاعر .

قال : إذن يكذبوكم ، لقد رأينا الشعر كله ، هزجه ، ورجزه ، وقريضه ، ومبسوطه ، فما قوله بالشعر .

قالوا : هو ساحر .

قال : إذن يكذبوكم ، لقد رأينا السحرة ، وسحرهم ، فما هو بعقد السحر ، ولا نفثه.

قالوا : فهو مجنون .

قال : إذن يكذبوكم ؟ لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ، ولا بخالجه ، ولا وسوسته .

قالوا : فما تقول أنت ؟

فأطال فكرته ، ثم دخل منزله ، وأغلق [الباب] دونهم ، فصاحوا به ، وهموا برجمه ، فتطلع عليهم ، فقال بعد فكرة طويلة :

هو ساحر جاء بسحر[١] يلقى إليه من نحو بابل ، يفرق بين المرء وقلبه ، وما أنتم بعالمين من هذا شيئاً إلا علم أنه باطل[٢].

وفى الوليد يقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَر ﴾[٣]

---

(1) فى ج : " بسحره ".

(2) راجع الطبرى ، جامع البيان ، جـ٢٩ ، ص ٩٩ ط بولاق (١٣٢٩هـ) ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، جـ١ ص ٤٩٩ — ٥٠٥.

(3) المدثر : ١٨ — ٢٤.

وكفى بحالهم [هذا] شاهداً على عجزهم !

كانوا إذا جاءهم محمد ﷺ بمعجزة ، قالوا : هذا سحر ، ونحن لا نعلم السحر ، فلما جاءهم بالقرآن قيل لهم :

كيف عجزكم بهذا ؟ لعلكم تقولون : إنا لا نعلم البلاغة ، والخطابة ، ولا يمكنكم التوقح بذلك[1] ، فأراد الله خزيهم كيفما انقلبوا .

وقد كانوا يعلمون أن محمداً ﷺ لم يتعلم قط إلا ما تعلموا ، ولا صاحب إلا من صحبوا ، ولا فارقهم بمكة قط إلا بسفرة واحدة إلى الشام ، مشى معهم قدماً بقدم ، ولم يقم فيها إلا ما يقيم البائع لبضاعته ، مثل ما يفعل المسافرون بالتجارة من بلد إلى بلد.

فقد استبان أن العرب لم تدفع قط فى إعجاز كتابه ، فكيف[2] يلتفت إلى مقال العجم الجهلاء[3] الجاعلين مع الله إلهاً آخر ؟

ومن أعجب توقح أساقفتكم على الله نفيهم معجزات رسوله ﷺ ، ولم يثبتوا شيئاً منها إلا خبر أم معبد ، وخبر الذئب[4].

ثم قالوا :

لو نقل قومه غير هاتين لنقلناه أيضاً .

وهذا نوع من الوقاحة ، وباب [من] السفسطة ، كمثل ما روى عن [رجل من] المشعوذين ، [أنه] نام ليلة فى نور القمر[5] ، فتصدع رأسه ، فقام ورفع عينيه نحو القمر ، وقال له :

يا مصدع الرؤوس ، ويا مكرب النفوس ، ويا مقرب الآجال . ويا قاطع الآمال ، أية

---

(1) فى ج : " ولا يمكنهم التوسخ بذلك ".

(2) ج : " وكيف " .

(3) فى ج : " مثال العجم الدعى " .

(4) فى ج ، ت : " ولم يثبتوا شيئا منها وثم اثبتوا خبر أم معبد" .

(5) فى ج : " قام ليلة الضوء القمر " ، وفى ت : " ليلة نور القمر "

منفعة فيك ؟ ولأى شئ تصلح ؟ تالله لا تصلح إلا لإصلاح القثا [ء] واليقطين ، فـلا كـان القثا [ء] ، ولا اليقطين[1].

فأراد هذا المشعوذ — حين أوجع القمر رأسه — [أن] يجحد منافعه المعلومـة فى هـذا العالم ، ثم أوجب له منها أضعف ما وجد ، ليوهم الجاهل أنه لو علم له فضيلة سـوى ذلـك لذكرها .

وإلى هذا النوع من التوقح والشعوذة ذهب مضلوكم ، حيث أوجع محمد ﷺ رؤوسـهم بمقامع الحق ، وقد علموا أنه[2] لم يعط الله نبياً آية إلا أعطى محمدا ﷺ أعجب منها ، أو مثلها .

ولا محالة ، إن آية واحدة خارقة للعادة تدل على صدق نبوة من جاءت على يديـه ، إذا دعا إلى الله [تعالى] ، إذ وقع الاتفاق على أن الله لا يؤيد بها كاذباً عليه .

ثم أسترسل مضلوكم فى التوقيح بأن قالوا : لم تذكر فى القرآن آية له ، ولا إخبار عـن الغيب .

***

[بعض ما فى القرآن من المعجزات]

وأنا أذكر لك الآن بعض ما نص فيه ، ليتحقق كذبهم ، وتوقحهم على الله تعالى ، ولو لم أذكر من ذلك غير واحدة لكانت [مؤيدة] [3] لكذبهم .

---

(1) القثاء ، الواحدة قثاءة : نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيار. اليقطين الواحدة يقطينة ، وهو ما لا ساق له مـن النبات كالقثاء ، وغلب على القرع المستدير.

(2) فى ج : " وقد سلموا أنهم ".

(3) فى ج ، ت : " مودنة ".

فمن ذلك [ما تناقله][1] جميع أسلافنا [الذين عاصروا] [2] محمداً ﷺ ، وقــد ســألته قريش آية ، فشق لهم القمر على نصفين[3] ، حتى كان جبل أبي قبيس بين فلقتيه ، وقرأ علــيهم [في ذلك] قرآناً باقياً إلى [الأبد] [4] قوله :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَــةً يُعْرِضُــوا وَيَقُولُــوا سِــحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [5]

فوصف [الله] تعالى انــشقاق القمــر ، و[أثبــت] [6] علــيهم رؤيتــهم ذلــك بقوله : " وإن يروا آية " .

ووصف ، كيف نسبوا ذلك إلى [السحر] [7] ، ووصف تكذيبهم إيــاه ، واتبــاعهم أهواءهم ، ثم قال : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾[8]

وانشقاق القمر[9] أعجب من انشقاق البحر ، وقد تعلم أن انشقاق البحر لموسى لم يكن شقاً يقطع في معظم البحر من إحدى ضفتيه المحيطتين به إلى الأخرى ، وإنما كان قطع طريق من بحر القلزم إلى مفاز شور .

***

---

(1) في ج : " ما تنافلوا " بإهمال التاء والنون.

(2) في ج ، : " ألهم عامنوا ".

(3) راجع ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ١٣٨ - ١٤٤.

(4) في ج : " القدم ".

(5) القمر : ١- ٣ .

(6) في ج ، ت : " أدعى "

(7) في ج : " الحضر ".

(8) القمر : ٦.

(9) أنظر ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

[بعض ما ورد من معجزات النبى ﷺ]

وكذلك سقى محمد ﷺ أصحابه فى غزوة تبوك ، وهم عشرة آلاف من الزحال[١] ومن معهم من غيرهم من قدح صغير ، قدر ما يشرب إنسان ، فوضع يده عليه ، ونبع الماء من أصابعه كالعيون حتى شربوا[٢] ،

---

(1) اختلف الرواة فى تحديد عدد من اشترك فى غزوة تبوك ، ويبدو أن نوعية الأحداث التى لابستها (الاستنفار فى الحر ، نشاط المنافقين فى تعويق الخروج ، تخلف عبد الله بن أبىّ بن سلول فيمن تخلف من المنافقين ، وأهل الريب ، سلوك المسلمين مع الثلاثة الذين خلفوا .. إلخ) شدت اهتمام المؤرخين ، مما جعل التنصيص على العدد أمراً ثانوياً ، بل لم تذكره بعذ كتب السيرة المعتمدة — من أمثال الطبرى — إلا أن ابن كثير روى أن العدد كان أكثر من ثلاثين ألفاً (أنظر : ابن كثير : السيرة النبوية ، حـ٤ ، ص ١١ ، الطبرى : تاريخ : حـ٣ ، ص ١٠٠ — ١١١) .

(2) روى أن رسول الله ﷺ مر فى طريقه إلى تبوك بالحجر ، فمنع المسلمين من الشرب ، أو الوضوء من ماء بئرها ، فلما أصبح الناس — ولا ماء معهم — شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا الله ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء . وليس فى ذلك ما يدل على نبع الماء من أصابعه ﷺ .

غير أن الطبرى يروى عن يزيد بن رومان أن رسول ﷺ أقام بتبوك بضع ليلة ، ولم يجاوزها ، ثم انصرف إلى المدينة فكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ، ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له وادى المشتق ، فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . قال فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً ، فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ، فقال أو لم ننههم أن يستقوا منه شيئاً حتى نأتيه ، ثم لعنهم رسول الله ، ودعا عليهم .

ثم نزل ﷺ ، فوضع يده تحت الوشل (الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً) فجعل يصب فى يده ماشاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء ، كما يقول من سمعه : إن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه .. فلم ينبع الماء من أصابعه بالصورة التى يرويها أبو عَبِيدة فى النص فى هذه الحادثة .

(الطبرى : تاريخ .... ج٣ ، ص ١٠٠ ، ١١١ ، إبن هشام : القسم الثانى ص ٥٢٢ ، ابن كثير : السيرة النبوية حـ ٤ ص ١٦) .

وفعل بهم مثل ذلك فى غزوة الحديبية ، وهم ألف وستمائة رجل[١].

وانفجار الماء من اللحم أعجب من انفجاره من الحجر ، وأيضاً موسى حين فجر من الحجر قالت بنو إسرائيل :

لِمَ تخص ذلك الحجر بعينه ؟ وإنما نريد أن يكون هذا الآخر ، فأبى عليهم ذلك[٢].

ولم يخصص محمد ﷺ قدحاً بعينه ، وإنما قال لهم : [إئتونى بقدح] ، فانطلقوا حتى وجدوا قدحاً جاءوه به ، فوضع يده عليه وانفجر الماء منه .

ولسنا ننكر إعجاز ما جاء به موسى عليه السلام ، وغيره من الأنبياء ، بل نحن أولى بهم منكم ، وإنما أقول : إن من نسب شيئاً من آياتهم إلى السحر لزمته الحجة ، [وهى][٣] أن اقتصار موسى على حجر بعينه أقرب إلى التهمة من استدعاء محمد قدحاً من الأقداح غير مخصوص .

وأيضاً فإن فى التوارة : أن السحرة فعلوا كل ما فعله[٤] موسى بمصر[٥] ، إلا البعوض فإنهم

---

[1] لم تذكر كتب السيرة أن عدد الرجال فى غزوة الحديبية ألفاً وستمائة ، بل تراوحت رواياتهم بين سبعمائة رجل وخمس عشرة مائة.

(قارن : ابن هشام ، القسم الثانى ص ٣٠٨ – ٣٠٩ ، ابن كثير : السيرة النبوية جـ٣ ص ٣٢٥ – ٣٢٦ ، الطبرى : تاريخ .... جـ ٢ صـ ٦٢١) .

[2] روى فى التوراة أن بنى إسرائيل – حين أصابهم العطش ولم يجدوا ماءً – تذمروا على موسى وقالوا له : " **لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش** " (خروج ١٧ : ٣)

فأمره الله أن يضرب صخرة فى حوريب بالعصا التى ضرب بها البحر ، فانفجر منها الماء : " **وعصاك التى ضربت بها النهر خذها فى يدك واذهب ، ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة فى حوريب ،فتضرب الصخرة ، فيخرج منها ماء ليشرب الشعب** " (خروج ١٧ : ٥ – ٦)

ولم يذكر ما يشير إلى اعتراض بنى إسرائيل عليه فى اختيار حجر معين ، كما ذهب إلى ذلك أبو عُبيدة .

[3] فى ج ، ت : " على أن .... ".

[4] فى ج : " كما " ، فى ت : " كما فعل ".

[5] راجع خروج : الأصحاح السابع والثامن.

لم يقدروا عليها[١].

واسترجع محمد ﷺ [الشمس] ليدرك على بن أبى طالب [الصلاة] ، فرجعت بمحضر أصحابه[٢] ، و " يشوع بن نون " إنما استوقفها ، فوقفت ، وفى بعض كتبكم : أن [يشوع] إنما استوقف ضياءها بعد ما غابت[٣].

وقبض محمد ﷺ يوم بدر على تراب ، ورمى به وجوه الكفار من قريش[٤] ، وقال : [شاهت الوجوه] [٥].

فما منهم إلا من أصاب عينيه منه شئ ، فانهزموا وقرأ عليهم بذلك قرآناً باقياً : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾[٦]

ثم ما عاينه جميع من حضر بدراً ، مؤمنهم وكافرهم من قتال الملائكة معه ، حتى أن أبا داود المازنى ﷺ قال : " إتبعت مشركاً يوم بدر ، لأقتله ، فسقط رأسه بين يدى قبل أن أضربه ، فعلمت أن غيرى قتله " .

---

(1) خروج ٨ : ١٨.

(2) ذكر ابن كثير حديث رد الشمس ، ثم عقب على ذلك بقوله : وقد رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات من طريق أبى عبد الله بن منده ، .. ومن طريق أبى جعفر العقيلى. حدثنا أحمد بن داود ، حدثنا عمار بن مطر ، حدثنا فضيل بن مرزوق فذكره .

ثم قال : وهذا الحديث موضوع ، وقد اضطرب الرواة فيه ... وهذا تخليط فى الرواية .

قال : وأحمد بن داود ليس بشئ ، قال الدار قطنى : متروك كذاب . (ابن كثير : شمائل الرسول ، ص١٤٥)

(3) أنظر يشوع ١٠ : ١٢ — ١٤ .

(4) فى ج : " ورمى به أوجه قريش " وفى ت : " جيوش الكفار " .

(5) الطبرى : تاريخ ..... جـ٢ ص ٤٤٩ .

(6) الأنفال : ١٧.

[ومن ذلك آية المطر والنعاس] [1] ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [2]

وقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[3]

ومن ذلك ما حدث فى السنة التى بعثه الله [فيها] من رمى السماء بالشهب بما فيه عبرة[4] لمن عقل ، وقرأ عليهم قرآناً باقياً ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ .... إلى أخر قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [5]

---

(1) فى ج ، ت :" وأمطرهم فيه مطراً أبدلهم الكثيب ، لأنهم كانوا معه اليوم ثلاثمائة رجل ، أكثرهم على أقدامهم ، وكان لإعدام ذلك المطر ما لم يستطيعوا بسببه أن يحضروا إلى العدوة القصوى واحتازه النبى وأصحابه ، ثم نزل عليهم النعاس فى ذلك ، فأزال عنهم الجزع لكثرة عدوهم ، حتى لقد وقع السيف من يد أحدهم من كثرة ما غشيهم النعاس . والنعاس فى مثل هذا اليوم آية ، لأنه يوم يزول عن من كان به ، وفيما فعل من المعجزات يوم بدر من قتال الملائكة معه والمطر والنعاس".

(2) الأنفال : ١١ — ١٣.

(3) آل عمران : ١٢٣ — ١٢٥.

(4) فى ج : " غيره " .

(5) الجن : ٨ — ١٠.

وقد كان بعض العرب قصدوه يوماً ليؤذوه ، وهو يصلى إلى جانب الحـرم ، وكـانوا يسمعون قراءته ولا يرون شخصه[1] ، وقرأ بذلك قرآناً باقياً ، قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ [2]

ومن ذلك ما فعل بأبى جهل بن هشام ، [حين جلس] [3] بحجر مـا يطيـق حملـه ، [يريد أن يهشم] [4] به رأسه ، إذا صلى ، والناس ينظرون إليه ، فلما سجد النبى ﷺ وهَمَّ بإلقاء الحجر عليه ، رجع منهزماً ، ويداه يابستان على حجره ، لا يقدر على إلقائه عنهما حتى أنقذته قريش من يده ، وسألوه عن خبره فقال :

" قمت لأفعل ما قلت لكم ، فلما قربت منه عرض لى فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قفزته ، ولا أنيابه بفحل قط ، فَهَمَّ أن يأكلنى ". فقال النبى ﷺ : " ذلك جبريل لو دنا منه لأخذه " [5] ، وقرأ قرآناً قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَـمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [6]

---

[1] لم تكن هذه الحادثة من أسباب نزول الآية. بل ذكر العلماء أن المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ أنه زين لهم سوء أعمالهم ، فهم يعمهون ولا يبصرون رشـداً ولا يتنبهون حقاً ، وروى عن مجاهد فى قوله : ﴿ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ قال : عن الحـق فهـم يترددون. وقال ابن زيد : جعل الله بينهم وبين الإسلام والإيمان سداً فهم لا يخلصون إليه (الطبرى : جامع البيان جـ ٢٢ ص ٩٩) .

[2] يس : ٩.

[3] فى ج : " ليجلس " ، وفى ت : " ليجيئن بحجر ما يطيقون حمله ليفضخ . به رأسه إذا صلى ".

[4] فى ج : " نصح به " . بدون نقط.

[5] ابن كثير : السيرة النبوية جـ١ ص ٤٦٥.

[6] العلق : ٩ -١٤.

وكلمته عليه السلام ذراع مسمومة [١] .

ولما [هاجر لشدة قومه] [٢] دخل الغار مع صاحبه فنسجت على بابه العنكبوت ، وفرخت القطاة[٣] ، [وأتى] [٤] قومه ، وهموا [بدخول] الغار ، فقال أحدهم : " لو دخله لخرق هذا النسيج ، ونفرت هذا القطاة " .

وقال له صاحبه : " لو أن أحدهم ينظر ما تحت قدميه لأبصرنا " .

قال له : " يا أبا بكر .. ما ظنك باثنين الله ثالثهما " [٥].

وأصاب أصحابه جوع في غزوهم ، فسأل أبا هريرة ، فذكر تمرات في مزوده ، ثم استخرجها إحدى وعشرين تمرة ، فصفها ﷺ في ردائه ، يقول في كل واحدة منها[٦] : " بسم الله وبركته " ، ثم دعا في العسكر إلى الغذاء ، وهم زهاء ثلاثة آلاف ، فأكلوا حتى شبعوا ، ورفع الرداء والتمر يتساقط منه ، وقال لأبي هريرة " أعده إلى مزودك " .

يقول أبو هريرة : " فوالذي نفسي بيده ! فقد جهزت منه ستين وسقاً في سبيل الله ، وأصبحت باقية حتى يوم الحرة " [٧] .

وأطعم أيضاً يوم الخندق [جنده] — وهم ثلاثة آلاف — من تمرات ما ملأت كفه ، جاءت بها أم عمرو بنت رواحة ، فدعا بها ﷺ في ردائه ، فأكل الناس ، وضم رداءه على أكثر مما أخذ منه[٨] .

---

(1) ابن كثير : السيرة النبوية جـ٢ ص ١٩٥ - ٢٠١.

(2) في ج : " ولما فر من قومه من شدتهم عليه " ، وفي ت : " خرج من قومه ".

(3) القطاة تجمع على : قطا وقطوات ، طائر في حجم الحمام ، ضرب بها المثل في الاهتداء ، فيقال " أهدى من القطا " .

(4) في ج ، ت : " ولحق قومه ، وهموا الغار " .

(5) راجع ابن كثير : السيرة النبوية جـ٢ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(6) في ج ، ت : " في كل واحد منهن " .

(7) ابن كثير : شمائل الرسول : ٢٢١ — ٢٢٣ .

(8) راجع ابن هاشم ، جـ٢ ، ص ١٥٨ .

وأطعم أيضاً يوم الخندق [جمعاً كبيراً] فى بيت جابر بن عبد الله من قصعة فيهـــا ثريـــد شعير وعتر حتى شبعوا ، ثم بقى لجابر بن عبد الله ما كفى أهله[١] .

ورد عين قتادة بن النعمان الأنصارى يوم أحد بعد ما فقئت ، فكانت أحـــسن عينيـــه ، وكانت الأخرى تمرض ، ولا تمرض هى ، فلقب [بـــ] قتادة العينى[٢] .

[ونزل رسول الله ﷺ بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء ، فشكى إليه] [٣] ، فأخذ سهماً من كنانته ، وأعطاه البراء بن عازب ، وأمره بالهبوط فيها ، وأن يغرز السهم فى ثغرها ، [فثـــار ماؤها] ، حتى لم يدركوا لها قعراً[٤] .

إلى غير ذلك من المعجزات التى لا تحصى ، كإنطاق العجماء[٥] وما سبح فى كفـــه مـــن الحصباء[٦] ، وإمطاره الماء من السماء[٧] ، والريح المرسلة إلى أعدائه ليلاً بالخندق ، وقرأ بـــذلك قرآناً باقياً ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[٨] .

وكثير من معجزاته المنقولات على لسان صلحاء أمته على قرب العهد ، وكثرة الناقلين ، ولو أنى قصدت أن أسمى آياته كلها ، لضخم [هذا الكتاب ، وطال عليك قراءة هذا الباب] [٩]

---

[1] المصدر السابق ، جـــ٢ ، ص١٥٨ .

[2] ابن كثير : السيرة النبوية ، جـــ٣ ، ص ٦٦ ، البداية والنهاية ، جـــ٣ ، ص٢٩١ .

[3] فى ج : " وهو من دواء البحر وشكى إليه فى غزوة الحديبية بعد رمانة هاو ...." ، وفى ت : " وشكى إليه فى غزوة الحديبية غور ماء لها ".

[4] أنظر ابن كثير : السيرة النبوية ، جـــ٤ ، ص ١٤-١٥ ، الطبرى : تاريخ ، جـــ٢ ، ص ٦٢٤.

[5] راجع ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٢٨٢ ، وما بعدها .

[6] المصدر السابق : ص٢٥٢ — ٢٥٨.

[7] حدث بعد صلاة الاستسقاء.

[8] الأحزاب : ٩ .

[9] فى ج : " يضخم ديوان ذلك " ، وفى ت : " لعظم ديوان ذلك ".

وإنما [ذكرت][1] بعضها ، لتقف على كذب أساقفتكم ، وتوقحهم[2] على الله تعالى فيما هو للعيون أوضح من الشمس .

***

[بعض ما فى القرآن من الإخبار بالغيب]

وأما ما فى القرآن من إخباره عما يكون ، فقوله تعالى :

﴿ الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]

فهلا علم الله تعالى أنه إن أنجز له هذا الوعد يكون سبباً لاتباع الناس له !

وإذ سمعه يتقول عليه مثل هذا – كما تزعم – [ألا] يكبه فى إخلاف وعده .

فما كانت أيها المغرور إلا بضع سنين ، وغلبت الروم ملك الفرس بالبحرين ، وتملكوا أكثرهم[4] . والبضع من العدد ما دون العشرة .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[5]

---

[1] فى ج ، ت : " أذكر ".

[2] فى ج ، ت : " وتوقحكم ".

[3] الروم ١ – ٦.

[4] ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١٩٥ ، الطبرى : جامع البيان جـ٢١ – ص١٢ .

[5] الفتح : ٢٧ .

وقوله : ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾[1] .

[فصدق وعده ، فدخلوا] مكة والبيت .

كما وعده الصالحات والفتح القريب ، [وهو] دخول خيبر قبل ذلك بقليل فى قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [3]

ولا يجوز أن يقول رئيس قوم لقوم : وعدتكم بذا وهو لم يعد .

وقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[4]

فقوله ﴿ فِي الْآفَاقِ ﴾ يعنى [فتح] الأمصار .

وفى أنفسهم : فتح مكة .

وقوله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾[6] .

يعنى ما يستقبلون من فتح الأمصار .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا ﴾[7] يعنى أرض الفرس .

---

(1) الفتح : ١٩ .

(2) النور : ٥٥ .

(3) الأنفال : ٧ .

(4) فصلت : ٥٣ .

(5) التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩ .

(6) الفتح : ٢١ .

(7) الأحزاب : ٢٧ .

وقوله تعالى عن اليهود : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ ﴾[١]

[فلما قاتلوه حقيقة ولوا الأدبار] [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾[٣]

فلما هاجروا أنزلهم المدينة ، وفتح عليهم ما لا يخفى .

وقوله تعالى : ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾[٤]

وقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٥]

وقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾[٦]

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾[٧]

وقوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [٨]

---

[1] آل عمران : ١١١ .

[2] من ع .

[3] النحل : ٤١ .

[4] الأنفال : ٣٦ .

[5] آل عمران : ١٢ .

[6] الفتح : ١١ .

[7] الفتح : ١٥ .

[8] القمر : ٤٥ .

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ ﴾[1] [إلى أخر] السورة .

وقوله تعالى فى القرآن الكريم مثل هذا كثير ، وفيما نقله السلف الصالح من أهل ملتنا فى كتبهم ما لا يحصى ، ولا يدفعه[2] إلا مجادل ، أو كافر ، ولو [لا] أنى [أخشى أن] أخرج عن غرض هذه الرسالة ، لتماديت على ذكر ذلك ، وليس فى ذكر ما قدمت من المعجزات والمغيبات خروج عن الغرض ، لأنه يبين خلاف ما ذهب إليه مضلوكم ، وما افتروه[3] علـــى الله وعلـــى رسوله .

وإذ قد بينت[4] ذلك ، فلتعلم أن من الأنبياء الذين أنتم بهم مؤمنون [من لم تكن له] آية كداود [عليه السلام] ، [إذ] لم يذكر له فى الزبور آية ، وكحزقيال [الذى] نص عندكم [عنه] أنه اجتمع [إليه نفر] يسألونه معجزة فقال :

" إن الرب يقول : أقسم قسماً باسمى أنى أنا الحى ، وأنى لا أجد جواباً عما تريدون "[5] وكذلك اجتمعت قريش إلى محمد ﷺ وسألوه عن انشقاق القمر[6] ، فكان ذلك ، فلما عـــاينوه تولوا عنه وعتوا [عليه] .

---

(1) النصر : ١-٢ .

(2) فى ج : " ولا يدفع " ، وفى ت : " ولا يدفع فيه " .

(3) فى ج : " نظركم الذين أنتم به مؤمنون وما اقترفتموه " .

(4) فى ج : " يثبت " .

(5) ذكر حزقيال : **" أن أناساً من شيوخ إسرائيل جاءوا ليسألوا الرب فجلسوا أمامى ، فكان إلى كلام الـــرب قائلاً : يا ابن آدم ! كلم شيوخ إسرائيل وقل لهم : هكذا قال السيد الرب ، هل أنتم آتون لتسألونى حى ، أنـــا لا أسأل منكم يقول السيد الرب ، هل تدين يا ابن آدم . عرفهم رجاسات آبائهم وقل لهم .."** (حزقيال ٣ : ١-٥)

(6) أجمعت كتب التراث الإسلامى على أن آية انشقاق القمر وقعت فعلاً ، تصديقاً لمحمد ﷺ (راجع أخبارها عند ابن كثير : شمائل الرسول ص١٣٨ — ١٤٤ ، البداية والنهاية جـــ٣ ، ص ١١٨- ١٢٢) وغيرهما من كتب التفـــسير ، والحديث والسيرة النبوية ، غير أن بعضَ المفكرين المحدثين يشكون فى هذا ، وهم فريقان : أحدهما يتخذ هذا الشك طريقاً للطعن فى القرآن الكريم ، وهم المستشرقون .

ثم اجتمعوا إليه بعد مدة ، فسألوه أن ياتى إليهم بالله والملائكة قبيلاً[١] وسألوه أن يرد لهم أجدادهم الماضين[٢] ، ويكون فيهم قصى بن كلاب ، ليسألوه أحق [ما] أتى به أم لا ؟

أما الآخر فيرى أن انشقاق القمر سيأتى فى آخر الزمان ، والتعبير عنه بالماضى لبيان تأكيد وقوعه ، كما فى قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ فإن المراد : يأتى أمر الله .

وتؤيد نتائج أبحاث علم الفلك هذا الرأى ، فلقد توصل العلماء خلال أبحاثهم ، إلى أنه لابد فى المستقبل القريب – وطبقاً لقانون دوران الأجرام السماوية – أن يقترب القمر من الأرض ، حتى ينشق من شدة الجاذبية ، وتتناثر أجزاؤه فى الفضاء " Man does not Stand alone P.٢٤ " ، وسوف تحدث عملية انشقاق القمر هذه بناء على نفس القانون الذى يحكم المد والجزر فى البحار ، فالقمر هو أقرب جيراننا فى الفضاء ، ولا يبعد عن الأرض غير ٢٤٠,٠٠٠ ميلاً ، وهذا القرب يؤثر على البحار مرتين يومياً ، حيث ترتفع فيها أحياناً أمواج يبلغ طولها ستين متراً ، وأما تأثير هذه الجاذبية على سطح الأرض فيبلغ عدة بوصات !!

إن المسافة الفاصلة بين الأرض والقمر مناسبة تماماً لصالح أهل الأرض ، ولو نقص هذا الفاصل إلى خمسين ألفاً من الأميال – على سبيل المثال – ، فسوف يحدث طوفان شديد فى البحار ، وسوف تغطى أمواجها أكثر مناطق الأرض المأهولة ، وسوف يغرق كل شئ حتى لتتحطم الجبال من شدة تموج البحار ، وسوف تحدث شقوق مروعة على سطح الأرض من وطأة الجاذبية !!

ويرى علماء الفلك أيضاً أن الأرض قد مرت بكل هذه الأدوار أثناء عملية التكوين ، حتى وصلت إلى بعدها الحالى من القمر ، بناء على قانون الفلك ، وهذا القانون هو نفسه سوف يأتى بالقمر قريباً من الأرض مرة أخرى ... ويرون أن من المتوقع حدوث هذا بعد بليون سنة (هذا مجرد تعبير عن الإمكان العلمى ، وحدوده الزمنية ، وليس ببعيد أن تقع هذه الظاهرة فى وقت أقل مما حدده الفلكيون ، وكلامهم لا ينفى هذا) ، وعندئذ سوف ينشق القمر ، وسوف يتناثر حول فضاء الأرض فى صورة حلقة .

أليست هذه النظرية من أعظم موافقات العلم لتلك النبوءة الواردة فى القرآن الكريم حول انشقاق القمر ، حين تقترب القيامة ؟ (خان ص١٤٦-١٤٧) .

(1) ابن كثير : السيرة النبوية جـ١ ، ص٤٨٠ .

(2) المصدر السابق ص ٤٨٠ .

وطلبوا منه أن يزحزح عنهم جبال مكة ، ويفجر لهم فى بطائحها أنهـاراً ، وسـألوه أن يسقط عليهم من السماء كسفاً ، وأن يكون له بيت من زخرف ، ويرقى فى السماء ، ويـأتيهم بكتاب مع ملائكة يشهدون ، وهذا كله منصوص فى السورة السابعة عشر من القرآن ، فقـال تعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ ﴾ يعنى هذه الآيات التى طلبو[ها] منه ، ثم قال ﴿ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾ يشير إلى تكذيبهم بانشقاق القمر قبل ذلك ، وتكذيب الأنبياء من قبله .

ثم يذكر ناقة صالح ، وقال فى آخر الآية :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴾[2] .

[فجعل إرسال الآية تخويفاً] [3] ، ثم قال فى آخر الآية [التالية] :

﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾[4] .

فقال ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ [أن] نرسل إليهم بالآيات فيكفرون .

وقال تعالى :

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنـدَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [5] .

---

[1] الإسراء : ٩٣ .

[2] الإسراء : ٥٩ .

[3] من ع .

[4] الإسراء : ٦٠ .

[5] الأنعام : ١٠٩ ، ١١٠ .

فأخبر الله تعالى أنه لو أرسل هذه الآية التى طلبوها، لعتوا وتمادوا على كفرهم [كما فعلوا] [١] فى انشقاق القمر وغيره .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عن المسيح ، أن اليهود أتوه [يسألونه معجزة] فقد فهم، وقال : إن القبيلة الخبيثة القاصرة تطلب آية ، ولا تعطى ذلك [٢].

وفيه أيضاً : أنه مر بسمعان الصياد ، وأخيه وهما يصيدان السمك ، فقال " إتبعانى ، أجعلكما تصيدان الناس" فتبعاه بلا آية [٣].

ومن أعجب الاشياء أنكم تؤمنون بنبوة مريم وحنّة [٤]، وهما امرأتان بلا كتاب ولا معجزة ، ولا ذُكِرَ [تا] فى صحف الأنبياء ، وتكفرون بسيد المرسلين محمد ﷺ ، وله كتاب يعجز الإنس والجن ، ومعجزات ليست لنبى قبله، وبشارات [٥] فى كتب الأنبياء عليهم السلام .

***

(1) من ع .

(2) قارن : متى ١٣: ٣٨-٣٩، لوقا ١١-٢٩ .

(3) انظر : متى ٤ :١٨-٢٠

(4) قرر مجمع أفسوس (٤٣١م) أن مريم أم للإله ، ولذا فهى بريئة من الخطيئة الموروثة ، وكذا من كل الخطايا الشخصية ، رفعها الله — بالجسد — إلى السماء ، وأعطاها حق الشفاعة ، وفضلها على جميع أوليائه وأصفيائه .

ويرى علماء الكنيسة البروتستانتية ، أن أدلة الكنيسة الكاثوليكية على ذلك ليست إلا أساطير ، ولذا فهم ينظرون إليها نظرة إجلال واحترام فقط، على اعتبار أنها أم عيسى عليه السلام، ولدته ولادة خارقة للعادة .

(انظر "Nölle. Artikel Maria")

أما حنة فقد وصفها الإنجيل بأنها نبية. (قارن لوقا ٢: ٣٦-٣٨).

(5) فى ج : "وذكر بشارات".

[بعض ما ورد فى التوارة والإنجيل من التبشير به ﷺ]

فأما إنكار مضلوكم ذكره فى الكتب قبله ، وبشارات الأنبياء به ، فجرياً بذلك على سبيلهم فى الغواية والتوقح على الله تعالى .

أنا أذكر ما يبين كذبهم مما هو بين أيديكم فى الإنجيل ، والتوارة ، والزبور ، والنبوات ، وأورد ذلك على نحو ما قصدت إليه من الإيجاز ، والاكتفاء بالقليل ، إذ به يستبين كذب أساقفة التضليل، والحمد لله على ما منحنا من هدايته .

فمن ذلك فى المصحف الخامس من التوارة الذى بأيدكم إلى اليوم ، قال الله تعالى لموسى بن عمران :

"إنى قيم لبنى إسرائيل من إخوهم نبيًّا مثلك ، أجعل كلامى على فيه ، فمن عصاه انتقمت منه" [1] .

فإن قلت: إن ذلك هو يشوع بن نون ، [فماذا تقول فيما ذكر] بعد [فى التوارة] ؟ ، قال الله فى آخر التوارة : إنه لا يخلف من بنى إسرائيل نبيًّا مثل موسى[2].

فلا محالة أن الذى بشرت به التوارة لا يكون من بنى إسرائيل ، لكن من إخوة بنى إسرائيل، ولا محالة أهم العرب والروم ، فأما الروم فلم يكن منهم نبى سوى أيوب ، وكان قبل موسى بزمان[3] ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوارة ، فلم يبق إلا العرب ، فهو إذن محمد ﷺ .

---

(1) والنص فى التوارة هو :" **أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه " فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه"** . (تثنية ١٨ :١٨-١٩)

(2) قارن التثنية ٣٤ :١٠

(3) لم يكن أيوب من الروم ، وإنما كان عربيا ، ظهر قبل موسى ، وكان يسكن أرض (عوص) فى شرقى فلسطين أو حوران ، وهو عند مؤرخى العرب من بنى إبراهيم الخليل ، بينهما خمسة آباء .

وقد قال الله فى التوارة، حين ذكر إسماعيل جد العرب، أنه يضع فسطاطه فى وسط بلاد إخوته[1]. فكنى عن بنى إسرائيل بإخوة إسماعيل ، كما كنى عن العرب بإخوة بنى إسرائيل فى قوله :

" **سأقيم لبنى إسرائيل من إخوانهم مثلك** " .

وقد ناظرنى يوماً أحد رهبان اليهود ، وأهل الذكاء منهم فى هذا ، فقال :

" هذا كله صحيح لا أجد اعتراضاً عليه ، غير أنه قال : سأقيم لبنى إسرائيل ، و لم يكن محمد [رسولاً] إلا إلى العرب " .

فقلت له :

ما على الأرض أحد يجهل [2] أن محمد ﷺ قال :

"بعثت إلى الأبيض والأسود، والعبد والحر، والذكر والأنثى " [3] .

وهذا كتابه ينطق[بالحق] أنه مبعوث إلى الخلق كافة ، فلو أمكنك أن تقول: " [إنه] ادعى أنه مبعوث إلى العرب خاصة ، لكانت لك حجة " .

فقال :

-

وهو عند بعض شراح التوارة قبل إبراهيم ، وترجح دائرة معارف البستانى الرأى القائل ، بأنه قبل إبراهيم بأكثر من مائة سنة ، غير أن الطبرى ذكر فى رواية عن وهب بن منبه ، أنه كان من الروم ، وذكر نسبه على أنه من ولد إبراهيم ، وهذا تضارب فإبراهيم لم يكن من الروم .

[1] نص ما جاء فى التوارة الموجودة بين أيدينا : "**وأمام جميع إخوته يسكن**" (تكوين ١٦ :١٢)

[2] فى ج : "يجهل هذا أن محمداً ...." وفى ت:" ما على الأرض من يجهل.."

[3] نص الحديث : " أُعْطِيتُ خمساً لم يعطهن أحد قبلى ، كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود ...." (الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، جـ٨ ، ص٢٥٨-٢٥٩ ، ولم أعثر فى كتب الحديث على ما ورد فى النص : "والعبد والحر، والذكر والأنثى" .

" لا يمكنني — ولا غيري — دفع ذلك ، وبذلك أخبرنا أسلافنا من اليهود عنه ، أنه قال : [بعثت] إلى الخلق كافة "[١].

إلا فرقة من فرق اليهود ، يقال [لها] العيسوية [٢] ، تقول بنبوته ومعجزاته ، وتنكر أنـــه بعث إلى غير العرب ، ولسنا على شئ مما هم عليه . ثم عطف على يهودى[كان] [٣] بجنبه ، وقال له :

نحن قد جرى نشؤنا على اليهودية ، وبالله ما أدرى ! كيف نتخلص من هـــذا العـــربى؟ [وغاية ما أقول] : إن أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا ، [هو] النهى عن ذكره بسوء .

وفى التوراة :

" جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل[٤] فاران ، ومعه جماعـــة من الصالحين " [٥]

فمجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوارة، وكلم عليه موسى . وإشراقه من جبـــال سعير، [أن دين عيسى بن مريم إنما أشرق من جبال سعير][٦] ، وهى جبال الروم من أدوم[٧].

واستعلاؤه من جبال فاران ، أن الله بعث محمداً منها ، وأوحى إليه فيها ، ولا اختلاف أن فاران هى مكة[٨] .

---

(1) لم ترد كلمة " الخلق " فى الحديث ، بل " الناس " : بعثت إلى الناس كافة .
(ابن حجر : فتح البارى جـــ٢ ص ٧٩)

(2) انظر الشهرستانى ، جـــ١ ، ص ٢١٥-٢١٦ .

(3) فى ج،ت : " يهودى إلى جانبه " .

(4) فى ج،ت: "واستعلى من جبال" .

(5) فارن: تثنية ٣٣ :٢ .

(6) من ع .

(7) أدوم : لفظة عبرانية : معناها أحمر، وهى اسم لعيسو الإبن الأكبر لإسحاق . دعيت البلاد التى أعطاها الله لـــه بأرض أدوم نسبة إليه ، وكانت تسمى قبلاً بجبل سعير ، وذلك نسبة إلى حد الحويين .

(8) فاران: كلمة عبرانية معربة، وهى من أسماء مكة، وقيل : هى اسم لجبال مكة .

وقال فى التوارة: " إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران " [١].

وفى التوارة التى بأيديكم ، أن الله قال لإبراهيم حين دعاه فى ابنه اسماعيل :

قد أجبتك فى إسماعيل ، وباركت عليه وكثرته، وعظمته جداً جداً[٢]. وقال : " أجعله أمة عظيمة " [٣]يريد أمة محمد ﷺ .

وقال فى التوارة أيضاً لهاجر أم إسماعيل حين دعته : " قد سمعت خشوعك فى إسماعيل ، وستكون يديه فوق يد الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع " [٤] .

ولا محالة أن إسماعيل وولده لم تكن أيديهم إلا تحت يد إسحاق ، لأن النبوة كانت فى ولد إسحاق ، فلما بعث الله محمداً ﷺ ، جعل يد بنى إسماعيل فوق يد الجميع ، ورد النبوة فيهم ، وأنماهم ، وعظمهم ، وبارك عليهم جدًّا جدًّا ، كما قال فى التوارة .

وقال أيضا فيها :

أقبل السيد من سيناء ، وترا [ءى] لنا ، وأقبل من جبال فاران، ومعه آلاف من الصالحين ، ومعه كتاب نارى ، وهو ختم الأجناس ، وهو [و] جميع الصالحين فى قبضته ومن تدانى من قدميه ، يصيب من علمه [٥]

فاعتبر قوله ، واطرح الهوى ، تصب إن شاء الله .

وفى الزبور الذى بأيديكم :

" سبحوا الرب تسبيحاً حديثاً . سبحوا الذى هيكله الصالحون ، ليفرح إسرائيل بخالقه . وبنات صهيون من أجل أن [الله] اصطفى لهم أمة . وأعطاهم النصر [وأيد] الصالحين منهم

---

(1) تكوين ٢١ :٢١.

(2) قارن التكوين ١٧ :٢٠.

(3) قال الله لإبراهيم : " وأجعله أمة كبيرة " . (تكوين ١٧: ٢٠)

ولهاجر: ".... لأنى سأجعله أمة عظيمة " . (تكوين ٢١: ١٨)

(4) قارن تكوين ١٦: ١٢ .

(5) قارن: تثنية ٣٣: ٢-٣ .

الكرامة ، يسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين ، لينتقم الله [بهم] من الأمم الذين لا يعبدونه ، يوثقون ملوكهم بالقيود ، وأشرافهم [بالأغلال] " [١].

أخبرني!

من [هذه] الأمة التي سيوفها ذوات شفرتين ، ينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه ؟

ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء ؟

ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في الآذان ؟

وفي الزبور الذي بأيديكم أيضاً في صفة محمد ﷺ : " ويجوز من البحر إلى البحر، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار ، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويجلس أعداؤه بالتراب ، ويأتيه ملوكٍ بالقرابين ، وتسجد له ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، لأنه يخلص [المظلوم من الظالم] ، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، ويدوم أمره إلى آخر الزمان " [٢].

وفي الزبور: " أن الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً " [٣].

فالاكليل : ضرب مثل للرياسة. ومحمود : هو محمد ﷺ .

وفي الزبور : " تقلد أيها الجبار السيف ، فإن ناموسك ، وشرائعك مقرونة بيمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك " [٤].

وفي الزبور: " يقول الله تعالى لداود عليه السلام : سيولد لك ولد أدعى له أباً ، ويدعى لي

---

[1] قارن مزمور ١٤٩ .

[2] قارن المزمور ١٣٢: ١٨، والمزمور ١٣٣: ١-٣ .

[3] قارن مزمور ٤٥: ٣-٥ .

[4] قارن : مزمور ٤٥: ٣-٥ .

ابناً ، فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة ، كى يعلم [الناس] أنه بشر " [١].

إعتبر قول داود ، حين أفزعه ذلك وراعه ، [فـ] دعا إلى الله أن يبعث جاعل السنة ، كى يعلم الناس أن ذلك الولد إنما هو بشر !

كذلك لما ضللتم فى عيسى بن مريم [عليه السلام] ، فد عوتم الله أباً له ، ودعوتموه ابناً لله ، بعث الله جاعل السنة، وكاشف الغمة ، الذى أعلم الناس أنه بشر ، ليس بإله .

وكذلك قال المسيح فى الإنجيل الذى بأيديكم :

" اللهم ابعث الفارقليط ليعلم الناس أن [ابن] الإنسان بشراً " [٢].

وقال أيضاً فى الإنجيل الذى بأيديكم عن يوحنَّا :

" الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب ، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً ، ولكنه مما يسمع يكلمكم ، ويسوسكم بالحق ، ويخبركم بالحوادث والغيوب " ... إلى أن قال عنه: " وسيعظنى " [٣].

وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا ، وتمادى على وصفه بكلام [جيد] ، وقال : " هو يشهد لى كما شهدت له ، وأنا أجيئكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالتأويل" .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أيضاً عن يوحنَّا أن المسيح قال للحواريين :

" الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً ، لم يعملها غيرى، لم تكن لهم خطيئة ، وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى ، لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم أبغضونى بلا سبب " .

---

[1] لم يرد هذا النص فى الزبور، ولكنى عثرت على نص فى المزمور ٨٩ يقول : إن الله سيعين داود ، ويقويه بسحق أعدائه وضرب مبغضيه ، وأن داود يدعوه أباً : " **هو** [أى داود] **يدعونى أبى ، أنت إلهى وصخرة خلاصى** " ، (٢٧) وهو مخالف لمفهوم النص الذى استشهد به أبو عَبِيدة .

[2] قارن يوحنَّا ١٥: ٢٦-٢٧.

[3] قارن يوحنَّا ١٦: ٧-١٥.

" ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الأب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء "[1].

فقال المنخما بلسان السريانية، وتفسيره بالرومية : الفارقليط ، وهو بالعربية محمد ﷺ[2].

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أنه قال لليهود :

" وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيات ! أولاد الأفاعى . كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون ، وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم ، وتطردون من مدينة إلى مدينة ، لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الارض ، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن برخيا ، الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ، الحق أقول لكم : إن هذا كله يأتى على هذا الجيل " .

" يا أورشليم يا أورشليم ... يا قاتلة الانبياء وراجمة المراسلين، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم

---

[1] قارن يوحنا ١٥: ٢٣-٢٧.

[2] ذكر رحمة الله الهندى أنه وقعت فى يده رسالة باللغة الأوردية ، طبعت فى كلكتة فى سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة ، وكانت فى تحقيق لفظ " فارقليط" ، ادعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم فى الغلط من لفظ " فارقليط " ، وكان ملخص كلامه أن هذا اللفظ معرب من اللفظ اليونانى ، فإن قلنا : إن هذا اللفظ اليونانى الأصل : "باركلى طوس" فيكون بمعنى المعزى والمعين الوكيل ، وإن قلنا إن اللفظ الأصلى " بيركلوطوس " ، يكون قريباً من معنى محمد وأحمد ، فمن استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة ، فهم أن اللفظ الأصلى بيركلوطس ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد ، فادعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد وأحمد لكن الصحيح أنه "باركلى طوس") إنتهى ملخصا من كلامه .

فأقول — أى رحمة الله — : إن التفاوت بين اللفظين يسير جداً ، وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة ، فتبدل "بيركلوطوس" "بباركلى طوس" فى بعض النسخ قريب القياس ، ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على الأخرى . (رحمة الله : اظهار الحق جـ٢ ص ٢٧٨ — ٢٨٠)

خراباً، لأني أقول لكم : إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب " [1].

فاعتبر قوله هذا . وبشارته بمحمد ﷺ المنتقم بعده لدماء المسلمين . وقوله " أرسل إليكم نبياً ". وهذا تحريف منكم ، [لأنه] قال " سيبعث الله أنبياء " ، وقد قدمنا أنه لم يترل نفسه إلا بمترلة بشر، لا إله .

ويقولون : " إنه لا نبي بعد يحيى" ، [بينما] في الإنجيل الذي بأيديكم :

" إنما النبوة والكتاب إلى يحيى ، ومن بعده ، يبشر بملك الله [2] ، ويؤخذ عنوة ، فذهاب السماء والأرض أهون من إسقاط حرف من الكتاب " [3] .

فانظر قوله : " ومن بعده يبشر بملك الله ، ويؤخذ عنوة " ، فهو إفصاح عن محمدﷺ [4] في الأرض، [فهو] الذي قهر الأجناس بالسيف ، وقتل من قتل من اليهود وسائر الكفار انتقاماً ، [أرسل إليهم] من الله ، [حيث اشتكتهم] دماء جميع أولئك المؤمنين .

وفي الإنجيل الذي بأيديكم عن متى :

" لما سمع [يوحنّا] في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه ... وقال [المسيح] : الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنّا المعمدان ... لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنّا تنبأوا. وإن أردتم أن تقبلوا ، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي ، من له أذنان للسمع فليسمع " [5].

فاعتبر هذه البشارة ! فإن زعمت [أن المراد "بإيليا" هو] إلياس النبي ، فهذا من

---

(1) متى ٢٣: ٣٣-٣٩ .

(2) قارن متى ٣: ٢ .

(3) قارن متى ٥ : ١٨ ، ٢١: ٣٣-٤٦ ..

(4) في ج: "هو ملك رسوله محمد ﷺ".

(5) متى ١١: ٢-١٥.

توقحكم على الله ، ومكابرتكم العقول ، لأن إلياس [كان سابقا فى الزمان على عيـــسى] [١] ، أرسله الله إلى قومه، وكان من أمره ما كان ، وصار إلى الله تعالى .

وإنما قال المسيح : إن إيليا مزمع أن يأتى ، [لأن] "إيليا" هو الله تعالى [مجازاً] ، فمجئ الله هو مجئ رسوله بكتابه ، وأمره كما قال فى التوراة :

"جاء الله من سيناء" .

وكما قال : " وأقبل من فاران " ، وما أشبه ذلك . [فــ] هو [تعبير مجازى ، أى جــاء رسول] من الله ، و[معه] كتابه .

وكذلك زعم عالمكم يرويم ، أن موسى بن عمران ، واليسع ، وإلياس سيأتون . وحكى – زيادة– " أرميا " فى الآيتين ، واحتج على ذلك بما نص فى كتاب الله عن الله تعالى أنه قال :

" قبلما صورتك فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك ، جعلتك نبيا للشعوب " [٢] .

فقال يرويم :

[أوحى إلى] " أرميا " ، أنه يأتى آخر الزمان ، ليكون نبيا للأجناس كلها ، كما قيل له ، لأنه لم يكن الأنبياء [مرسلين إلا] لبنى إسرائيل خاصة .

فهذا قول " يرويم " ، وما من نبى إلا قال : إنه إلى بنى إسرائيل بعــث ، و لم يبعــث إلى غيرهم ... إلى أن بعث الله سيدهم محمد ﷺ ، وقال له : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام: " بعثت إلى الأبيض والأحمر " [٤] .

---

[1] فى ج: "قد كان فى الدنيا وقد ...." .

[2] أرميا ١: ٥.

[3] الأعراف : ١٥٨ .

[4] انظر ص ٢٠٣ .

وقد تيقنت نبوته ، وصح فضله على جميع الأنبياء عليهم السلام ، فذلك القول [١] الذى قيل "لأرميا" فيما أوحى الله إليه ، إنما هو قول لمن بعده ، [وأن] المقصود محمد ﷺ .

وقول "يرويم": إن فلاناً وفلاناً — لمن سماهم من الأنبياء — سيأتون [٢] فى آخر الزمـــان ، [فليس إلا] هتف [٣] ، وجرأة [٤] على الله، وافتراء عليه، ولن يأتى منهم — ممن قد مـــات [٥] — أحد إلى يوم الميقات المعلوم .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عن المسيح :

أنه ضرب مثلا للدنيا ، [فهى] كمثل رجل غرس[٦] كرماً ، وأحاطه بسياج[٧] وحفر[٨] فيه معصرة ، وبنى برجاً [٩] وسلمه إلى كرامين ، وسافر[١٠] ، ولما قرب وقت الإثمار ، أرسل عَبِيـــده إلى الكرامين[١١] .

[ثم] ضرب المسيح مثلاً للأنبياء ، ثم لنفسه فى كلام كثير ، ثم لمحمد ﷺ ، وجعله الموكل آخراً بأمر الكرم [١٢]، وأفصح عن أمة محمد ﷺ فقال : إنه سيزاح عنكم ملك الله، ويعطى الأمة المطيعة العاملة .

---

(1) فى ج : " بذلك الذى قال لأرميا " .

(2) فى ج : " يتسالون " .

(3) فى ج، ت : " إنما هو هتف " .

(4) فى ج : " وحزاوة " .

(5) فى ج : " مما قد مات " .

(6) فى ج، ت : " أغترس " .

(7) فى ج، ت : " ومسيح حوله " .

(8) فى ج ، ت : " وجعل " .

(9) فى ج ، ت : " وشيد فيه قصرا" .

(10) فى ج ، ت : " ووكل أعوانا وتغرب " .

(11) فى ج ، ت : " فلما دن أوان قطافه ، بعث عَبِيده إلى أعوانه المكلفين " . رجعنا فى تصحيح أخطاء هذا النص إلى الإنجيل (انظر متى ٢١: ٣٣-٣٤) .

(12) فى ج " أمر بالكرم " ، وفى ت : " آخرا بالكرم " .

ثم ضرب مثلا "بـ" صخرة ، وقال : من سقط على هذه الصخرة سينكسر ، ومن سقطت عليه يتهشم [1]. يريد بذلك محمد ﷺ ، ومن ناوأه وحاربه أظهره الله عليه .

وفى صحف أشعياء التى بأيديكم قال :

ستمتلئ البادية والمدائن من قصور آل قيدار يسبحون الله ، ومن رؤوس الجبال ينادون ، هم الذين يجعلون لله الكرامة ، ويبثون تسبيحة الله فى البر والبحر[2] .

وفى صحف حزقيال النبى يقول عن الله : " إنى مؤيد قيداراً بالملائكة " [3].

وقيدار ولد إسماعيل ، فأى بادية هذه البادية التى امتلأت من قصور آل قيدار؟ [أليس هم] الذين ينادون بالأذان والتلبية من رؤوس الجبال ، ويجعلون لله الكرامة بالصلاة والحج إلى بيت الله !

وقال أشعياء النبى عن الله : "عبدى الذى سرت [به] نفسى ، أنزل عليه وحيى ، فيظهر فى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته فى الأسواق ، يفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطيه أحداً غيره ، أحمد يحمد الله حمداً حديثاً ، يأتى من أقصى الأرض ، تفرح البرية وسكانها ، يهللون لله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف ، ولا يغلب ، ولا يميل إلى الهوى ، ولا يسمع فى الأسواق صوته ، ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصفة [4] الضعيفة ، بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين . وهو نور الله الذى لا يطفأ ، ولا يخضع حتى تثبت فى الأرض حجتى ، وينقطع به العذر، [و] إلى توراته ينقاد الخلق " [5].

---

(1) قارن متى ٢١- ٤٤ .

(2) قارن أشعياء ٤٢: ١١-١٣ .

(3) لم أعثر على هذا النص فى الكتاب المقدس .

(4) العصفة : ما كان على ساق الزرع من الورق .

(5) قارن أشعياء ٤٢ : ١-٧ .

إعتبر هذا التصريح لمحمد ﷺ ، وصفاته ، [ففيه الكفاية ، فكم وكم من وجـــوه يمتنـــع عليكم أن تدعوا فيها] [١] لغير محمد ﷺ ، فمن ذلك أنه [قال] : يوصى الأمم .

وقد كتب فى إنجيلكم الذى بين أيديكم ، أن المسيح قال :

" إنى لم أبعث إلى الأجناس ، وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل " [٢]. فـــلا يجوز أن يكون إلى الأمم جميعا غير محمد ﷺ .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم ، أن المسيح قال للحواريين : " لا تسلكوا إلى سبيل الأجناس ، ولكن اختصروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل" [٣].

وقال أشعياء فى كلامه المتقدم آنفاً :" لا يضعف ولا يغلب " .

وأنت تقول : " إن المسيح غلب على نفسه، وحمل خشبته ، وسمرت يداه فيها ، وقتـــل عليها " .

فهل فى الضعف أكثر من هذا [؟]

ولا جرم أن الله تعالى فتح لمحمد ﷺ فتحاً مبيناً ، ونصره نصراً عزيزاً ، وأظهره على كـــل عدو ومعاند لله تعالى ، حتى أعلى دينه وأفشى توحيده .

وفى صحف حبقوق النبى التى بأيديكم : " جاء الله من [تيمان] [٤] ، وتقدس من جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميده وتقديسه ، وملك الأرض بهيبته " [٥] .

وقال أيضا : **" عريت قوسك تعرية . سباعيات سهام كلمتك "** [٦] .

---

(1) من ع ، وفى ج ، وت : " ومن كل وجه يمتنع عليكم أن يدعو فى هذا الكلام كله " .

(2) قارن متى : ١٥ : ٢١-٢٦ .

(3) قارن متى : ١٠ : ٥-٦ .

(4) فى ج : "النبيين" .

(5) قارن : حبقوق ٣ : ٣-٤ .

(6) فى ج ، ت : " وقالوا أيضاً : تضئ لنوره الارض ، ويستترع فى قسيك أعرافاً، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء ؟ " فنظر حبقوق ٣ : ٩ .

إعتبر [فكل ذلك] إفصاح لحبقوق باسم محمد وصفته .

وفى صحف أشعياء النبى يقول : " قيل لى : قم ناظراً ! فما ترى ؟ ، قلت : أرى راكبين مقبلين : أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهم لصاحبه : سقطت بابل ، وأصنامها النخرة" [١].

فصاحب الجمل هو محمد ﷺ ، وصاحب الحمار – باتفاق منا ومنكم – هو عيسى بن مريم عليه السلام .

أو ليس محمد بركوب الجمل أشهر من عيسى بركوب الحمار ؟، وإنما سقطت عبادة الأصنام ببابل من دون الله ، وهدمت أوثانها بالنبى محمد ﷺ وأمته ، لا بعيسى ، ولا بغيره ، فما زالت ملوك بابل يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم عليه السلام إلى زمان محمد وأمته .

وفى صحف أشعياء أيضاً : " لتفرح أرض البادية العطشى، ولتبتهج البرارى والفلوات "[٢]. لأنها ستعطى بأحمد محاسن البستان ، [وستكون مثل الرياض حسنا وبهاءً] [٣].

إعتبر ! هذا الإفصاح باسمه وصفة بلده بما لا ينكره إلا وقاح مكابر بالباطل .

وفى صحف حزقيال النبى التى بأيديكم أيضاً ، يقول الله عز وجل ، بعد ما ذكر معاصى بنى إسرائيل ، وشبههم بكرمة غرسها [٤] ، وارتفاع ساقها بين الأغصان الغيباء ، وقال : "لم تنبت تلك الكرمة ، [فاقتلعت وطرحت] [٥]على الأرض ، أحرقت السماء ثمارها ، فعند ذلك

---

[1] وأصل هذا النص فى سفر أشعياء :

" لأنه هكذا قال لى السيد : إذهب أقم لحارس ليخبر بما يرى. فرأى ركاباً أزواج فرسان. ركاب حمير. ركاب جمال ... وقال : سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة ، كسرها إلى الأرض " . (أشعياء ٢١ : ٦)

[2] وهو فى سفر أشعياء : **" تفرح البرية والارض اليابسة ، ويبتهج القفر ، ويزهر كالنرجس " .**

(أشعياء ٣٥ : ١)

[3] من ع ، وفى ج ، ت : " وكمثل حسن الدساكر والرياض " .

[4] فى ج ، ت : "غذاها".

[5] فى ج ، ت : ".أن قلت بالسحطة ورما بها " .

غرست فى البدو ، وفى الأرض المهملة العطشى[1]. وخرجت من أغصانها الفاصلة نار أكلت تلك ، حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب "[2].

إعتبر ! هذا التصريح به ، وبصفة بلده كلها ، فى قوله : الأرض المهملة البدو ، والعطشى ، وتلك صفات مكة ، لأنها صحراء ، لأنها كانت مهملة من النبوة من إسماعيل ، وهى [مركز] البدو .

وفى صحف " دانيال " النبى : وقد نعت الكذابين[بقوله] : "ولا تمتد دعوتهم ، ولا يتم فرقانهم . و أقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل ، ولا يقيم لداع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة " [3] .

إعتبر هذا الفضل الذى تنكرون ، [فـ] هذه دعوة محمد ﷺ قائمة منذ [ستمائة] من السنين، [الآن على ظهور الإسلام ١٤٢٨سنة] وباقية إلى يوم القيامة ، فحسبك بهذا دليلاً على الباطل وأهله .

وقال [دانيال] النبى وقد سأله الملك [بختنصر] عن رؤية رآها ، وطلب منه أن يخبره بتفسيرها ، فقال :

" أيها الملك! رأيت صنماً بارع الجمال ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضه ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر إليه ، وقد أعجبك ، إذ دقه

---

(1) فى ج : " العظمى " وساقطة من ت .

(2) أصل النص كما جاء فى سفر حزقيال : " **أمك ككرمة مثلك ، غرست على المياه . كانت مثمرة مفرخة من كثرة المياه. وكان لها فروع قوية لقضبان المتسلطين ، وارتفع ساقها بين الأغصان الغبياء ، وظهرت فى ارتفاعها بكثرة زراجينها. لكنها اقتلعت بغيظ ، وطرحت على الأرض ، وقد يبست ريح شرقية ثمرها . قصفت ويبست فروعها القوية. أكلتها النار . والآن غرست فى القفر فى أرض يابسة عطشانة ، وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها ، وليس لها الآن فرع قوى لقضيب تسلط** " . (حزقيال ١٩ : ١٠- ١٤)

(3) لم أعثر على هذا النص فى صحف دانيال. بل ورد ما يفيد معناه فى المزمور ١٠٩ فارجع إليه.

الله بحجر من السماء ، فضرب رأس الصنم فطحنه حتى اختلط ذهبـه ، وفـضته ، ونحاسـه ، وحديده ، وفخاره . ثم إن الحجر فار وعظم حتى ملأ الأرض كلها .

قال له [بختنصر] : صدقت ، فأخبرنى بتأويلها !

قال دانيال : أما الصنم ، فأمم مختلفة فى أول الزمان ، وفى وسطه ، وفى آخره ، فـالرأس [التى] من الذهب : [هى] أنت أيها الملك . والفضة: إبنك من بعدك . والنحاس : الـروم . والحديد : الفرس . والفخار : أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام . والحجر: هو دين نبى وملك أبدى ، يكون فى آخر الزمان يغلب الأمم كلها ، [ثم يعظم ، حتى يملأ الأرض كلها] ، كما ملأها ذلك الحجر "[1].

فأخبرنى!

هل كان نبى غير محمد ﷺ جمع الأجناس والأمم على اختلافهـا واخـتلاف لغاتهـا ، ودياناتها ، وممالكها وبلادها ؟

فجعلها جنساً واحداً ، ولغة واحدة ، ومملكة واحدة ، وديناً واحداً .

ولا محالة أن العرب والفرس ، والنبط والقبط ، والاكراد والترك ، والديلم ، والحـبش ، والبربر[2] ، ومن أسلم من [أهل] الهند ، والسودان ، والروم ، وغيرهم على كثرتهم ، كلـهم ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرآون القرآن .

وقد صار كل ما ذكرناه أمة واحدة . والحمد لله على ذلك كثيراً ، فصحت نبوة سـيد المرسلين محمد ﷺ ، وعلى جميع النبيين .

وقد تبين كذب أساقفكم المضللين .

***

---

[1] قارن دانيال ٢ : ٣٧-٤٥ .

[2] فى ج : " والحمل والتبريز " بإهمال الكلمة الأولى .

[صفات محمد ﷺ]

فهذه جملة من [آيات] سيد المرسلين والنبيين محمد ﷺ ، ومعجزاته، ومن بشارات الأنبياء به إلى ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، والزهد فى الدنيا ، والعلم ، والحكمــة ، والبيــان ، والصفح ، والوقار ، ولين الخلق ، والرأفة ، والرحمة ، والتواضع لله ، والصبر ، والجود .

ومَلَك الحجاز ، واليمن كلها ، واليمامة كلها ، وأقصى نجد إلى العراق . ومات ودرعــه مرهونة عند يهودى فيما أكل أهله[1].

وكان بعد ما ملكه الله رقاب عباده ، وأوطأ له فى الأرض من فى الأرض ، وأخضع لــه الملوك، يؤاكل العبد واليتيم ، ويحملها كالأب الرحيم .

---

[1] أبن حجر : فتح البارى ، جـ٦ ، ص ٧٠ ، مسلم ، جـ١ ، ص٣٧٠ - ٣٧١ .

هذا الحديث مطعون فيه للأسباب التالية :

١. عندما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، لم يكن بالمدينة أحد من اليهود .
٢. لا يُقرِض اليهودى غير اليهودى إلا بربا ، فهل اتفق رسول الله ﷺ معه على أن يعطيه ربا ، وهو ما حرمــه القرآن الكريم ؟
٣. اليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى ، والعليا هى المعطية ، والسفلى هىَ الآخذة ، فهل قَبِل رسول الله ﷺ هذا الوضع ؟ !!! أستبعد ذلك جملة وتفصيلاً !
٤. الدرع بالنسبة للعربى (وكذا للمسلم) هو بمثابة العرض ، ورمز للعزة والكرامة ، ومن يعطه للغير كمن فرط فى عرضه ، فهل فَرَّط الرسول ﷺ فى عرضه وتنازل عن كرامته ؟!!!
٥. كان من المسلمين من هو ثرىّ جدًا ، لدرجة أن أحدهم جهز جيشاً بكامله ، فهل يتــرك رســول الله ﷺ المسلمين فلا يقترض منهم ، ويقترض من يهودى ؟!!!!
٦. كان رسول الله ﷺ يملك من الثروة ما يسد حاجته ، بدليل أنه مات وله أرض فدك التى كانت سبب الخلاف بين السيدة فاطمة الزهراء ، وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، ألم يكن من الأولى أن يبيع ما يملك ليسد حاجته ، بدل أن يمد يده إلى يهودى ويقترض منه بالربا ؟!!

لهذه الأسباب أرى أن هذا الحيث من الإسرائيليات ، وضعه يهودى ، ليثبت فضل اليهود على نبى الإسلام .

ويركب الحمار ، ويمشى فى الأسواق راكباً وراجلاً ، ويجلس علـــى الارض ، ويأكـــل عليها ، ويلبس العبا[ء]ة ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ولم يشيد قصراً ، ولا غرس نخلاً .

وكان يجوع حتى يجعل الحجر على بطنه[1]، ويصلى الليل بطوله [2]، حتى تورمت قدماه ، وإذا قام الليل فى الصلاة يسمع لصوته أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وكان أشد حيـــاء مـــن البكر ، ولم يغضب قط ، ولا أكل وحده ، ولا ضرب عبيده ، ولا منع سائله رفده ، وكـــشف بشرته ليقتص منه عكاشة بن محصن — رجل من المسلمين — من شئ لم يتعمده ، فلمـــا وصـــل إليه ، تبرك [3] خديه فى بطنه ، ويبكى ﷺ ، [وهو] إذا ذاك تهابه الملوك ، وتردع منه الجبابرة ، ولو كان سبق فى حكم الله تعالى أن يكون إنسان تام كما تزعمون ، لم يكن غير محمـــد ﷺ ، لكماله وجلاله وبيان فضله على جميع أولاد آدم ، فتلك صفاته وآياته التى علمها جميع العالم [4] .

***

---

[1] عن جابر رضى الله عنه قال : إنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية شديدة ، فجاءوا النبى ﷺ فقـــالوا : هـــذه كدية عرضت الخندق ، فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر... إلخ .

زاد يونس "من الجوع" ، وفى رواية أحمد : أصابهم جهد شديد حتى ربط النبى ﷺ على بطنه حجراً من الجوع .

وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع ، فيخشى على انحناء الصلب بسبب ذلك ، فإذا وضع فوقهـــا الحجر ، وشد عليها العصابة استقام الظهر . وقال الكرمانى : لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر ، لأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء ، فلا يتحلل شئ مما فى البطن ، فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل .

هل يسكن الحجر حرارة الجوع ؟ هل يمسك بربط ما فى الأمعاء فيمنعها عن التحلل ؟ ذلك أمر يحتاج إلى دراسة من المتخصصين فى هذا الجانب من حياة الإنسان . أما اللغوى فينظر إلى هذه الكلمة : "حجر" من ناحية أخرى ، إذا انه عندما يرى أن القاموس ذكر : " حجزة الإزار " يتساءل ، ألا يحتمل أن يكون المراد : الحجز ، وليس الحجر ؟

[2] فى ج : "وطوله".

[3] فى ج ، وت "تراما".

[4] فى ج، وت " العوالم ".

[إخبار اليهود عن عيسى بن مريم عليه السلام]

فأخبرنى أنت أيها المغرور إذا كفرت بكتابه ! من أين تحققت [عندك] لعيسى بن مريم فضيلة أو معجزة ؟

ومن نقل إليكم آية أو معجزة ؟

هل جئتم [بما جئتم به] إلا بعده [بما] ينيف على مائتين وكسور من السنين؟

أخبرتم عن منامة رئيت [فـ] أسرعتم إلى تصديقها ،و[أنتم] لا تدرون ، أكان [١] موجوداً فى العالم، أو لم يكن – لا بتواتر ولا بغيره – إلا [بمقتضى] السبب الذى قدمت ذكره !!

أما [كان] الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى فى العالم ، وإن ظهر له صواب القول بوجوده !

[أيكفر][٢] بالقرآن [ويقبل] [٣] قول اليهود به ، لزعمكم أنهم كانوا رهطه، ولكونه منهم وفيهم، واليهود فيما بينهم متخالفون فى أمره ؟

ثم أنتم متخالفون مع اليهود فى أمره .

فقد زعمت اليهود حين أخذوه ، حبسوه فى السجن أربعين يوماً ، وقالوا : ما كان لنا أن نحبسه أكثر من ثلاثة أيام ، إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم ، لأنه كان يداخله بصناعة الطب .

" وفى الإنجيل الذى بأيديكم ، أنه أخذ صباح الجمعة ، وصُلِب فى الساعة التاسعة من اليوم بعينه" [٤].

فأخبرنى ! متى تتوافقون مع اليهود فى خبره ؟

---

(1) فى ج ، وت : " هل كان ".

(2) فى ج ، وت : " وهو يكفر ".

(3) فى ج ، وت : " فتقبل ".

(4) أنظر مرقس ١٥ : ٤٢-٤٤، ويوحنا ١٩ : ٣١-٣٣ .

واليهود مجمعة [على] أنه لم يظهر لهم معجزة ، ولا بدت لهم منه آية ، غير أنه طار يوما – وقد هموا بأخذه – ، فطار على إثره آخر منهم ، فعلاه فى طيرانه ، وجدله فسقط إلى الأرض بزعمهم .

وفى الإنجيل الذى بأيدكم [فى أكثر من موضع] [1] ما يشهد أن لا معجزة له ، ولاآية ، فمن ذلك [مما هو] فيه منصوص : أن اليهود قالوا له يوماً : ماذا نفعل حتى ننتهى إلى أمر الله ؟

فقال لهم : أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه .

فقالوا له : وما آيتك التى ترينا [حتى] نؤمن بك ، وأنت تعلم أن آباءنا أكلوا المن والسلوى بالمفاوز .

فقال : إن كان موسى أطعمكم خبزاً بالمفاوز ، فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً [2] يريد ، نعيم الجنة .

فلو عرفوا له معجزة ، ما قالوا ذلك ، ثم [هو] لم يجبهم على قولهم بمعجزة ولا آية .

وفى الإنجيل الذى بين أيديكم : أن اليهود قالت له : ما آيتك التى نصدقك بها ؟

قال : إهدموا البيت ، وأنا أبنيه لكم فى ثلاثة أيام .

وقد قدمت ذكر هذا الخبر مستوفياً ، فلو كانت اليهود تعرف له آية ، لم تقل له هذا ! ولو كان [قد] أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ .

وعندكم فى الإنجيل أيضاً : أنهم جاءوا يسألونه آية ، وقد فهم [ما يريدون]، فقال :

---

[1] فى ج، وت : فى عير ما موضع [بدون نقط على الكلمة الأخيرة] وهذه الفقرة ساقطة من ع .

[2] نص ما جاء فى الإنجيل: " فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله ، أن تؤمنوا بالذى هو أرسله ، فقالوا : فأى آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب ؟ إنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا. فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء. بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء ، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة العالم. فقالوا له : يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع : أنا هو خبز الحياة ، من يقبل لى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً " . (يوحنَّا ٦: ٣٨-٣٥)

إن القبيلة الخبيثة ، تطلب آية ، ولا تعطى ذلك [١] .

وفيه أيضاً: أنهم [أى اليهود] كانوا يقولون له وهو على الخشبة – بظـنكم – : " إن كنت المسيح، فأنزل نفسك ، فنؤمن بك " [٢] .

يطلبون منه ذلك آية ، فلم يفعل .

فلتعلم – أيها المغرور – أنك إن كفرت بالقرآن ، لا تحقق لعيسى بن مـريم آيـة ، ولا فضيلة ، لأن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت إليها ، لِمَا ذكرت من اختلاف بعضكم مـع بعض ، وعدم يقينكم بجميع أموره .

وكذلك أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئاً من الألوهية ، التى نسبتم إليه ادعاءها ، ولا محالة أن مرادهم أن يدعى ذلك ، ليكون أبلغ فى التشنيع عليه ، [فقـد] ذكـروا السـبب فى استفاضة[٣] ذلك ، [أى التشنيع] عليه ، فقالوا : إن أحبارهم أثروا [٤] ما مضى ، وبقى ذكره [ولذا] خافوا أن تصير عامتهم إليه ، إذ كان على سنن تقرب من سنتهم ، فشنعوا عليهم أمـوراً كثيرة ، [منها] : نسبوا إليه دعوى الألوهية تزهيداً للناس فى أمره [٥] .

ثم إن اليهود عندهم من الاختلاف فى أمره ما يدل على عدم يقينهم بشىء من أخبـاره ، فمنهم من يقول : إنه كان رجلاً منهم ، ويعرفون أباه وأمه ، [ويتهمونها] بالزنا ، وحاشـا لله ، قاتلهم أنى يؤفكون ، ويسمون أباه البندير الرومى ، وأمه مريم الماشطة[٦] ، ويزعمون أن زوجها

---

(1) نص ما جاء فى الإنجيل: **"حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يامعلم نريد أن نرى منك آيـة. فأجاب ، وقال لهم : جيل شرير وفاسق ، يطلب آية ، ولا تعطى له آية ، إلا آية يونان النبى"** (متى ١٢: ٣٨-٣٩)

(2) قارن متى ٢٨: ٤٠ .

(3) إستفاض الخبر : إنتشر ، والمصدر : إستفاضة .

(4) أثر الحديث : نقله ، فالحديث مأثور ، أى منقول قرناً عن قرن .

(5) ليس بين قوله : " أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئاً من الالوهية .... " وقوله : " .... نسبوا إليه دعـوى الألوهية...." تناقض ، لأنه يبدو أن المؤلف أراد بالفقرة الأولى الإخبار عن اليهود المعاصرين للمسيح ، وبالثانية ذريتـهم الذين جاءوا بعد فترة من الزمن .

(6) الماشطة : هى التى تحسن المشط وتتخذ ذلك حرفة لها .

يوسف بن يهوذا ، وجد البندير عندها على فراشها — أو شعر بذلك — ، فهجرها وأنكر ابنها .

ومن اليهود :

من تبرأ من هذا القول ، وقال : إنما أبوه يوسف بن يهوذا ، الذى كان زوجاً لمريم ، ويذكرون أن السبب فى إضافة اسم الزنيم[1] عليه ، أنه كان مع معلمه [يوشع بن يوحنّا] ، وسائر التلاميذ فى سفر ، فنزلوا موضعاً ، وجاءت امرأة من أهله ، وجعلت تبالغ فى كرامتهم ، فقال [يوشع] : [ما أحسن هذه المرأة] ، يريد أفعالها .

فقال عيسى — بزعمهم - : " لولا عمش فى عينها ".

فصاح " يوشع " وقال له : [يا ممزا] وترجمته : يا زنيم ! " أتزنى بالنظر " ، وغضب عليه غضباً شديداً ، وعاد إلى بيت المقدس وصرح باسمه ، ولعنه فى أربعمائة قرن .

فحينئذ لحق عيسى — بزعمهم — ببعض قواد الروم ، وداخله بصناعة الطب ، فقوى بذلك على اليهود — بزعمهم — ، وهو يومئذ فى ذمة [بيلاطس] عامل القيصر " تيادوس " على فلسطين ، وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ، ويعرض عن بعضها ، إلى أن كان من أمره ما كان .

وطوائف من اليهود يتحدثون بغير هذا ، فى السبب الذى من أجله لقب بتلك الشتيمة ، [إذ] يقولون :

إنه كان يوماً يلاعب الصبيان فى صغره بالكرة ، فوقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود ، فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ ، فقوى عيسى ، وتخطى رقابهم وأخذها ، فقالوا له :

" ما نظنك إلا زنيماً " فمضت عليه هذه الشتيمة .

ومن اختلاف اليهود فى أمره .

أنهم يسمون أباه — بزعمهم ، [وهو] الذى كان خطيب مريم — يوسف بن يهوذا النجار، وبعضهم : يوسف بن حداد .

---

[1] الزنيم : اللئيم أو الدعى .

وأنتم تقولون :

إنه يوسف بن يعقوب . وبعضكم يقول : يوسف بن هالى[1] . وقد تقدم ذكر اختلافكم أيضاً فى آبائه ، واختلافكم فى عددهم إلى إبراهيم ، فمن مقلل ، ومن مكثر[2].

فهذه أخبار اليهود عن عيسى بن مريم ، وهم مع كثرة تنازعهم فيه ، ليس منهم فرقة توافقكم فى شئ مما ذكرتم .

وأنتم أيضاً — على كثرة تنازعكم فى خبره — لا توافقهم فرقة منكم فى شئ من ذكره ، وقد قدمت قولهم أنهم حين أخذوه — بزعمهم — سجنوه أربعين يوماً ، وفى أناجيلكم أنه صلب فى اليوم الذى أخذ فيه .

فقد صح أنكم جميعاً فى شك منه ، ما لكم به من علم إلا اتباع الظن ، إلى أن بعث الله سيد النبيين محمداً ﷺ ، وأوحى إليه ما أبطل هذه الأقوال الوخيمة ، وشهد له بآيات ، وقال له بمعجزات ، وقوله الحق وشهادته الصدق .

وقد كان يجب على أساقفتكم الغاوين حين راموا الشتيمة فى سيد النبيين ، وخلق الأكاذيب عليه أن يتفكروا فى قول اليهود فى المسيح عيسى بن مريم ، فيعلمون أن الشتائم والأكاذيب لا يرضى بها أحد من الناس إلا الأشرار ، وأنها ليست من شيم الصالحين والأخيار.

ونحن المسلمين فقد قارنا بين أقوال اليهود فى عيسى وأقوال أساقفتكم الغاوين فى سيد الأنبياء ، وأوجبنا بذلك كله على جميعكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

---

(1) نسبت الأناجيل عيسى بن مريم عليه السلام إلى يوسف الذى كان خطيب مريم — كما يزعمون — ثم أوردت سلسلة نسب يوسف ، فذكرت فيها يهوذا ، ويعقوب وهالى .

فهالى : والد يوسف ، ويعقوب : جده الواحد والخمسون ، ويهوذا جده الخامس عشر ، والثانى والثلاثون ، والخمسون (إنظر لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٨) .

فمن قال : يوسف بن هالى ، فقد نسبه إلى أبيه .

ومن قال : يوسف بن يعقوب ، فقد نسبه إلى جده الخمسين .

ومن قال : يوسف بن يهوذا ، فقد نسبه إلى جده الخامس عشر ، والثانى والثلاثين ، أو الخمسين .

(2) أنظر : ١٤١.

[تحريف التوراة وبعض ما فيها من المفتريات على الله تعالى وأنبيائه الكرام ، وهو الجزء الثانى من الرد على الشبهة السابعة]

ولذلك لا يجب علينا تصديقكم فى شئ مما تناقلتموه فى التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وأخبـــار الأنبياء ، إذ ظهر عتوكم جميعاً على الله تعالى ، وكذبكم على أنبيائه عليهم الصلاة والــسلام ، واستبان لكل ذى بصيرة .

ولا يؤمن إدخالكم الخلل فى الكتب ، ولا سيما مع إقراركم أن التوراة إنما كانت طــول مدة ملك بنى إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهارونى[1] وحده .

ولا ينكر ذلك منكم — ولا من اليهود — إلا وقح عظيم المجاهرة بالباطل .

واليهود تقر أن السبعين كاهناً[2] اجتمعوا على اتفاق من جميعهم فى تبديل ثلاثة عــشرة حرفاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح فى زمن القياصرة ، ومن رضى تحريف موضــع فى كتــاب الله ، فلا يؤمن منه تحريف الكثير .

وكذلك يقرون أن السمامرية — وهى فرقة منهم — حرفت التوراة تحريفاً بيناً ، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف ، ولعل الفريقين صادقان ، فأين حينئذ فى التوراة شئ يوثق به ، مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود ، فكفونا بأنفسهم من غيرهم .

---

(1) هو هارون بين أشير ، بذكر الباحثون فى مخطوطات التوراة القديمة ، أنه أخفى نسخة مخطوطة فى معبد سفرادم فى حلب ، خوفاً عليها من الضياع ، وأنها من المخطوطات الهامة التى اعتمدوا عليها فى تخريج العهد القديم الموجود بــين أيدينا " Kunl's 28 und stellen S.II ".

(2) كاهن يجمع على كهنة ، وكهان ، وفعله :كهن كهانة ، وتكهن تكهناً وتكهيناً . كهن لفلان : قــضى لــه بالغيب ، وحدثه .

وكهن : صار كاهناً ، أو صارت الكهانة له طبيعة وغريزة . والكاهن : من يدعى معرفة الأســرار ، أو أحــوال الغيب ، ويطلق عند اليهود ، وعباد الأوثان على من يقدم الذبائح والقرابين ، وهند المسيحيين على من ارتقى إلى درجة الكهنوت .

وأنتم أيضاً تدعون أنهم حرفوا فى التوراة التاريخ ، فتزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم عليه السلام ألف سنة ، ونحو المائتين من السنين .

وهذه الأمور لا يدعى معها الجزم بعدم تحريف التوراة إلا معاند متعسف ، فإن قلتم : كان النبيون صلوات الله عليهم يحكمون بها إلى زمن المسيح عليه السلام ، والأنبياء معصومون عن الباطل ، وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون [من دعوى التحريف ، ويحتم عليهم أن] يوافقونا على حكم النبيين بها ، لقول القرآن ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾[1]

قلت : الجواب من وجهين :

أحدهما : لعل النبيين عليهم السلام كان يوحى إليهم بالصحيح منها .

وثانيهما : أن كل شئ حكموا به ، فهو صحيح .

ولكن لِمَ قلتم : إنهم حكموا بجملتها ، مع أن الذى حكموا به غير معين ، فسقط الاستدلال بالجميع ، ولا يفيدكم حكمها شيئاً ، ومع ذلك فالتغيير لم يتعين له زمن ، فلعله كله كان قد وقع بعد النبيين ، بعد المسيح عليه السلام .

وكذلك الإنجيل الذى بأيديكم : إنما هو كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال ، وهم " يوحنَّا بن زبدى " ، و " متى العشار " ، و " مرقس " — وهو تلميذ " بولس " ، و" برنابا "[2] — و " لوقا " ، فأمكن فى كل ذلك التبديل .

وعلى ما فيها من اختلال وتحريف ، فقد استخرجنا ما فيها من البشارات بسيد النبيين ، مشرقة لعيون العالم ، لا يدفع فيها إلا كل أعمى البصيرة أو مجاهر بالباطل .

[نعود فنقول] ثم فى التوراة من الأكاذيب ، والتحريف الشنيع ، والكفر البشيع ، والخرافات التى هى حديث العجائز ، كقوله عن لوط عليه السلام : أنه خرج من صوغر ، وسكن فى كهف الجبل ومعه ابنتاه . فقالت الصغرى للكبرى : قد شاخ أبونا ، فأرقدينا معه ، لنأخذ منه نسلاً .

---

[1] المائدة : ٤٤.

[2] إنجيل برنابا ليس من الأناجيل المعترف بها عند الطوائف المسيحية ، فإنجيله لم يعترف به .

فرقدت معه الصغرى ، ثم الكبرى ، ثم فعلتا فى الليلة الثانية ، وحملتا منه بولدين [همـا] موآب ، وعمون[1] .

فهل يحسن أن يكون لوط نبياً من الأنبياء ، ورسولاً من الله ، ويوقعه الله فى مثـل هـذه الفاحشة ؟

وفى التوراة أيضاً :

ولما سكن يعقوب بذلك الموضع ، مشى ابنه رأوبين — وهو أكبر أولاده – فضاجع سرية أبيه يعقوب[2] .

هذا لفظ التوراة . ثم قال فيها :

ولما علم بذلك يعقوب قال لابنه : رأوبين سلكت على وجهك كالماء ، فلذلك لم أفضلك بالسهم الزائد حيث امتهنت فراشى[3] .

---

(1) نص ما جاء فى التوراة : " وصعد لوط من صوغر ، وسكن فى الجبل وابنتاه معه ، لأنه خـاف أن يـسكن صوغر، فسكن فى المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليـدخل علينـا كعادة كل الأرض ، هلم نسقى أبانا خمراً ، ونضطجع معه فنحيى منه نسلاً ، فسقتا أباهما خمـراً فى تلـك الليلـة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمراً الليلة أيضاً ، فادخلى اضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلاً ، فـسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبين إلى اليوم ، والصغيرة أيضاً ولـدت ابنـاً ودعت اسمه بن عمى ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم ". (تكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨)

(2) نص التوراة " .. وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض ، أن روأبين ذهب ، واضطجع مع بلهـة سرية أبيه ، وسمع إسرائيل ..... " . (تكوين ٣٥ : ٢٢)

(3) نص التوراة " .. ودعاء يعقوب بنيه ، وقال : اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام ، إجتمعوا واسمعوا يا بنى يعقوب ، واصغوا إلى إسرائيل أبيكم ، رأوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى ، فضل الرفعة وفضل العز ، فائراً كالماء لا تتفضل . لأنك صعدت على مضجع أبيك ، حيئذ دنسته ...." . (تكوين ٣٥ : ٢٢)

وتفسير هذا أن سنة الميراث كانت عندهم أن يرث الولد الأكبر سهمين ، وسائر الأولاد سهماً واحداً ! فعاقب يعقوب ابنه رأوبين على فعله المذكور ، بأن لم يفضله فى الميراث .

وفى التوراة أيضاً :

أن يهوذا بن يعقوب زنى بكنته " ثامارا " ، إمرأة ولديه ، وقد هلكا عنها واحداً بعد واحد ، فردها يهوذا إلى بيت أبيها ، ووعدها بتزويجها للولد الثالث المسمى " شيلة " ، إذا كبر . [ولما ماتت امرأة يهوذا وانتهت أيام العزاء] ، تصدت [أى " ثامارا "] ليهوذا فى طريقه إلى غنمه ، وسترت وجهها ، فظنها بغيًا ، فعدل إليها ، ودعاها إلى نفسه ، فسألته أجراً ، فوعدها بجدى من غنمه ، فطلبت منه رهناً ، فأعطاها خاتمه ، ومنديله ، وعصاه ، وواقعها — بزعمهم — فحملت منه ، ثم إن يهوذا أرسل [رسولاً] بالجدى ليطلب رهنه ، فلم يجد[1] المرأة ، فجاء بنفسه إلى أهل القرية ، وقال لهم : أين قحابكم[2] المتطلبة على الطريق ؟

فقالوا : ما كان منا على الطريق قحباء .

ثم إ نه قيل له بعد حين : إن كنتك " ثامار " حبلى .

فقال : تُحْرَق بالنار .

فأُخْرِجت لتُحْرَق ، فقالت : إنما أنا حامل منه ، وهذا رهنه بيدى حين زنى بى ، ليفكها بجدى من غنمه .

فلما رأى يهوذا الرهن ، فكر ، ثم قال : هى أصدق منى .

هكذا نص التوراة[3] التى بأيديكم اليوم ، فاعتبر ولوع اليهود بذكر الفواحش .

---

(1) فى ج ، ع ، ت : " فلم توجد " .

(2) فى ج ، ع ، ت " قحباؤكم " ، وهو خطأ ، لأن فعلاء جمع تكسير مقيس فى " فعيل " وصفاً لمذكر عاقل ، وهذه الكلمة ليس مفردها فعيل ، بل فعله " قحبة ". كذلك ليست وصفاً لمذكر ، بل لمؤنث ، وهى المرأة الفاجرة أو البغى .

(3) وردت هذه القصة فى التوراة كما يلى : " ...... **وأخذ يهوذا زوجة " لعير " بكره ، إسمها ثامار ، وكان عير بكر يهوذا شريراً فى عينى الرب ، فأماته الرب . فقال يهوذا لأونان : أدخل على أمرأة أخيك ، وتزوج بها ، وأقم نسلاً لأخيك ، فعلم أونان أن النسل لا يكون له ، فكان إذا دخل على أمرأة أخيه أنه أفسد على الأرض ، لكيلا** =

وبشرههم[1] إلى التقول بهذا على صفوة الله من خلقه.

وفى التوراة أيضاً عن [دينة] بنت يعقوب :

أنها خرجت لأمر موصوف فيها [أى فى التوراة] ، فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس ذلك الموضع ، فاغتصبها وأقبضها .

هذا لفظ التوراة[2] تخرصاً ، وافتراء على الله تعالى [عما يقولون] .

يعطى نسلاً لأخيه ، فقبح فى عينى الرب ما فعله ، فأماته أيضاً ، فقال يهوذا لثامار كنته : أقعدى أرملة فى بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابنى ، لأنه قال لعله يموت هو أيضاً كأخويه ، فمضت ثامار وقعدت فى بيت أبيها ، ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا ، ثم تعزى يهوذا ، فصعد إلى جزار غنمه إلى تمنة هو وحيرة صاحبه العدلامى ، فأخبرت ثامار ، وقيل لها : هو ذا حموك صاعداً إلى تمنة ليجز غنمه ، فخلعت عنها ثياب ترملها ، وتغطت ببرقع وتلففت ، وجلست فى مدخل عينايم ، التى على طريق تمنة ، لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهى لم تعط له زوجة ، فنظرها يهوذا وحسبها زانية .. لأنها كانت قد غطت وجهها ، فمال إليها على الطريق ، وقال : هاتى أدخل عليك ، لأنه لم يعلم أنها كنته ، فقالت : ماذا تعطينى لكى تدخل علىّ ، فقال : إنى أرسل جدى معزى من الغنم ، فقالت : هل تعطينى رهناً حتى ترسله ؟ فقال : ما الرهن الذى أعطيك ؟ فقالت : خاتمك وعصابتك وعصاك التى فى يدك ، فأعطاها ، ودخل عليها فحبلت منه ، ثم قامت ومضت ، وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها ، فأرسل يهوذا جدى المعزى بيد صاحبه العدلامى ، ليأخذ الرهن من يد المرأة ، فلم يجدها ، فسأل أهل مكانها قائلاً : أين الزانية التى كانت فى عينايم على الطريق ، فقالوا : لم تكن ههنا زانية ، فرجع إلى يهوذا ، وقال : لم أجدها وأهل المكان أيضاً قالوا : لم تكن ههنا زانية ، فقال يهوذا : لتأخذ لنفسها ، لئلا تصير إهانة ، إنى قد أرسلت هذا الجدى ، وأنت لم تجدها .

ولما كان نحو ثلاثة أشهر ، أخبر يهوذا ، وقيل له قد زنت ثامار كنتك ، وها هى حبلى من الزنا . فقال يهوذا : أخرجوها لتُحْرَق ، أما هى ، فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذى هذه له أنا حبلى ، وقالت : حقق لمن الخاتم ، والعصابة ، والعصا هذه ؟ فتحققها يهوذا ، وقال هى أبر منى ، لأنى لم أعطها لشيلة ابنى .

(تكوين ٣٨ : ٦ — ٣٦)

(1) شره الطعام مغيره شرهاً ، من باب تعب : حرص عليه أشد الحرص ، فهو شره .

(2) لفظ التوراة : " وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب ، لتنظر بنات الأرض ، فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض ، وأخذها واضطجع معها وأذلها " . (التكوين ٣٤ : ١-٣)

فما الفائدة فى نزول هذا الحديث البشع من السماء ، على موسى بطور سيناء ، بعد زهاء أربعمائة سنة ، يقرؤه [عليكم] الكهان فى المعابد ، على أنه كلام مترل على رسوله موسى ، فتستك به الآذان ، وتعمى به القلوب[1] .

وإنا لنرى " دينة " ، وأخوالها الأسباط ، وأباها يعقوب ، أكرم على الله من أن يجرى هذا عليهم ، وهم أهل البيت الذى نزل كتاب الله تعالى بتطهيرهم ، فقال سبحانه :

﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[2]

وفى التوراة أيضا عن إبراهيم عليه السلام :

أنه كان يوما قاعداً عند باب فسطاط له ، وأبصر ثلاثة رجال واقفين على مقربة منه ، فجرى إليهم ، وسجد ، وقال : يا ساداتى ! إن كنت راضياً عنى ، فلا تخلف عبدك ، حتى أسوق ماء تغسلون به أرجلكم ، وتستريحون تحت هذه الشجرة ، وأقدم لكم كسرة تقوون بها قلوبكم ، وبعد ذلك تذهبون[3] .

أخبرنى !

كيف يستحسن إبراهيم أن يقول على الله : يغسل رجليه ، و يقوى قلبه بكسرة ؟ .

هذا هو دليلكم على التثليث لمخاطبة الثلاثة مخاطبة رجل واحد ، وقد أنبأنا الله تبارك وتعالى فى كتابه الحكيم ، على لسان رسوله الكريم ، أن ضيف إبراهيم الذين أتوا إليه تحت

---

[1] فى ت : " فتصطك الآذان وتصغى إليه العقول " وليس هناك فرق جوهري بين إستك واصطك ، إستكت المسامع : صمتت ، واصطك من صكه صكًا : إذا ضرب قفاه ووجهه بيد مبسوطة ، وصك الباب : أطبقه .

[2] هود : ٧٣.

[3] والنص فى التوراة : **" وظهر له الرب عند بلوطات ممراً ، وهو جالس فى باب الخمية وقت حر النهار ، فرفع عينيه ، ونظر ، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد إلى الأرض ، وقال : يا سيد إن كنت وجدت نعمة فى عينيك ، فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم ، واتكئوا تحت الشجرة ، فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ، ثم تجتازون " .** (التكوين ١٨ : ١ — ٥)

العصفة[1] إنما كانوا ملائكة .

وفى التوراة :

أن موسى تجلى الله له فى سيناء ، وقال له كلاماً كثيراً .. إلى قوله : قال الله لموسى : أنا هو الذى [لا إله إلا] هو ، أدخل يديك فى جيبك ، وأخرجها مبروصة كالثلج[2] .

وإذا أخرجها مبروصة ، فأى آية فيها ؟ إذ بياض البرص موجود فى الناس ، والله أخبرنا فى محكم كتابه ، أنه قال له :

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[3]

وفى التوراة عن اللوحين :

أنهما منقوشان بإصبع الله[4] تبارك وتعالى ، والله أخبرنا عن ذلك فى محكم كتابه فقال :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[5]

وفى التوراة :

سخط الله على الأمة ، بسبب العجل الذى عمله لهم هارون[6] .

---

(1) العفص : جمع عفصة : وهو شجر كثير الانتشار فى لبنان وسوريا والمناطق المجاورة ، وهو نوع من شجر البلوط.

(2) نص ما ورد فى التوراة : **" ثم قال له الرب : أدخل يدك فى عبك ، فأدخل يده فى عبه ، ثم أخرجها ، وإذا يده برصاء مثل الثلج ..." .**
(خروج ٤ : ٦)

(3) النمل : ١٢.

(4) ورد فى التوارة : **"واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين "** . (خروج ٣٢ : ١٦)

(5) الأعراف : ١٤٥.

(6) نص التوراة : **" ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل ، إجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم ! إصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون : إنزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالأزميل ، وصنعه عجلاً مسبوكاً ،**

فكيف ينبغى لهارون أن يكون الله قد بعثه ، وارتضاه نبيًّا معيناً لأخيه موسى ، ويعمل لهم العجل بيده !!!

وفى التوارة :

أن إسحاق هو الذبيح[1] ، وإنما الذبيح إسماعيل ، ودليل على ذلك أن النحر والذبح [كان] بمنى ، بموطن إسماعيل[2] ، وأيضاً فإن قرون الكبش كانت معلقة فى الكعبة من عهد

فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه . ونادى هارون ، وقال : غداً عيد للرب . فبكروا فى الغد ، وأصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ، ثم قاموا للعب " . (خروج ٣٢ : ١-٦)

ويفهم من هذا النص أن هارون صنع العجل بيده ، وبنى مذبحاً أمامه ، وشرع عيداً له يحتفل فيه بتقديم القرابين لهذا العجل المصنوع من الذهب .

أما القرآن الكريم فيخبرنا أن الذى صنع العجل هو السامرى ، الذى أضل قوم موسى أثناء غيابه عنهم ؛ وأن هارون حذرهم من هذا العمل ، وبين لهم أنها فتنة فلم يسمعوا له ، فيقول الله تعالى :

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ (طه ٨٣ : ٩٠)

(1) راجع الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين .

(2) جاء فى التوراة : ".... أن الله امتحن إبراهيم .. فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق " (تكوين ٢٢ : ١-٢)

إبراهيم إلى زمن دخول الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير فأُحرِقت[1].

وفى المصحف الأول من التوراة أيضاً يقول :

ورأى الله أن قد كثر فساد الآدميين فى الأرض ، فندم على خلقهم وقال : سأُذهِب الآدمى الذى خلقت على الأرض ، والحشائش ، وطيور السماء ، إنى نادم على خلقها جدًّا جدًّا[2] .

وفى التوراة أن الحية أغوت حواء على الأكل من الشجرة[3] ، فقال الله : سأجعل العداوة [بينك وبين المرأة] ، وبين نسلك ونسلها ، فترصدين أنت أبداً عراقيبها ، ويرصد [أى نسل

ولم يكن وحيداً ، لأنه رزق بإسماعيل قبل أن يولد إسحاق ، ألا يدل هذا على أن رواية التوراة غير دقيقة ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فلا يعتمد عليها فى الإخبار بأن الذبيح كان إسحاق .

(1) قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا منصور عن خاله نافع ، عن صفية بنت شيبة ، قالت : أخبرتنى امرأة من بنى سليم ، ولدت عامة أهل ديارنا ، قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة .:. وقالت مرة : إنها سألت عثمان : لم دعاك رسول الله ﷺ ؟ قال : قال لى رسول الله : إنى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت ، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما ، فخمرهما ، فإنه لا ينبغى أن يكون فى البيت شئ يشغل المصلى .

(وهذا يفيد أنهما أزيلا قبل دخول الحجاج بن يوسف الكعبة ، إلا إن كان المعنى فاسترهما)

وفى رواية أخرى ، قال سفيان :

لم يزل قرنا الكبش معلقتين فى البيت حتى احترق البيت فاحترقا .

وكذلك روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقاً عند ميزاب الكعبة ، حتى يبس .

(ابن كثير : قصص الأنبياء ، حـ١ ، ص ٢١٣ – ٢١٤)

(2) ولفظ التوراة : " **ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض ، وتأسف فى قلبه . فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت أنى عملتهم** ". (تكوين ٦ : ٥ – ٧)

(3) فى ج : " أن الحنش أغوى حوا فى أكل الشجرة " وفى ت : " أن الحنش أغوى حواء فى أكل الشجرة " وسقطت هذه الفقرة من غ .

المرأة] أبداً رأسك ليسحقه ، إلى خبر كثير ، وهو مثل الخرافة[1] .

والله يخبرنا [عن ذلك] فى محكم كتابه ، ويقول لنا :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾[2].

وفى التوراة :

أن موسى أمرهم بأخذ أموال جيرانهم من أهل مصر على طريق العارية. ثم قال لهم : يقول الله لكم ! إهربوا بها لكم. ففعلوا ، وقالوا : " هى أجرة سخرتنا "[3] .

وما لهم أجرة على الأرامل والمساكين من أهل مصر ، وإنما أجرتهم على فرعون وأهل مملكته .

والله تعالى يأمر محمداً ﷺ حين خرج بالمهاجرين هارباً من مكة ، أن تؤدى كل أمانة إلى أهلها ، وأنزل عليه فى كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[4]

وفى التوراة أيضاً :

" لا ترب على أخيك رباً بفضة ، ولا رباً بطعام ، ولا رباً من جميع الأشياء كلها. ثم فيها بعد هذا :

---

[1] إقرأ فى ذلك سفر التكوين الإصحاح الثالث .

[2] الأعراف : ٢٠ .

[3] جاء فى التوراة : " ثم قال الرب لموسى ... تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه ، وكل امرأة من صاحبتها أمتعة : فضة وأمتعة : ذهب ... وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم ، فسلبوا المصريين" .

(خروج ١١ : ١ - ٢ ، ١٢ : ٣٥ - ٣٦)

" وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبنى اسرائيل ... تطلب كل أمرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة : فضة وأمتعة : ذهب وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين". (خروج ٣ : ١٥ ، ٢٢)

[4] النساء : ٥٨.

على الأجنبى أُرب ، وعلى أخيك فلا ترب ، لأجل أن يباركك الرب إلهك[١] .

وبهذه الآية استحلوا فى الأمم الربا ، والسرقة ، والكذب ، والفجور ، والفسق .

ثم تأكد رأيهم فى ذلك بما فى آخر السورة ، حيث يقولون :

" لا تسرقوا ، ولا تكذبوا ، ولا يفجر المرء بأخيه "[٢] .

فتأولوا فى هذا الإخاء : أنه لليهود خاصة ، دون سائر الأمم من بنى آدم ، ويبين قولهم هذا قول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ [٣]

وفى التوراة أيضاً :

" أن الله ﷻ تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب الأرض "[٤] .

تعالى الله عز وجل عن قولهم علواً كبيراً .

وفى التوراة أيضاً :

---

(1) نص التوراة " لا تقرض أخاك برباً ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شئ ما مما يقرض بربا. للأجنبى تقرض برباً، ولكن لأخيك لا تقرض برباً ، لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها " (تثنية ٢٣ : ١٩ — ٢٠)

(2) ليس فى آخر سفر التثنية ، بل فى الاصحاح الخامس منه حيث يقول : " لا تقتل ، ولا تزن ، ولا تسرق ، ولا تشهد على قريبك شهادة زور " (تثنية ٥ : ١٧ — ٢٠ ، خروج ٢٠ : ١٤ — ١٦)

(3) آل عمران : ٧٥.

(4) جاء فى التوراة : " .. فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر. فقال : لا أطلقك إن لم تباركنى . فقال له ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب ، بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال : أخبرنى باسمك. فقال : لماذا تسأل عن اسمى ؟ وباركه هناك ، فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل ، قائلاً لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسى". (تكوين ٣٢ : ٢٤ — ٣٠)

" أن بنى إسرائل يسكنون تلك الأرض إلى انقراض الدنيا " [١] .

ثم لم يلبثوا أن رأيناهم رأى العين أُخْرِجوا منها رأى العين [٢] .

وفى التوراة أيضاً :

أن الله قال لهم أن يضربوا القرن فى عسكرهم قليلاً قليلاً ، حتى يلقوا عدوهم ، فحينئـــذ يضربونه بأشد ما يقدرون ، ليسمعهم الله ، فيؤيدهم على عدوهم .

كأن الله سبحانه وتعالى لا يسمع إلا الأصوات العالية ، وقد وصف الله تعالى نفـــسه فى كتابه على لسان رسوله ، فقال سبحانه وتعالى :

" وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى " [٣]

وفى التوراة أيضاً [٤] :

أن الله كالإنسان شخص وجوارح ، وقد وصف الله نفسه فى كتابه العزيز ، فقال تعالى :

" ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " [٥]

وقد تممت النصارى هذا القول المكتوب فى التوراة ، وزادت فيه كفراً على اليهود ، حيث تقرأ فى إنجليهم[٦] عن يوحنَّا الحوارى ، - وكلامه عندهم كلام الله تعالى — فيقول— بزعمهم —:

---

[1] ورد فى التوراة : **" إذكر إبراهيم ، وإسحاق ، وإسرائيل ، عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك ، وقلت لهم : أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض ، التى تكلمت عنها ، فيملكونها إلى الأبد "** .

(خروج ٣٢ : ١٣)

ليس لليهود أن يستدلوا بهذا النص ــ على فرض صحته — على أحقيتهم — دون العرب — فى امتلاك أرض فلسطين لأن العرب أيضاً من نسل إبراهيم ﷺ .

[2] فقد نفاهم الأشوريون إلى بابل فى عام ٧٢٢ ق . م .

[3] طه : ٧ .

[4] سقطت هذه الفقرة من ج .

[5] الشورى : ١١ .

[6] فى ج : " فى صلواتهم " ، فى ت : " صلاتها ".

إنه حين عرج به إلى السماء ، رأى الله ﷻ ، وهو شيخ أبيض الرأس واللحية ، ورجلاه من لاطون[1] ، والأسواق بين يديه قائمة ، والنداء على القمح ، والشعير ، والزيت ، والخبز ، كذا كذا قفيزاً بدينار ، كذا وكذا قسطا بدينار [2].

وفي التوارة أيضاً :

أن الله حين أمر بنى إسرائيل بالتوجه إلى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صفة كذا وكذا ، وينزل فيها في سيره معهم .

ثم إن موسى قال له : يارب ! إن هذه الأمة القاسية رقابها ، لا تمضى لك إلى الشام ، حتى تمضى معها كما وعدتها ، فقال الله : نعم ، إعملوا لى القبة ، فعمل موسى القبة ، وسماها قبة العهد .

ونزل الله عن عرشه ، وسار معهم داخل القبة ، ينزل بنزولهم ، ويرحل برحيلهم .

هذا نص التوراة[3]

وعندهم أيضاً من بقية هذا الخبر :

أنهم لما جمعوا المال لعمارة هذه القبة ، أجروا إنفاقه على يد موسى عليه السلام ، فلما أكمل عملها ، إدعوا عليه أن قد نقصهم من المال ألف رطل ، وسبعمائة رطل وخمسة وسبعون رطل .

---

(1) كذا في ج ، ت أما في نص الأنجيل : " ورجلاه شبه النحاس النقى ".

(2) نص ما جاء في رؤيا يوحنَّا اللاهوتى : " فالتفت لأنظر الصوت الذى تكلم معى ، ولما التفت رأيت سبع منابر من ذهب ، وفى وسط السبع المنابر شبه ابن إنسان متسربلاً بثوب إلى الرجلين ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب ، وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج ، وعيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان في أتون ، وصوته كصوت مياه كثيرة ، ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب ،.وسيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه ، ووجهه كالشمس وهى تضئ في قوتها ، فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت ، فوضع يده اليمنى علىّ قائلاً لى : لا تخف أنا هو الأول والآخر والحى .. " ، لأنك تقول إنى أنا غنى ، وقد استغنيت ولا حاجة لى إلى شئ ، ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقيرِ وأعمى وعريان أشير عليك أن تشترى منى ذهباً مصفى بالنار ، لكى تستغنى ، وثياباً بيضاً لكى تلبس .. ". (١ : ١٢ – ١٨ ، ٣ : ١٧ - ١٨)

(3) قارن : خروج ، إصحاح ٢٣ وإصحاح ٤٠.

وقالوا لموسى إتماماً : أين نقص هذا المال ؟ وقد جرى الإنفاق على يديك ، فسمعوا صوتاً من السماء يقول لهم :

إن هذا العدد دخل فى رؤوس الأعمدة وفى التغشية ، فحينئذ كفوا عنه .

وفى التوراة أيضاً عن نوح عليه السلام : " أنه رقد ، وأولاده أمامه ، فانكشفت عورته ، فضحك ابنه حام من ذلك ، فجاء ابنه الآخر سام ، وألقى قفاه على جهة عورة أبيه ، يمشى إلى ورائه ، حتى غطاه ، واستيقظ نوح ، ودعا على حام ، وقال : سيسود لونك ، وتكون أولادك عبيداً لأولاد أخيك "[1] .

إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان .

وفى التوراة أيضاً عن موسى : " أنه قال لبنى إسرائيل فى الوصية التى وصاهم بها فقال [الله] فى آخرها :

إن كفرت بربك ، وحدت عن سبيله ، وعبدت الآلهة الأجنبية ، يبتليك الله بدواهى مصر ، ويضرب السل[2] جسدك الذى يصدر عنه الزبل بالجرب ، والحكاك الذى لا دواء له ، وتتزوج زوجاً ، ويضاجعها غيرك[3] .

وهذه الكناية كلها تصريح بالفطم ، والقرن والزنم[4] .

---

[1] راجع : تكوين ٩ : ٢١- ٢٧ .

[2] فى ج : " الحرس ، وفى ت : " الجزم " ، وسقطت هذه الفقرة من ع .

[3] نص ما جاء فى التوراة : " **ولكن إن لم تسمع صوت الرب إلهك ... يضربك الرب بقرحة مصر، والبواسير والجرب ، والحكة ، حتى لا تستطيع الشفاء ... تخطب امرأة ، ورجل آخر يضطجع معها ....**"

(إقرأ الأصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية)

[4] الفطم : القطع ، فطم الحبل : قطعه ، والقرن جمع قران : السيف والنبل . والزنم : المستحق فى قوم ليس منهم ، ولا يحتاج إليه ، ومنه قول حسان .

وأنت زنيم فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فإما أن يكون هذا خللاً فيها ، وإما أن يكون القوم كلهم فطمة ، زنماً ، قرانين !

فهل [يقوم] [١] الله تعالى بترك أنواع من خلقه من العذاب للانتقام من أعدائه ، ويهدد قوماً على لسان نبيه الكريم موسى عليه السلام بهذه الفواحش ؟

وإن كان بنو إسرائيل يقولون :

أنهم لم يعبدوا الآلهة الأجنبية فقد كابروا العيان[٢] .

ثم إنهم فى المصحف المسمى عندهم [سفر صموئيل الثانى] [٣] :

يرى أبو عَبيدة أن ما جاء فى التوراة ينذر اليهود – إن هم عبدوا آلهة أخرى غير الله – بغضب الله ، فيمنع عنهم رحمته ، ويصب عليهم العذاب متمثلاً فى أمراض تنتشر بينهم ، وفى إشاعة الفاحشة بينهم ، فيخرج جيل دعى زنيم ينتسب لغير أبيه ، لأن أمه أتت به من رجل أجنبى عن فراش الزوجية .

[١] فى ج ، ت : " يكون " .

[٢] زيد فى " ج " ، " ت " .

" ولا تفعلوا (وصحتها وقد فعلوا) ذلك ، فإنه نص فى كتبهم ما كان من خبرهم مع البلستيم (لعله يقصد الفلسطينيين) ، وفى أيام دانيال وغير ذلك مما لا خفاء به ، ولكن سيقولون : إن ذلك إنما كانت علة البواسير التى ابتلى الله بها البلستيم ، وهم من الزنج فى اليوم الذى أخذوا فيه تابوت العهد ، فهذا محال ، لأن داود عليه السلام لما عظمت عليه المعرة الأبدية ، والتى حلت ببنى اسرائيل ، فنسب إلى الله بزعمهم الخروج عن الاعتدال حين قال عنه – تبارك وتعالى – : إنتبه الله كالنائم غير محصل لما ينتحله ، وكمثل من لا يستثبت فى أفعاله . واعتبر أيضا بشاعة هذا القول المنسوب إلى داود وفى الله تعالى ، فلو كانت تلك داهية ، إنما حلت بالبلستيم ، لم يعظم ذلك على داود، لأنه ليس من البلستيم ، وإنما هو من بنى إسرائيل . وأيضا فإن داود قد قدم أن الله تعالى ترك فسطاطه ، الذى كان أبداً يسكنه ، ولم يكن للبلستيم فسطاط لله ، وقد قدم داود أن كهننهم استوصلوا جميعا ، ولم يكن قط فى البلستيم دون غيرهم كهنة . وأيضا فإن البواسير داء كالجزام والبرص ، ولا محالة أن الجزء من الجسد الذى يصدر عنه الزبل إنما هو الإست ، لأنه خاف أن يظن السامع أنه العين أو الأذن ، أو غير ذلك من الجوارح ، فخصه بذلك ، ثم قال : الجرب والحكاك الذى لا دواء له فتزوج زوجاً يضاجعها غيرك . اعتبر هذا الافصاح ، وكذلك لا يصلح بمأبون قطيم أن يكون غير قرنان زنيم . وهذا كله لا يدفع فيه أحد ، وإنما ذكرته لنبين ما نسبوا إلى الله من القبائح فى كتبهم " .

[3] فى ج ، ت : "سفر ملاحيم"، فى ع : "سفر الملاك الثانى".

" أن داود ﷺ اطلع من قصره ، فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل في دارها فعشقها ، وبعث إليها ، وحبسها أياماً عنده حتى حبلت منه — تعالى الله عن قولهم — ثم ردهـا . وكـان زوجها [وهو] يسمى " أوريا " غائباً في العسكر ، ولما علمت المرأة بالحمل ، أرسلت [بخبره] إلى داود ، فبعث إلى يوآب قائده على ذلك المعسكر ، يأمره بأن يبعث إليـه " بأوريـا " زوج المرأة ، فجاءه فصنع له طعاماً وخمراً حتى سكر ، وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها ، فينسب الحمل إليه ، ففهم " أوريا " المقصد[1] وتخابث عليه ، و لم يمش إلى أهله ، وقال : حاشـا الله أن يكون الملك هنا وأمشي أنا إلى أهلي . فلما يئس داود منه رده إلى العسكر، وكتب إلى القائد أن يصدر به القتال مستقتلاً له ، فقتل "أوريا"، وقتل معه من المؤمنين[2] سبعة آلاف .

وفزع القائد من داود ، لقتل ذلك العدد العظيم من المؤمنين ، وقال للرسول : إذا أنـت أخبرت الملك داود بقتل الناس ، ورأيته قد غضب[3] ، فقل له مسرعاً : [أوريا] قد قتل فيهم .

ففعل الرسول ، وسكن داود بعد الغضب ، وسر بموت [أوريا]، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين [4] .

" فانظر وتأمل هذه الصفحات الموصوف بها داود! هل توصف الأشرار والشياطين بأبشع من هذا ؟ كلا إن هذا لهو الضلال المبين " [5]. وكتبوا [6] في هذا المصحف :

أن " أمنون " بن داود عشق أخته " ثامار" بنت داود ، وتمارض فعاده أبوه ، فتمنى عليـه طعاماً ، تطعمه إياه أخته " ثامارا " ، فبعث بها داود إليه ، فلما قربت إليه الطعام ، وضع فيها يده

---

(1) من ت ، وفي ج ، ع : ففهم الأمر أوريا.

(2) من ت، وفي ج ، ع : "من المسلمين".

(3) من ت ، ع ، وفي ج : " ورأيته قد خرج " .

(4) راجع صموئيل الثاني ١١ : ٢-٢٦ .

(5) هذه الفقرة من ع ، أما في ت ، ج : " فاعتبر هذه الصفات الموضوف بها داود! هل يوصف فروج المحـرمين ، وقلوب الشياطين بأشنع من هذا " .

(6) في ج : " وكثيراً " ، أما في ع فقد سقطت هذه الفقرة .

وافتضها[1] ، فخرجت باكية فلقيها أخوها الآخر ، شقيقها " أبشالوم " [2] ، فأخبرته ، فهون عليها . ثم بعد أيام [3] وثب على "أمنون" ، فقتله من أجل ذلك [4] .

وكتبوا فى هذا المصحف : أن " أبشالوم " بن داود ثار[5] على أبيه ، وأخرجه من قصره ودخل إلى نسائه ، فوطأهن كلهن على أعين بنى إسرائيل[مبالغة] [6] فى الانتقام من أبيه[7].

وكتبوا فى هذا المصحف عن سليمان بن داود : " أنه ختم عمره ، بعبادة الأصنام ، والشجر ، وسلبت نساؤه دينه"[8] .

ومن أعجب الأشياء أنكم تقولون بالتوارة التى بأيدى اليهود إلى اليوم وتدعون الإيمان بها وتعيبوننا على مخالفتها ، وقد رأيت فى كتابكم من مناقضتها ما ذكرت بعضه فيما مضى من هذه الرسالة ، وفيما يأتى – إن شاء الله – من [تحويل] [9] حلالها حراماً ، وسبتها أحداً ، وختانها تغطيساً .

ومن أعجب الأشياء ، دعواكم بالأنبياء عليهم السلام ، وهم موحدون ، وأنتم تشركون بالخالق إنساناً ، وكانوا مختتنين وأنتم لا تختتنون ، وأنتم القائلون : إن إلهكم المعبود عيسى كان مختوناً، وكذلك الحواريون الإثنا عشر – وهم "أشمعون"، و"أندراوس"، و"ويوحنَّا"، و"يعقوب"، و"وفيلبس"، و"برثولماوس"، و"توما"، و"متى" العشار، و"يعقوب بن حلفى"، و"ولباوس"،

---

[1] هكذا فى ج ، ت أما النص فى الكتاب المقدس فيقول :"بل تمكن منها ، وقهرها ، واضطجع معها" .

[2] أما أمنون فهو أخوها لأب .

[3] فى الكتاب المقدس : " ثم بعد سنتين من الزمان " .

[4] راجع هذه القصة فى صموئيل الثانى ، الاصحاح الثالث عشر! .

[5] من ج ، ت والفقرة ساقطة من ع .

[6] فى ج ، ت : " استيلاءا فى الانتقام " .

[7] أقرأ هذه القصة فى صموئيل الثانى الإصحاح الخامس عشر ، والسادس عشر .

[8] جاء فى سفر الملوك الأول أن سليمان أحب نساء غريبة ، فأملن قلبه لأصنامهن اللاتى كن يعبدنها ، فبنى لها معبداً . (راجع سفر الملوك الأول ١١: ١-١٣).

[9] فى ج ، ت : "صرف" وسقطت الفقرة من ع.

و"سمعان" القانونى، و"يهوذا" الإسخريوطى، [١]– ثم سائر التلاميذ الذين صحبوه .

فتركتم الاقتداء بهم وبمن تقدم ذكره من الأنبياء ، ثم الأولياء ، وركنتم إلى ما افترته [غواتكم ، وغيرهم] [٢] ، وما اختلقه قسطنطين ، واختلق له بعد ذهاب المسيح بما يقرب من ثلاثمائة سنة، من أن يحيى سن التغطيس ، وغطس المسيح . وكتب ذلك فى أناجيلكم ، [وزيد][٣] عليه من التحايل ، وغث الأوقاويل بما يطول وصفه .

فكيف يرغب يحيى والمسيح عن شريعة شرعها إبراهيم ، وسن سنتها فى نفسه ، وولده ، ثم أقرتها التوارة ، واقتفتها الأنبياء عليهم السلام .

وأعجب أيضا من ادعائكم الإيمان بالتوارة التى بأيدى اليهود إلى اليوم حرفاً حرفاً.

ثم رأيت [٤] فى كتاب أحد مطارنكم [إذ] ينتقص موسى باتخاذه المرأة السوداء [٥]. [وعندما] يجئ إلى ذكر التوارة ، قال عنها : العجوز القبطية ، المتمزقة الفرج ، القحباء التى أعارت فرجها لخلانها الفلسطينيين ، ذوى الفعلات الحمارية .

ثم لا تذكر التوارة فى سطر من كتابه إلا أعاد عليها هذه النعوت القبيحة، وذكر هذه المعاير التى قدمت آنفاً ، حققها على اليهود[٦] بأطول حديث مما ذكرته .

وأما الإنجيل الذى بأيديكم ، فحسبى ما قدمت من ذكره فى هذه الرسالة ، فإذا كان هذا

---

(1) فى ج ، ت : " شمعون ، وايزرياش ، ويوحنًا ، ويعقوب ، وملبش ، وترتكماوس ، وطرياش ، ويعقوب العالى ، وطنا الكنعانى ، ولوقا ، ومتى " .

ويبدو أن فى بعضها تحريفاً ، كما أضيف إليها اسم " لوقا " و لم يكن من تلاميذ المسيح الإثنى عشر .

(راجع متى ١٠: ٢-٤)

(2) فى ج : " الانه " ، وفى ت : "ولانه " .

(3) فى ج ، ت : "وجئ " والفقرة ساقطة من ع .

(4) فى ج : " سم رأيته " .

(5) نص التوارة : " **وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها** " . (عدد ١٢ : ١)

(6) من ت ، وفى ج : " الحديث " .

حال توارتكم ، وأناجيلكم ، وسائر الصحف المنزلة عند اليهود أئمتكم وعمد ملتكم- ولا محالة أن هذه الكتب قطب شرائعكم ، وأصل ديانتكم — فكيف حال سائر أحاديثكم مما تناقلتموه بينكم من الآثار؟ ولولا الأدب والحياء لكنت أورد عليك بعضاً من تلك القبائح ، والمستحيلات التى هى أشهر من أن تذكر، ولكن فيما مر عليك الكفاية، وأنت أعلم بباقى الخرافات ، والناس أجمعون[١] .

* * *

[الرد على الشبهة الخامسة]

وكيف يلتفت إلى قولكم عن مريم ، أم المسيح أنها بنت يعقيم ؟ تضاهون[٢] بذلك فى ابنها حين اختلفتم فيه ، وفى خطيب أمه ، يوسف ، فبعضكم قال : يوسف بن هالى ، وبعضكم قال : يوسف بن يعقوب .

واليهود قالت : يوسف بن يهوذا[٣] ، وبعضكم قال : يوسف النجار ، وبعضهم قال : يوسف الحداد .

ومثل هذا علمكم بمريم وابنها .

أخبرنى !

من أين حصل لكم العلم بالمسيح وأمه ؟

إن قسطنطين بن هلانه ، الذى تعبدكم[٤] به ، وذكره لكم ، لم يكن يعلم : ما معنى مسيح ! ولا ما هو! ولا من هو !

---

(1) هذه الفقرة من ع . وسقطت من ج ، وت .

(2) من ع ، وج . أما فى ت : " تظاهرون " وليس بسديد ، لأن معنى مضاهاة : مشابهة الشئ بالشئ . وهو أقرب إلى النص .

(3) هكذا فى ج ، وع ، أما فى ت : "..........يهوه" .

(4) يقال تعبده : دعاه للطاعة ، أو اتخذه عبداً ، أو عامله كعبد له .

وإنما حمله على ذلك نفر من أحبار اليهود ، لا خلاق لهم ، على [نحو] ما تقدم ذكره فى هذه الرسالة .

ثم من أين نسب إلينا اعتقاد أم المسيح أختاً لموسى وهارون ؟

وما عندنا ريب فى أن أم المسيح ، إنما هى ابنة عمران ، بن متان ، بن أليود ، بن أخيم بن صادوق ، بن عازور ، بن ألياقيم ، بن أبيهود ، بن زربابل ، بن شألتئيل ، بن يكنيا ، بن يوشيا ، بن آمون ، بن منسى ، بن حزقيا ، بن أحاز ، .. بن يهوذا ، بن يعقوب ، بن إسحاق ، بن إبراهيم عليهم السلام [١] .

وأما مريم الأخرى ، التى هى أخت موسى وهارون ، فهى ابنة عمران ، بن [يصهر بن] قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب بن إسحاق ، بن إبراهيم عليهم السلام .

وأم المسيح من سبط يهوذا . وهذه [أى أم مريم أخت موسى وهارون من سبط لاوى ، وأم المسيح دخلت بيت المقدس وهذه] لم تدخل قط بيت المقدس ، وإنما خرجت مع أخيها موسى من مصر ، وماتت فى برية سيناء .

وهى عند اليهود، نبية بنص التوارة[٢] ، وأم المسيح عندهم ملومة ، مقذوفة بالسوء .

وأما ما سمعته ، أو رأيته فى كتابنا من قول اليهود لأم المسيح :

﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [٣]

---

(1) فى ج، ت تقديم وتأخير فى سلسلة النسب ، وكذلك تحريف فى بعض الأسماء، وقد رجعنا فى تصحيحها إلى إنجيل متى فى الإصحاح الأول الذى يتحدث متى من أوله فى شجرة نسب يوسف خطيب مريم ، إذ لم تذكر الأناجيل ولا غيرها من الكتب المسيحية نسب والد مريم ، غير أنه جاء فى أساطيرهم أنه يؤاخيم بن متان . فهل هو متان والد يعقوب- كما ذكر إنجيل متى – وجد يوسف . يحتمل! وبناء عليه يكون يوسف النجار إبن عم مريم ، وقد ذكر المؤلف نسب يوسف من أول متان ، على أنه نسب مريم .

(2) خروج ١٥: ٢٠ .

(3) مريم : ٢٨ .

فإن قولهم ، ذلك ، إنما هو على وجه السب لها ، لأن هارون هذا عنوا به رجلاً عاهراً ، [كان عندهم] يستكثر من البغايا ، وعظيم الشهرة عندهم فى ذلك الزمان يسمى هارون[١].

وأما أن يكون هارون فى هذه الآية كما زعمتم ، فهذا غاية الجهل ، لأن الذى بينهما من الزمان ألف وخمسمائة سنة[٢] .

فكيف يجوز أن يتوهم أحد هذا [٣] .

***

[الرد على الشبهة الثانية]

وأما استدلاك على باطلنا بما فى كتابنا ، من نكاح مثنى ، وثلاث ، ورباع ، فحسبى هذا الاستدلال شهيداً على تخلفك ، فإن الذى أمرنا الله به من النكاح ، وسن لنا من الطلاق ، ليس للعاقل انتقاده ، لأن قبولنا لذلك ، وما أشبهه ، إنما هو بعد ثبوت الأصل .

وإنما الأصل أن نتحقق نبوة الشارع ، ونتبين صدق رسالته ، وبشواهد آياته الباهرة ، ومعجزاته الطاهرة .

فإذا أردت النظر فى هذه الفروع بانتقاد ، فهلم أريك عجباً ؟

ألستم قد اتفقتم معنا [على] أن نكاح الرجل عمته من سوء الأفعال ؟

---

[1] جاء فى هامش الصفحة فى ت : قوله"إنما عنوا به السب ألخ" أقول : إن الجلال المحلى فى تفسير سورة مريم قال : إنما هو رجل صالح، اشتهر بالعفة، فيكون عنوا به المدح، وأن ذلك الرجل الصالح كان فى ذلك الزمان يسمى هارون. وهذا هو المناسب واللائق رضاً من كلماته بالأصل وقلت أيضاً : أسلوب الخطاب يقتضى المدح ، وهو المتبادر للفهم.

[2] فى ج ، ت : " لأن الذى بينهما ألف سنة وستمائة سنة وزهاء أربعين سنة " وفى ع " لأن الذى بينهما من الزمان ألف وستمائة سنة، وأربعون سنة وكسور. وملا التعبيرين غير صحيح ، لأن موسى كان قبل الميلاد بحوالى ١٥٠٠ سنة. (أنظر Nolle S.359) .

[3] أنظر المهموشة رقم ٤ فى ص ٩٠ .

وهذه "يوكابد" أم موسى ، كانت عمة عمران[١] ، وعمران من فضلاء المؤمنين .

وكذلك الجمع بين الأختين بنكاح من مقبحات الشرائع أيضاً .

وقد علمت أن إسرائيل جمع بينهما[٢] ، فما بال عيناك أبصرتا فى كتابنا شيئاً ، وعميتا عن الأكبر منه فى كتابك !

أما إنك لتراه ، ولكن رضاك عن فاعليه ، وبصيرتك فى أنهما محقان، منعك من انتقاد ما فعلاه .

وكذلك الأمر فيما شرع لى كتابى[٣] ، وإنما يتقدم النظر فى الأصول التى هى آيات صدق الرسول .

وأما هذا الذى اعترضت به منكراً ، فجهل[٤] قد استولى عليك ، والله يهديك ويرشدك .

ولو كان الله أمر – كما زعمت – بالاقتداء بآدم فى تزوجه بامرأة واحدة ، فهل علم بذلك إبراهيم؟ ، وما أراه إلا تزوج ، وتسرى فى وقت واحد[٥] .

ولوط عليه السلام ، زعمت أنه فتك بابنتيه ، فحبلتا منه بموآب ، وعمون . نستغفر الله من قولكم .

ثم إن إسرائيل ، قد كان عنده عدة أزواج ، جمع فيها بين الأختين .

وهذا كله منصوص فى توارتكم. وكذلك من بعدهم من الأنبياء عليهم السلام إلى داود ، وسليمان، فقد علمتم مناكحهم[٦].

---

(1) خروج ٦ :٢٠ .

(2) تكوين ٢٩ : ١٥-٣٠ .

(3) أنظر الرد على الشبهة فى المهموشة رقم ٢ ص ٨٨ .

(4) هكذا فى ج ، و غ ، أما فى ت : "فخلل" .

(5) أنظر تكوين ١٦: ١-٣ .

(6) أنظر صموئيل ٢٥: ٤٣، الملوك الاول ١١: ٣١ .

وهل اقتصر آدم على واحدة إلا من ضرورة العدم عند بدء خلق البشر! ولهذه الـضرورة زوج ابنه ابنته ، فيجب [بناء] على مذهبك الاقتداء به ، فينكح الرجل أخته ، فأنـت القائـل لذلك الهذيان ، تعيب به من خالف توارة اليهود .

ثم إنك — مع ادعائك الإيمان بها حرفاً حرفاً — مخالف لها أشنع الخلاف ، ماحٍ لعقائدها ، مبدل لأحكامها ، فمن حلالها نكاح بنت الأخ والاخت ، وأراكم تأنفون من ذلك مثل ما نحن قد أنفنا منه [١] .

ومن محرماتها الخنزير، والدم ، والجمل ، والشحم وغير ذلك مما هو مشهور، وأنت قـد أرسلت عليها ضرسك ، ونشرت لها بطنك ، إلى غير ذلك من مخالفتك إياها .

***

[الرد على الشبهة الرابعة]

وعجبى من تعجبك إذا رأيت فى كتابى آية القتال :

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾[٢]

وقولك لى : إن فى التوارة نقيض ذلك ، فى قوله:

لا يكون قتال بين بنى آدم ، فالقاتل والمقتول فى النار[٣] .

فأخبرنى! كيف استجاز موسى عليه السلام – بعد ما أنزل عليه هذا — أن يحارب أعداءه مـن أهل مدين ، وولد عملاق ، ويطلبهم فى ديارهم ، ويناوشهم ، مع أن مدين[٤] كانت تستحق منه

---

(1) يقصد بذلك التحريم .

(2) التوبة : ١١١.

(3) إرجع إلى ص ٨٩ .

(4) هكذا فى ع ، أما فى ج ، و ت : "وأما مدين..." .

جزاء جميلاً على إحسانها ، حيث آوته عندها[١] ؟

فلتعلم أيها المغرور أنك قد ذممت النبى موسى عليه السلام، وجعلته غير مطيع لربه .

ولا محالة أن موسى عليه السلام ، لم يحارب مدين، وولد عملاق ، ومن شاء الله أن يحارب — ولو كان فيهم أبواه وولده — إلا ممتثلاً أمر ربه بذلك ، لا يمكنه خلافه ، من حيث هو نبيه المرتضى ، ورسوله المصطفى، ﷺ .

***

[النسخ فى التوراة والإنجيل]

ثم قلت فى كتابك:

" لأن النسخ مقدمة من مقدمات شريعتنا "

وهذه لهجة منكر للنسخ[٢] ، وكأنه غير معروف فى سبل الأنبياء عليهم السلام ، ولا معمول به [٣] ، فى نحلها ، ولا منصوص فى التوراة ، وسائر الكتب التى بأيديكم !!! ففى التوراة التى بأيديكم ، وأيدى اليهود ما فيها :

من ذكر السبت ، وتحريم العمل ، والحروب ، وغير ذلك من الأشغال[٤] ، والسبت ، آكد فروض التوراة ، وأهم لوازمها .

ثم قال فى آخر التوراة لهارون:

---

[١] يشير بذلك إلى ما جاء فى القرآن الكريم ، من أن موسى خرج من مصر خائفاً بعد أن قتل المصرى ، فلجأ إلى مدين ، حيث أقام مع شعيب ، يرعى غنمه فى مقابل أن يتزوج إحدى ابنتيه . (إقرأ سورة القصص : ١٥-١٨)

[٢] فى ت : " تعيبه منكراً للنسخ "، وفى ع : " نفثه منكر للنسخ " ، وفى ج : " مسه منكر النسخ " بدون نقط الكلمة الأولى .

[٣] كذا فى ع ، أما فى ج : " ولا معمول عليه "، وفى ت : " ولا معول عليه " .

[٤] إرجع إلى : خروج ١٦ : ٢٩ ، ٢٠ : ٨ - ١٠ ، ٣٠: ١٤ -١٥ ، ٢٦ : ١-٣ ، وإلى العدد ١٥ : ٣٢ - ٣٦ .

" .. وفى يوم السبت خروفان حوليان صحيحان ، وعشران من دقيق ملتوت بزيت تقدمه مع سكيبة .. "[1].

وهذا عمل طويل ، وشغل ممتد مع ذبح ، وسلخ ، وتفصيل ، وعجن السميد ، وتقريصه بعد اللت بالزيت .

وفى التوراة أيضاً يأمرهم بطاعة " يشوع "[2] ، ثم يأمر " يشوع " بمحاربة أريحا فى جميع الأيام المتصلة ، يأمره بتضعيف المحاربة ، يوم السبت ، وأن يتسور فيه على أريحا مع الكهنة ، وسائر العسكر ، [وأن يدور دائرة المدينة] سبع مرات بأشد المحاربة ، فقال فى نص التوراة : **" قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس ، تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب حول المدينة مرة واحدة ، هكذا تفعلون ستة أيام ، وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت ، وفى اليوم السابع تدور دائرة المدينة سبع مرات ، والكهنة يضربون بالأبواق .. " إلخ**[3].

فاعتبر ! ففى التوراة الناسخ والمنسوخ أوضح من الصبح لذى عينين !!

وأخبرنى ! إن كان النسخ منكراً قبل نزول القرآن ، فكيف جاز لكم أن تصرفوا الختان تغطيساً ، والسبت أحداً ، وهما من فروض التوراة ؟

وبم[4] حرمتم حلالها وحللتم حرامها على ما تقدم شرحه ؟

ألم يقل المسيح فى الإنجيل الذى بأيديكم ، معرضاً بما قالت التوراة :

---

(1) العدد ٢٨ : ٩ .

(2) راجع العدد : ٢٧ : ١٨ — ٢٣ .

(3) يشوع ٦ : ٢ - ٤ .

(4) يريد المؤلف أن يقول : على أى أساس آخر حرمتم حلالها وحللتم حرامها ، إذا لم يكن ذلك على أساس النسخ ؟

" قد سمعتم أنه قيل للقدماء .. من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فــأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى .."[1] .

أما بلغكم أنه قيل للأولين كذا ، وأنا أقول لكم كذا .. [وذكر] جملة مــن الأوامــر والنواهى – وقد ذكرها فيما تقدم من هذه الرسالة – ينسخ فيها حكم التوراة[2].

أخبرنى أيها المخدوع !

كيف جاز لكم مع هذا أن تقولوا :

إن شريعة الإنجيل ليست ناسخة لما شرعته التوراة ، وإنما متممة لها ؟ هذا تنكيس بالألفاظ عن موضوعها ، أن تسموا التبديل تتميماً !

وهل التتميم إلا استيفاء الشئ وإحكامه مع إقراره على ما كان عليه ؟

وأما الإنجيل فقد أذهب حكم التوراة ، ونسخها كما نسخ القرآن ما قبله .

***

[حقيقة ما يظهر فى الكنائس من خوارق العادات]

وأما قولك لى :

" إن فى ملتكم صلحاء يظهرون براهين وقت الحاجة .. "

فنعم هى البراهين الساطعة !!! قد علمتها سرًّا وجهراً ، ولقد كنت عزمــت علــى أن أضرب صفحاً عن التكلم فى هذا البحث المخجل ، ولكن تسلسل بى القول إلى ذلك ...

فأذكر لك الآن بعض ما تيسر منها ، لأضحك عليكم الثكلى ، فأقول :

إن حذاقكم ، وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة يبنى عليها ، ولا أصل يرجع إليه ، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة ، وأباطيل مزخرفة ، وضعوها فى الكنائس والمزارات :

---

[1] متى ٥ : ٣١ .

[2] راجع متى ٥ : ٢١ : ٤٨ .

فمنها ما وصف لى عن بعض مشاهدكم المعظمة عندكم ، أن يد الله تخرج لكم فيها ، فى يوم واحد ، معلوم من السنة من وراء ستر ، وسرها خاف عنكم ،وأنا أكشفه لك[1]، فقد حكى لى من أثق بصدقه وقريحته ، أن رجلاً من اليهود كان قد حظى عند أحد رؤسائكم بالأندلس بوصلة كانت بينهما ، يرعاها الرئيس له .

فكان قد رغبه[2] فى الخروج عن دين اليهودية إلى دينه ، وقال له : ألا ترى هذه الأعجوبة ، ظهور يد الله لنا فى يوم معلوم من السنة ؟

فقال له اليهودى : يا مولاى ! أنا قد رضيت فى هذا الأمر بشهادتك ، وصدقتك فيما سوف تروى لى ، فابحث عنه ! فإن كان ما يزعم هؤلاء القسيسون حقاً ، صبوت إلى دينك .

فخالط الرئيس حينئذ الشك ، فلما دنا ذلك اليوم الذى تظهر فيه اليد ، سافر بحملته نحو المشهد ، وأخذ معه مالاً [3] ، يهديه هناك ، فبرز إليه الأساقفة ، وقربوه لتقبيل اليد ، فلما ظهرت اليد له من وراء الستر ، وضع يده فيها ، ومسكها مسكاً شديداً ، وقال:

والله لا أترك هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها .

فصاحوا به يقولون : اتق الله ! الآن تخسف بك الأرض !!

الآن تقع عليك السماء !!

الآن ترسل عليك الصواعق !!

فقال : دعوا عنكم هذا كله ! فإن هذه اليد ، لا أحل يدى عنها ، حتى أعلم ، أحقاً ما تصفون أم باطلاً !!

فلما رأوا إلحاحه ، لم يبق معه منهم إلا اثنان ، أسرَّا إليه القول ، وقالا: ما تبغى فى ذلك ؟ أرجعت عن دين آبائك ؟

قال : لا

---

[1] فى ع : " ولا خفاء لديكم هذا "، وفى ج : " ولا حقاً لديكم هذا "، وفى ت : "ولا يخفى لديكم فيها شئ ".

[2] كذا فى ع ، أما فى ج ، وت : " رامه " .

[3] فى ج ، ت ، وع : " وقرب مالا" .

قالا : أتريد أن تحل ربطاً رُبِطَ منذ ألف سنة أو نحوها ؟

قال : لا ! ومعاذ الله !! ولكنى أحب الوقوف على سر هذه اليد .

قالا : هى يد أسقف ، واقف دون هذا الستر .

قال : أحب أن أراه !

قالا : أنت وذاك .

فكشفوا له عن قس مجرود الخدين ، واقف وراء الستر ، فلما عاينه الرئيس أرسل يـــده ، وخرج إلى عسكره .

فقال اليهودى : يا مولاى ! ما تأمرنى به فى دينى ؟

قال له : أنت ورأيك ، خرجت منه أو بقيت عليه ، فأنت المخير !! ففهـــم اليهـــودى ، وسكت ، ومن ذلك الوقت بطلت هذه الحيلة .

ومن ذلك أنهم وضعوا صوراً من الحجارة ، إذا قرئ الإنجيل عنـــدها تبكـــى ، وتجـــرى دموعها ، يشاهدها الخاص والعام ، فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل .

وحقيقة الأمر ، أن لها مجارٍ دقاقاً فى أجوافها ، متصلة من ورائها بزق مملوء ماء ، يعصره بعض الشماسة ، فيندفع الماء فى تلك المجارى ، وتخرج من عيون تلك الأصنام على هيئة الدموع .

وكذلك ما وصف لى من قناديل ، وصلبان عظام ، معلقة بين السماء والأرض ، ولا تمس شيئاً منها ، ولا يمسها شئ ، يمشى الناس إليها ، ويتعجبون من ذلك ، ويفسرون هذه الظـــاهرة بأنها

من بركة هذا المكان ، وأنه برهان على عظمة هذا الدين ، إذ لم يوجد مثل ذلك عند غيرهم .

وليس فى ذلك معجزة ، ولا برهان على عظمة ملتكم ، لأن سبب وقوف الـــصليب فى الهواء وضع حجارة مغناطيسية فى ست جهات ، فوق الصليب ، وتحته ، ويمينــه ، ويـــساره ، وخلفه ، وأمامه ، وقد ظهر ذلك عندما سأل أحد رؤسائكم يهوديًّا –كان يعمل كاتباً عنده – سؤالاً حول هذه المعجزة ، فأعلمه اليهودى أنها حيلة – بعد ما استوثق منه – فاستكشفه إياها .

فقال اليهودى : إن ذلك تمسكه أحجار المغناطيس من جهاته الست .

فأمر الرئيس أن يخلى له يوماً ذلك المشهد ، فدخله وحده ، وأمر بحفر جانب واحد من الحائط ، فاستخرج منه حجراً من المغناطيس ، موازياً للصليب ، فمال إلى جهة واحدة ، واستخرج مثله من الجانب الثانى ، فاضطرب الصليب ، ففهم الرئيس الأمر ، وانصرف ، فما رئى فيه بعد ذلك .

ومن ذلك كنيسة بالأندلس ، كان فيها ثريًا تقف على نحو وقوف الصليب المتقدم ذكره ، ويترل فيها نور يوقد فتيلها فى يوم من السنة .

فذكر ذلك لأحد أمراء بنى أمية بالأندلس ، فتعجب من ذلك ، وسأل عنه ، فأخبره رجل من أهل إفريقيا ، أنهم مدوا مع الحائط قصبة من حديد ، ضيق جوفها ، وأبرزوا لها أنبوباً كسم الخياط ، موضعه موزون مع طرف فتيل الثريا .

ثم إنهم فى ذلك اليوم يرسلون نار النفط فى القصبة متراكماً ، حتى يخرج فى غاية القوة إلى فتيل الثريا الذى هو فى زنة واحدة معه .

ووصف الإفريقى مع ذلك حيلاً ودهاءً ، وذكر ما ذكر فى وقوف الصليب فاجتاز الأمير على تلك الكنيسة فى إحدى غزواته – وقد دنا يومها فتذكر ذلك – ، فدعا الإفريقى ، فعاين معه ما يفعلون ، فأعجبه ، وسأل الإفريقى كشفه ، فعمد إلى الحائط ، فاستخرج منها قناة من النحاس الأصفر ، على نحو ما كان ذكر .

ثم عمد إلى سماء الثريا ، فأخرج منها حجراً كبيراً من المغناطيس ، فسقطت ، وأمر الأمير عند ذلك بأن يعاقب القسيسون .

وكمثل ما تصفون لنا عن نزول مريم من السماء على " دون إقريس "[1] المطران بكنيسة " طليطلة " ، وأنها كست رأسه بتحلية ، وجسمه بثياب مزينة ، وكان ذلك فى ليلة النصف من شهر أغسطس ، فتعظمون تلك الليلة تعظيماً بليغاً إلى اليوم .

أخبرنى أيها المغرور عن نزولها التى تصفه!

---

[1] كذا فى ج ، وفى ت : " دنقوس " ، والفقرة كلها ساقطة من ع .

هل كان بإذن زوجها أم بغير إذنه ؟

فإن قلت : بإذنه ، فكيف يجوز عليه أن يترلها إلى ملائكته وعبيده ، فيمتهن زوجته ، وأم ولده - كما تقولون — بإرسالها ؟

وإن كان نزولها بإختيارها هى ، لا بإذن زوجها ، فكيف ينبغى أن يكون الله قد اصطفاها ، واختارها زوجة له ، وأم ولده من بين نساء بنى آدم ، فتخونه ، وتترل بغير إذنه إلى رجل من جنسها بكسوة ، وتحلية وثياب مزينة ؟

ما ذاك إلا لأنها تعشقه !!! سبحان الله عما يصفون ، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وكمثل ما تدعون فى زيتونة وادى آش ، وتزعمون فى توقف فى " أو جاسانت دى مينقوا "[1] ، وكنيسة مكناسة ، ووادى بسطة ، والنور الجديد الذى فى عيدكم ، والنور الذى يترل ببيت المقدس ، إلى غير ذلك من الهذيانات ، التى لا تجوز إلا عليكم ، ولا يتعبد بها من جهال العالم غيركم .

***

[مكانة البيت الحرام فى الكتب المقدسة] [2]

فالحمد لله الذى طهر الإسلام من هذه الأوصاف ، وأغنى المسلمين عن مثل هذه النقائص بما هو أوضح دليلاً من النهار ، ولا [يقع إلا] بفعل الله تعالى ، [ومن أمثلة ذلك ما فعله] بأبرهة الأشرم ملك الحبشة[3] ، وفيله المسمى محموداً[4] ، وذلك فى العام الذى ولد فيه سيد

---

[1] كذا فى ت ، وفى ج : " ارحى ست دفيقة " والفقرة ساقطة من ع .

[2] سقط هذا الفصل من ع .

[3] لم يكن أبرهة ملك الحبشة ، بل كان عاملاً له على اليمن .

[4] انظر ابن كثير : البداية والنهاية جـ٢ ص ١٧٣ .

المرسلين محمد ﷺ وكان أبرهة النجاشى قد قدم نحو مكة فى جيوشه من الحبشة، ليهدم البيت الحرام ، فعرض الله عليهم قدرته ، بأنه أرسل عليه وعلى جنوده - يوم أطل على البيت - طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، يحملها فى منقاره ورجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب واحداً منهم إلا هلك[1] ، وأصيب أبرهة النجاشى فى جسده ،

---

[1] هذا هو رأى الجمهور ، ويرى بعض الباحثين أن الذى أصاب جيش أبرهة ، إنما هو وباء الجدرى ، تفشى بالجيش ، وبدأ يفتك به ، وكان فتكه ذريعاً لم يعهد من قبل قط ، واعتمدوا فى ذلك على رواية لابن اسحاق ، حيث يقول :

حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث : أن أول مارؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام (أى عام الفيل) .

ويفسر أصحاب هذا الرأى ظاهرة الفتك بجيش أبرهة ، بأن جراثيم الجدرى جاءت مع الريح من ناحية البحر ، وأصابت العدوى أبرهة نفسه ، فأخذه الروع ، وأمر قومه بالعودة إلى اليمن ، وفر الذين كانوا يدلونه على الطريق ، ومات منهم من مات ، وكان الوباء يزداد كل يوم شدة ، ورجال الجيش يموت منهم من يموت كل يوم بغير حساب ، وبلغ أبرهة صنعاء ، وقد تناثر جسمه من المرض ، فلم يقم إلا قليلاً ، حتى لحق بمن مات من جيشه !

وهذه الدعوى تشتمل على عنصرين :

١- أن ما نزل بجيش أبرهة هو وباء الجدرى .

٢- أن الريح حملت هذا الوباء من ناحية البحر.

والعنصر الثانى ليس مقبولاً .

نقلاً ، لأن القرآن الكريم أخبرنا بأن الطير رمتهم بحجارة من سجيل ، فوقع لهم ما وقع ، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ (الفيل : ٣ - ٥)

ولا واقعاً ، لأن الريح إذا كانت قد هبت على المنطقة حاملة الوباء ، فَلِمَ أصاب جيش أبرهة ، ولم يصب قريشاً مع أنهم كانوا فى مهب هذه الريح أيضاً ؟

وما قيل من أن الأعراض التى ظهرت فى جيش أبرهة - من تساقط الجسم وظهور القيح والدم - هى أعراض الجدرى ، ولا يصح دليلاً على أن الرياح هى التى حملت الوباء ، وليس الطير ، لأن مرض الجدرى - إذا سلمنا بأنه هو الذى أصاب جيش أبرهة - ينتقل إلى الشخص بالملامسة ، فالطير رمت الأحجار التى تحمل الوباء على الجيش ، فانتقلت

فسار وهو يسقط أنمله أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعها قيح ، وصديد ، حتى لحق بصنعاء اليمن فمات فيها.

وذكرت الحبشة أنه ما مات حتى انصدع قلبه عن صدره ، وأنزل الله فى ذلك قرآناً باقياً إلى اليوم ، قوله سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [١]

وفى ذلك يقول نفيل بن حبيب[٢] وكان أسيراً فى أيدى الحبشة ، فأفلت منهم فى ذلك اليوم ، وجعل ينظر إلى ما نزل بهم - يقول شعراً :

أين المفر والإله الطالب   والأشرم المغلوب ليس الغالب[٣]

أخبرنى أيها المخدوع المغرور !

العدوى إلى الشخص بمجرد أن مس الحجر جسمه ، ولما كانت قريش بعيدة عن مرمى أحجار الطير ، ولم تقترب من جيش أبرهة ، فقد سلمت من الوباء". (قارن : ابن هشام حـ١ ص ٣٥ ، المودوى : تفهيم القرآن ج٦ ص ٤٦٧ ، وهيكل ص ١٠٢)

[١] سورة الفيل.

[٢] هو نفيل بن حبيب الخثعمى ، شاعر جاهلى يلقب بذى اليدين ، جمع قومه من قبيلتى شهران وناعس ، ليقف فى طريق أبرهة ، حينما كان متوجهاً إلى مكة ، ووقعت بينهما معركة ، إنهزم فيها نفيل وأخذ أسيراً ، فأجبره أبرهة على أن يكون دليلاً له فى زحفه على مكة.

[٣] روى أنه أنشد أيضاً فى ذلك اليوم :

ردينة لو رأيت ولا تريه   لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله إذ أبصرت طيراً   وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل   كأن علىّ للحبشان دينا

لِمَ فعل الله ذلك ، وقد كان النجاشى وجيشه – يومئذ – نصارى ، أقرب إلى أمر الله من أهل مكة ، لأنهم كانوا عبدة الأوثان ، وكانت الكعبة – حينئذ – مقر الأصنام ؟

أما إنك ، إن عدت إلى الحق ، لترين أن ذلك ، إنما فعله الله آية لمحمد ﷺ ، ولكعبة الله ، البيت الحرام ، مقام إبراهيم ، وحجة لمن عبد الله تعالى ، بتعظيم ذلك البيت[1]، وإقامة فرض الحج إليه .

قال أشعياء النبى[2] : " أبشرى ، واهتدى أيتها العاقر التى لم تلدى ، وانطقى بالتسبيح ، وافرحى إذا لم تحبلى ، فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلى "[3].

فعنى فى مخاطبته :" مكة".

فهو يشبهها بالعاقر من النساء التى لم تلد ، إذ[4] لم يبعث من مكة – من بعد زمن إسماعيل – نبى إلا محمداً ، ولا يجوز أن تكون العاقر القدس ، لأنها كانت مقر الأنبياء .

وقوله :" فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلى ".

يعنى بأهله : أهل بيت المقدس .

وقال أشعياء أيضاً فى صحفه التى بأيديكم : " وأرفع علماً لجميع[5] الأمم من بعيد ، فيصرفهم من أقاصى الأرض "[6] .

---

[1] كذا فى ج ، وفى ت : " وحجة إذ جعل الله تعالى لها لتعظيم ذلك البيت " .

[2] استشهد المؤلف فى هذا الفصل بفقرات متعددة من سفر أشعياء ، غير أنه لم يلتزم النص الحرفى لها ، بل عبر عن مضمونها باختصار ، ولم نثبت النص الأصلى فى المهموشة – بل اكتفينا بالتخريج فقط – لطوله ، فالفقرات التى أوردها المؤلف هى تلخيص لجزء كبير جداً من هذا السفر.

[3] أشعياء : ٥٤ : ١-٢ .

[4] فى ج ،ت :" وكذلك لم .. " .

[5] كذا فى ت ، وفى ج : " بجميع " .

[6] كذا فى ج ، ت : " فيبقى به من أقاصى الأرض " والنص مختلف فى اللفظ عما فى سفر أشعياء ٤٩ : ٢٢.

وقال أشعياء أيضاً : " سأبعث من الصبا قوماً ،فيأتون من الشرق أفواجاً ، كالصعيد كثرة، ومثل الطيّان الذى يدوس الطين برجله " [1] .

يصف بذلك إسراعهم من أقاصى الأرض إلى حج البيت ، ويصف الهرولة .

وقال أشعياء عن الله تعالى :" قد أقسمت بنفسى – كقسمى أيام نوح ، أن أغرق الأرض بالطوفان – كذلك أقسمت أن لا أسخط عليك ، ولا أرفضك ، وأن الجبال تزول ، والآكام تتزعزع [2]، ورحمتى عليك لا تزول" .

ثم قال :" يا مسكينة ، يا مضطهدة ! هاأنذا أبنى بالإثمد حجارتك[3]، ومزينك بالجواهر ، ومكلل باللؤلؤ سقفك ، وبالزبرجد أبوابك ، وتبعدين من الظلم فلا تخافى ، ومن الضعف فلا تضعفى ، وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك ، وكل لسان ذلق يقوم معك بالخصومة تفلحين[4]، ويسميك الله اسماً جديداً[5] .

وكل ذلك كان : كان اسمها الكعبة ، فسماها الله المسجد الحرام .

[ثم يقول أشعياء] : " فقومى ، فاشرقى ، فإنه قد ورى زندك[6]، ووقار الله عليك ، إنظرى بعينيك حولك فإنهم يجتمعون ، يأتوك بنوك وبناتك عدواً ، فحينئذ تسرين ، وتزهرين ، ويقرع عدوك ، ويتسع قلبك ، فكل غنم قيدار تجتمع إليك ، وسادات " نبايوت " تخدمك ، وتفتح أبوابك دائماً [فى] الليل والنهار ، فلا تغلق ، ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب[7] .

---

[1] قارن أشعياء ٤١ : ٢٥ .

[2] فى ج : وإن الجبال تزول ، والبلاع تنحط " ، قارن النص الحرفى فى سفر أشعياء: ٥٤ : ٩ – ١٠ .

[3] فى ج : " هآنذا بان بالجص حجارتك " ، وفى ت : " ها أنا بان بالجص حجارتك " .

[4] فلج فلوجاً من باب قعد : ظفر بما طلب ، وفلج بحجته : أثبتها ، وأفلج الله حجته : أظهرها .

[5] قارن أشعياء : ٥٤ : ١١ – ١٧.

[6] كذا فى ج ، وفى ت : " عضدك ".

[7] أشعياء : ٦ : ٤ – ١٢.

فقيدار ولد إسماعيل ، " ونبايوت " ولد إسماعيل أيضاً !!

فأخبرني !

متى كان ولد إسماعيل خدمة بيت المقدس ؟

وهل اتخذت مكة قبلة إلا على عهد محمد ﷺ ؟

فاعتبر قول أشعياء يومئذ : " ستتخذ قبلة " ! وكفى بهذا دليلاً .

وقال أشعياء أيضاً :" إرفعي إلى [من حولك] بصرك فستبهجين ، وتفرحين[1] من أجل أنه تميل إليك عساكر الأمم ، حتى تغمرك قطر[2] الإبل الوابلة[3] ، وتضيق أرضك عن القطـرات التي تجتمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، ويأتي إليك أهل سبأ ، وتسير إليك أعلام قيدار ، ويخدمك رجال نبايوت " [4].

يعني يخدموك : [إن] سدنة البيت يكونون من أولاد " نباتوت " ، فاعتبر هذا الإطـراد المتصل !.

وقال أشعياء عن الله :" أعطي البادية كرامة لبنان ، وبهاء جبال الكرمال "[5] .

فالبادية : مكة ، ولبنان : الشام وبيت المقدس .

وقال أشعياء أيضاً عن الله إثر ذلك : " وتنشق في مكة وسط البادية قناة[6] ، وسـواق في أرض الفلاة ، وتكون الفيافي والأماكن العطاش ينابيع ، ومياهاً ، وتكون هناك محجة ، وطريـق

---

[1] كذا في ج ، وفي ت : " وتبهجين" .

[2] قطر : مضارعه يقطر ، والمصدر : قطراً ، قرب بعضها إلى بعض على نسق ، يقال : قطر البعير إلى البعير.

[3] في ج ، ت : " الموبلة " .

[4] قارن الإصحاح رقم ٦٠ من سفر أشعياء .

[5] في النص الأصلي " بهاء كرمل وشارون " راجع أشعياء ٣٥ : ٢ !

[6] كذا في ت ، وفي ج : " وينشق في البادية قناة " .

الحرم لا تمر به أنجاس الأمم ، والجاهل لا يضل[1] هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسود ، يكون هناك ممر المخلصين "[2] .

وقال أشعياء عن الله تعالى فى مكة ، ويذكر الحجر الأسود : " ها أنذا مؤســس [فى] صهيون [حجراً] ، هو بيت الله الحرام ، حجراً ، مقره فى زاوية مكرمة ، فمن كان مؤمناً فلا يستعجل "[3] .

وتمادى فى ذكره فى كلام كثير هو بأيديكم إلى اليوم .

وقال أشعياء عن الله تعالى أيضاً : " لتفرح البادية العطشى ،ولتبتهج البرارى والفلوات"[4].

لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان و[وهو] كمثل حسن الدساكر [5] ، والرياض .

وقال أشعياء أيضاً - وقد وصفها- : " إن الذئب والحمل يرتعان معاً بها "[6] .

***

[الرد على الشبهة الثامنة]

وأما اعتراضك [على ما نعتقده ، من أن فى الجنة] أكلاً وشرباً ، وغير ذلك من لذات الأجسام ،فإن كان نفيك قولاً واحداً[1] ، فإنما ذلك منكم عتواً على الله تبارك وتعالى ، وعلى

---

[1] كذا فى ت ، وفى ج :" ولا يمر" والأصح ما فى ت ، لأن النص فى سفر أشعياء هو : " من ســلك فى الطريــق حتى الجهال لا يضل " .

[2] قارن أشعياء ٣٥ : ٦ - ٩ .

[3] قارن أشعياء ٢٨ : ١٦ .

[4] قارن أشعياء ٣٥ : ١ .

[5] مفردة : دسكرة ، وهى كلمة فارسية معربة : القرية العظيمة ، أو بيوت يكون فيها الشراب والملاهى .

[6] قارن أشعياء ١١ : ٦ .

أنبيائه وكتبه ، بغير علم لكم ، ولا برهان .

ولكن" يجب علينا " الآن " أن " نبين - إن شاء الله تعالى - خلل ما ذهبت إليه بمقتضى سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

أما التوراة التي بأيديكم وأيدى اليهود إلى اليوم ، فلا ذكر فيها للآخرة ولا لبعث ، ولا لحشر الأجساد ، ولا لشئ من أحوال القيامة .

وفى كتبكم : أن موسى عليه السلام لم يخبر بذلك[2] ، مخافة أن يكذبه بنو إسرائيل جملة واحدة ، فيرجموه ، لأنهم كانوا ينقضون أفعاله من المعجزات ، ويختبرون أقواله[3] ، ويسيئون القول بكل ما يأتيهم به عتوًّا على الله عز وجل .

إلا أن موسى بن عمران ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام كلهم ، أخبروا العالم : أن الله خلق الأشياء ، وابتدعها مخترعاً لها ، لا من شئ ، ولا على أصل متقدم .

---

[1] فى ج : " فأما اعتراضك قولنا من الأكل والشرب وغير ذلك من التذاذ الإجسام فى الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة .." وفى ت : " وأما قولك واعتراضك قولنا بالأكل والشرب وغير ذلك من لذائذ الأجسام فى الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة واحدة .." ، وفى ع : وأما اعتراضك قولنا بالأكل أن يكون جملة واحدة " .

[2] ذكر الناسخ على هامش الصفحة فى ت :"قولهم : لم يخبر ، يقتضى أن موسى عليه السلام أوحى إليه بذلك ، وأمر بإخفائه ، لقول الله سبحانه فى كتابه العزيز :

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾

(الأعلى : ١٧ - إلى آخر السورة)

وليس عندنا دليل يؤيد هذا الرأى ، لذا نقول : يحتمل أن إخبار موسى عليه السلام بالبعث سقط من كاتب التوراة ، ويدعم هذا الرأى ما أثبتناه سابقاً : من أن موسى لم يكتب التوراة الموجودة بين أيدينا ، بل كتبها شخص جاء بعده بزمن طويل .

[3] كذا فى ت ، وفى ج : " ويتخيرون أقواله " ، والجملة ساقطة من ع .

وهذا مما اتفقنا جميعاً عليه ، فإذن [مما] لا شك فيه [أن] البعث وحشر الأجساد لا يتعذر ، لكونه من قدرة القادر الخالق ، فيبقى أبداً فى حكم الممكن ، لا فى حد الممتنع .. إلى أن أخبرنا الذين قامت البراهين الضرورية على صدقهم ، وهم الأنبياء .

أخبروا العالم - من بعد موسى - بالبعث ، وحشر الأجساد ، وأحوال القيامة ، فتحققنا من ذلك ، فإذن لا شك فى وقوع البعث ، وفى التذاذ الأجسام التى ستحشر مع نفوسها الأول ، وذلك ما أخبرنا به الذى قامت البراهين الضرورية على صدقه ، وأن الله بعثه نبيًّا من عنده ، فتحققناه ، لأنه كان قبل أن يخبرنا به الصادق فى حد الممكن عندنا ، وعند غيرنا من أجل المقدمة الأولى .

بل [هو] فى حد الواجب ، لأن الله تعالى خلق أنفسنا ، ورتب جواهرها ، وطبائعها الذاتية ترتيباً ، لا يستحيل [معها] ألبتة [أن] تتلذذ بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات على حسب موافقة تلك الجواهر [وهى] أنفسنا .

وهذا مما لا يدفع فيه أحد ، ولا شك فى أن النفوس هى المتلذذة بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات [من] الروائح الطيبة ، والمناظر الحسنة ،والأصوات المطلوبة .

وكذلك هى المتألمة أيضاً بضد ذلك من المكاره .

وأن الحواس الجسدية هى المنافذ لوصول هذه اللذات إلى النفوس ، وأما الجسد فلا حس له ألبتة .

فإذا اجتمعنا باتفاق على أن الله سيجمع يوم القيامة فى عالم الجزاء أنفسنا والأجساد المركبة لها ، ويعيدها كما كان [الحال] أول مرة ، [يلزمنا أن نصدق أنها ستذوق] هنا لك من اللذات والآلام ، بما تستدعيه طبائعها التى لم توجد إلا كذلك .

إلا أنه كما أن الأجسام أعيدت بعد الفناء بغير فساد ،ولا استحالة بقدره القدير ، فكذلك .. ذلك الطعام الذى هناك ، لم يعد بنار ،ولا يلحقه فساد ، ولا يتحلل إلى قذر ، ولا إلى دم .

ولا يطرأ هناك تغير ، ولا موت ولا شبه ذلك بقدرة القدير ، كما أخبرنا الخالق تبارك وتعالى بقوله :

﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ ﴾[1].

وكذلك تلك الثياب غير منخرقة بالنسيج[2] ، ولا تبلى ، ولا تفنى ، ولا تتغير .

وكما أن تلك الأجسام لا كدر فيها ، ولا خلط ، ولا دم ، ولا أذى ،فكـذلك تلـك النفوس لا رذيلة فيها من غل ولا من حسد ، ولا من حرص ، ولا غير ذلـك مـن أمـراض نفوس[3] هذه الدار الفانية ، كما أخبرنا الخالق سبحانه بقوله :

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾[4].

ثم أقول [بالإضافة إلى ذلك][5] : إن قدماء الهند ذكروا فى كتبهم [أن] فى الأفـلاك ، والبروج ، ووجوه المطالع صوراً وصفوها ، وذكروا أنه ليس فى العالم الأدنى صورة إلا وهـى فى العالم الأعلى[6] .

وهذا إيجاب من تلك الطائفة بأن هناك ملابس ، وأكلاً وشرباً[7] ، وأنهاراً وأشـجاراً ، وغير ذلك .

وأيضاً ، فإن فى التوراة – التى بأيدى اليهود إلى اليوم – " حـديث " عـن أكـل آدم وزوجته من الشجرة التى فى الجنة ، وطردهما منها بسبب ذلك[8] .

---

(1) الواقعة : ١٩ .

(2) فى ج : منخرقة بنسخ "، وفى ت : " منخرقات بالنسج " ، والجملة سقطت من ع .

(3) فى ج ، ت : " من جبلات نفوس " ، وفى ع : " من مقبحات نفوس" .

(4) الحجر: ٤٧ .

(5) فى ع : " خلاف ذلك " وهى ساقطة من ج ، ت .

(6) هى فكرة أفلاطون المعروفة بعالم المثل .

(7) فى ج ، ت : " ملابس ومشارب ، ووطأ " وفى ع : " ملابس ومشارب ومآكل " .

(8) كذا فى ع ، وفى ج : " فإن التورية التى فى الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك " ، وفى ت : " فإن فى التوراة التى بأيدى اليهود إلى اليوم النهى عن أكل آدم وزوجه من الشجرة التى فى الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك" .

وقال فى التوراة عن آدم :" إن الله نفاه من الجنة ، ليعمر الأرض التى خلق منها"[1] .

وتلك الجنة لم تكن بناء على ذلك فى الأرض .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم : أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح – وقد سقاهم كأساً من خمر – قال :" إنى لا أشربها معكم أبداً حتى تشربوها معى فى الملكوت عن يمين الله "[2] .

وقال أيضاً فى قصة الفقير الذى اسمه " لعازر " ، الذى كان مطروحاً على باب الغنى ، والكلاب تلحس قروحه ، وإن ذلك الغنى نظر إليه فى الجنة متكئاً على حجر إبراهيم الخليل ، فناداه الغنى وهو فى النار :

يا أبى إبراهيم ! إبعث " لعازر " إلى بشئ من ماء أبل به لسانى[3] .

---

[1] نص التوراة : " **فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أُخِذَ منها** " . (تكوين ٣ : ٢٣)

[2] والنص فى الإنجيل يقول : " **وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم ، حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى** " . (متى ٢٦ : ٢٩ ، مرقس ١٤ : ٢٥)

[3] كذا فى ج ، ت ، والفقرة سقطت من ع ، وإليك القصة كما جاءت فى الإنجيل : " **كان إنسان غنى ، وكان يلبس الأرجوان والبز ، وهو يتنعم كل يوم مترفهاً ، وكان مسكين اسمه لعازر الذى طرح عند بابه مضروباً بالقروح ، ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى ، بل كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه ، فمات المسكين ، وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، ومات الغنى أيضاً ، ودفن ، فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه ، فنادى وقال يا أبى إبراهيم ! إرحمنى وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد لسانى ، لأنى معذب فى هذا اللهيب ، فقال إبراهيم : يا ابنى ! أذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعازر البلايا . والآن هو يتعزى وأنت تتعذب ، وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة ، قد أثبتت حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم ، لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا ، فقال : أسألك إذن يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى ، لأن لى خمسة إخوة ، حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا ، قال له إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء ، ليسمعوا منهم ، فقال : لا يا أبى إبراهيم ، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون ، فقال له : إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون** " . (لوقا ١٦ : ١٩ – ٣١)

وفى الإنجيل أيضاً[1] :

" ولما وجدوه فى عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا ؟ أجابهم يسوع ،وقال : الحق الحق أقول لكم ، أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم ، إعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية "[2] .

وفى الإنجيل أيضاً أنه قال لتلاميذه فى وصية وصاهم بها :

" لتأكلوا[3] وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى[4] وتجلسوا على كراسى[5] تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر "[6] .

وقال أيضاً لليهود : **" إن كان موسى أطعمكم خبزاً فى المفاوز ، فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً "** ، يريد بذلك نعيم الجنة .

وقال أشعياء[7] :

" أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا ، وكلوا ، وهلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً "[1] .

---

[1] جاء النص فى ج ، ت كما يلى :

" أم الجماعة قالت للمسيح بقفر ثاوى : متى جئت إلى ها هنا يا معلم ؟ فقال لهم :آمين آمين أقول لكم ولا وكلتكم الخبز وليس لما رأيتم من العجايب ، فارغبوا فى طعام لا يفنى فى الحياة الدائمة " .

لذا أثبتناه فى الهامش ، ووضعنا مكانه نص الإنجيل..

[2] يوحنَّا ٦ : ٢٥ ـ ٢٧ .

[3] فى ج ، ت : " لتطعموا " .

[4] فى ج ، ت : " فى ملك الله " .

[5] فى ج ، ت : " على عروش حاكمين على اثنى عشر سبطاً من بنى إسرائيل "، والفقرة ساقطة من ع .

[6] لوقا ٢٢ : ٣٠ .

[7] ورد النص فى ت ، ج : " يا معشر العطاش ، توجهوا إلى الماء الراوية ، فمن له فضة فليذهب ، ويأكل ، ويشرب ، ويأخذ من الجبن واللبن ، بلا فضة ولا ثمن " ، وسقط النص من ع .

وهذا كله يبين ما كفرت به ، ويوجب ما أنكرته فى كتابك .

***

[الرد على الشبهة التاسعة]

وأما قولك :

" إن دين الإسلام فشا بالسيف القهر ، ودين الصليب لم ينتشر بسيف ولا قهر ..".

فكأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم ، إنما كان بأسباب القتال مع اليهود ، وكنتم تحرقونهم بالنيران ، وتغرقونهم فى البحار ، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان .

ولولا ذلك لم تبق لكم اليهود أثراً ، فإن الدولة كانت لهم ، قد قتلوا إلهكم على زعمكم! ولم يترك بعده أكثر من اثنى عشر حوارياً ، وسبعين مبشراً هاربين خائفين ، ولو ظهر منهم واحد لقتل شر قتلة .

فلو التزمتم ما أوجبته عليكم شريعتكم بالمسالمة !!! لما قامت لكم قائمة ، وما بقى منكم باقية .

ولكنكم أقمتم دينكم برفض معالمه ، ونصرتموه بمحو آثاره ، والتزمتم القتل والقتال ، فعصيتم فى الأول ، وما زلتم إلى الآن على خلاف ما أمركم به إنجيلكم تعملون[٢] .

ثم بصرف النظر عن هذا[٣].

---

[١] أشعياء ٥٥ : ١.

[٢] راجع المهموشة ١ فى ص ٨٩.

[٣] الفقرة : " فكأنك قد غفلت .. بصرف النظر عن هذا "، سقطت من ج ، ت .

فإن كنت قلت ذلك لتعيب به الإسلام ، فإنك عبت موسى بن عمران ، ويوشع بن نون ، ومن قبلهما ، ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم ، وسبوا الذرارى ، وناوشوا الأعداء فى ديارهم ، كما هو مكتوب فى التوراة – وفى سائر الكتب لديكم – وبينته فى قتال داود عليه السلام مع جالوت ، وسليمان عليه السلام مع طوائف الكفر ولم يقدح ذلك فى صحة أديانهم[1] .

وإذا كان القتال سنة الله تعالى لأهل الحق مع أهل الضلال ، فنحن على تلك السنة سالكون ، وبها عاملون ، فيكون من مناقبنا ، لا من مثالبنا ، ومن حسناتنا ، لا من سيئاتنا .

ومن هنا نعلم أن تعييبك لنا قد انعكس عليك ، فياليتك لم تقله .

وأما إن كنت تريد بذلك إظهار محاسن حالة الصلح التى أمركم بها الإنجيل ، على حالة الجهاد التى أمر بها سيد النبيين ، فإنك قد ظلمت ولم تدر ، وكفرت ولم تعلم ، ها هو ذا إنجيلكم – بين أيديكم – ناطق مصرح – كما قلت بالمسالمة ، وإلتزام التواضع والمذلة : " **لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً** "[2] .

وأن تبعدوا عن القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة :

" **ومن أراد أن يخاصمك ، ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ، ومن سألك فاعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده ... أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم** " [3] .

ومع ذلك كله ، فإنا نراكم أشد الناس تكالباً ، وحرصاً على القتل والقتال ، وبسط الأيدى بالاعتساف فى أقطار الأرض ، تقتلون النفوس ، وتسلبون الأموال ، وتعتقدون [أن]

---

[1] أى أديان الأنبياء الذين حاربوا الكفار .

[2] متى ٥ : ٣٩ .

[3] متى ٥ : ٤٠ – ٤٤ .

ذلك من أوثق أسباب السعادات ، وأعظم المقربات إلى الله تعالى ، مع تحريم إنجيلكم ذلك عليكم ، وإيجابه الإستسلام لأعدائكم ، ومن استحل حرمات الله تعالى ، فهو أشد الناس كفراً بالله ، وكتبه ، وأحكامه .

وأما نحن فكتابنا قد أوجب علينا القتال ، فامتثلنا أمر خالقنا جل شأنه ، فكنا أولياءه ، ناصرين لدينه ، قائمين بحقه فى أرضه على خلقه ، سعداء ، شهداء ، أولياء ، أعزاء ، نناظر بالمعجزات الباهرة ، والبراهين القاطعة ، فندعو إلى مكارم الأخلاق ، وننهى عن لئامها ، فمن اهتدى إلينا ظفر بالسعادة ، وأسباب السيادة ، ومن أعرض عنا ، كان جديراً بالصغار ، والذل ، والعار .

لا ندعو إلى عبادة الرجال ، ولا ربات الحجال ، ولا نعبد من أشبعته اليهود - على زعمكم - أنواع العذاب !

فأين السماء من الوهدان ؟

وأين الدخان من العسجد ؟

لقد أشرق الحق فى ديننا ،كما غاب عنكم إلى الموعد[١] .

ولا يخفى عليك[٢] أن سيد النبيين محمداً ﷺ ، لم يكن قبل ذلك ملكاً ، فيقال : حمل رعيته على دينه .

ولا صاحب مال ، فيقال : استعان بماله ، ليجمع القوم على دينه[٣] .

وإنما أتى قومه بخلع الأوثان ، وكسر الأصنام ، وعبادة الله وحده ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

[١] سقطت الفقرة " وبينته فى قتال داود عليه السلام .. كما غاب عنكم إلى الموعد " . من ج ، ت .

[٢] كذا فى ع ، وفى ج ، وت : " ولا خفاء " .

[٣] فى ج ، وت : " بذل ماله مصانعة دينة " ، وفى ع :" استعان بماله.." .

و[أيده الله] بآيات ومعجزات ، خارقة للعادات ، تدل على صدق رسالته ، ونبوته.

ثم خصه الله تعالى بآية باقية إلى اليوم ، وهى :

القرآن المجيد !!

وإنما جميع آيات الأنبياء قد ذهبت بذهابهم ، و لم يختصوا ببقاء واحدة منها .

ولما بعثه الله ليدعوا العالم إليه ، اتبعه جماعة من الناس ،سبقوا إلى الخير ، ورغبوا عن الشرك والشر ، فعمد قومه إليه ، وعتوا على من اتبعه ، وعليه ، فآذوهم بالضرب الموجع[1] ، والنفى ، والعذاب ، والفتنة عن دينهم .

وما زال ﷺ كذلك زهاء عشر سنين تقريباً ، يجهد نفسه فى إظهار أمر الله ، صابراً على أذى قومه ، لا يخفى نفسه ، ولا يستتر ، ولا يجزع ، وقد عمد إليه نفر منهم بالكعبة – ومعه صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ – فقالوا له :أنت الذى تسب آلهتنا وتسفه ديننا" .

ووضع أحدهم يده فى ردائه ، وضمه إليه ، وتحاملوا عليه : وهو يقول لهم : " نعم أنا الذى أقول ذلك " .

حتى أن صاحبه أبا بكر قام دونه ، وقال لهم صائحاً[2] : " أتقتلون رجلاً أن يقول : ربى الله"[3] .

و لم يكن ﷺ بالذى يضعف ، ويجزع من شئ ، حتى أفشا دين الله فى الأرض ، وجعل أصحابه نجوم الهدى ، ومصابيح الدجى .

وكان قومه حين اتبعوه ليؤذوه ، حين دخل فى الغار قال له صاحبه :" لو أن أحداً يبصر ما تحت قدمه لأبصرنا" .

---

[1] فى ج : " وآذوهم بالوجع والضرب " ، وفى ت : " وآذوهم بالرجم والبغى والضرب "، وفى ع : " وآذوهم بالرجم والضرب " .

[2] فى ج ، ت ،ع :" حتى أن صاحبه ترامى عليه ويصيح " .

[3] انظر ابن هشام ج١ ص ١٨٧ – ١٨٨ .

قال له :" يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما "[1] .

لا كما كتبتم فى الإنجيل عن المسيح عليه السلام ، أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه صاح : " جزعت نفسى الآن ، فماذا تقول يا أبتاه ، فسلمنى من هذا الوقت "[2] .

وأنه حين أخذ – بزعمكم – كان القواد يقولون له : " هل أنت المسيح ابن الله ؟"

فيقول لهم " أنتم تقولون : أنى هو !"[3] .

وفيكم من يوافق اليهود فى قولهم ، أنهم حين بحثوا عنه ، أخفاه بستانى فى جنته تحت وعاء الزبل .. إلى آخر هذه الحكاية الفاجرة والكاذبة [وهى] حديث المبغضين .

وبعد ، فإن بشارات الأنبياء فى كتبهم تنطق أن سيد النبيين محمداً ﷺ ، يأتى بالسيف فى جملة أوصافهم له ، وقد ذكروا من ذلك ما تأتى ذكره ، حتى أن أشعياء أخبر عن هزيمة العرب ، وقتل أشرافهم فى بدر وغيرها ، فقال: " يدوسون الأمم كدوس البيادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب وينهزمون من أيد [بها] سيوف مسلولة ، وقسى موتورة من شدة الملحمة"[4] .

وكذلك قال المسيح فى الإنجيل لتلاميذه :

وكذلك قال المسيح فى الإنجيل لتلاميذه :

" حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ، ولا أحذية ، هل أعوزكم شىء ؟ فقالوا : لا فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً"[5] .

---

(1) الطبرى : جامع البيان ... جـ ١٠ ص ٩٦ .

(2) قارن متى ٢٦ : ٣٨ -٣٩ .

(3) قارن متى ٢٦ : ٦٣ ، لوقا ٢٢ : ٧٠ .

(4) قارن أشعياء ٤١ : ١ – ٤ ، ٢١ : ١ – ٤ .

(5) لوقا ٢٢ : ٣٥ – ٣٦ .

فأمرهم بشراء السيوف بعد أن كان [قد] نهاهم عن القتال ، لعلمه أن محمداً ﷺ سيبعث بعده بالسيف .

ومثل ذلك من ذكر السيف فى مواضع كثيرة !

وأما دين الصليب الذى أنتم عليه ، فإنما أفشاه " قسطنطين بن هلانة " بالقهر والرياسة . والدين الذى جاء به المسيح عليه السلام ، لم يلبث بعده سوى أربعين سنة ، وأهله مستضعفون ، ثم اختل كما قدمت ذكره .

وكان سيد النبيين محمد ﷺ حين خلص [أحد] المشركين إليه فى يوم أحد ، أشرع إليه رمحه ، فجاء أحد أصحابه ، فأدخل جسمه بين سنان الرمح وبينه ، فمات رحمه الله ، واستمر الأعداء يرسلون إليه سهامهم ، وسماك بن خرشه[1] انحنى عليه يقى جسمه الكريم من السهام بجسمه ، واندفع بعض الصحابة يشرب الدم الذى سال منه ﷺ .

كل ذلك تعظيماً له ، إيماناً به ، وشفقة عليه .

لا كما كتبتم فى الإنجيل :

أن أصحاب المسيح عليه السلام حين أحيط به - كظنكم - جزعوا فتفرقوا عنه ، وأن " بطرس " الذى كان [قد] حلف ألا ينكره ، أنكره قبل صراخ الديك ثلاثاً ، وحلف أنه ما يعرفه[2]، وهو الذى كان المسيح قال له - بزعمكم -: ما حللت فى الأرض ، فهو محلول فى السماء ، وما عقدت فيها فهو معقود فى السماء[3].

زعمتم أنه أفرده بهذه المقالة ، ثم قالها لسائر التلاميذ فى جملتهم ، ثم لم يكن إلا قليل حتى هربوا عنه ، وأسلموه لأعدائه ، كما زعمتم .

---

(1) هو أبو دجانة سماك بن خرشه ، ترس بنفسه يوم أحد دون رسول الله ﷺ ، فتلقى النبل فى ظهره وهو منحن عليه.

(2) راجع متى ٢٦ : ٦٩ - ٧٤ ، مرقس ٢٤ : ٦٦ - ٧٣ ، لوقا ٢٢ : ٥٥ - ٦١ ، يوحنا ١٨ : ٢٥- ٢٧.

(3) متى ١٦ : ١٩ .

[وليس بصحيح] ما زعمتم أن " بطرس " استل فى ذلك اليوم سيفاً ، وقطع به أذناً [1].
فما أبين ضلالكم ، وأهون على الله تعالى نكالكم .

* * *

[1] لم تذكر الأناجيل الثلاثة ،أن الذى استل السيف هو " بطرس" ،بل قالت: " وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده ، واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة ، فقطع أذنه". (قارن متى ٢٦ : ٥١ ، مرقس ٢٤ : ٤٧ ، لوقا ٢٢ : ٥٠)
أما يوحنّا فينسب هذا الفعل إلى " بطرس ". (قارن يوحنّا ١٨ : ١٠)

[خاتمتين][1]

الأولى :

وبعد .. أيها المغرور ! فعلى كثرة اختلاف أقوالكم فى المسيح ، وتنازعكم فكلكم يقول :

– إنه إنسان تام ، حُمِلَ به تسعة أشهر ، ووُلِدَ ، وخُتِنَ ،وأُرْضِعَ ،وكان صغيراً فكـبر ، وناقصاً فزاد ، ونما ، ومشى ، وأكل ، وجاع ، وشبع ، وعطش ، وغاط ، وبال ونام . وطُلِبَ فهرب ، وأُخِذَ فَرُبِطَ ، وصُلِبَ ، ودُفِنَ .

– وأنه أتى شجرة من التين ، فلم يجد فيها ما يأكله فدعا عليها[2] .

– ولم يدر أيضاً ، [مكان] قبر صديقه " لعازر " وقال :

أين دفنتموه ؟ [3]

ولم يعلم ، متى تقوم الساعة !.

– ولا قدر أن يجعل أولاد زبدى عن يمينه وشماله ، وترك ذلك إلى الله إن شاء فعله ![4] .

وقلتم :

– إن يحيى غطسه .

– وإنه صاح عند الموت جزعاً منه !

وهذه كلها صفات إنسان مهين ، لا إله قوى متين .

---

[1] اختلفت خاتمة ت ، ج عنها فى ع فى النسبة والمضمون ، فقد نسبت فى ت ، ج إلى المراجع ، أما فى ع ، فلم يشر إلى ذلك ، ولذا رأينا أن نثبت أولاً خاتمة ت ، ج ،ثم خاتمة ع .

[2] متى ٢١ : ١٨ - ١٩ ، ومرقس ١١ : ١٣ - ١٤.

[3] يوحنَّا ١١ : ٣٤ .

[4] متى ٢٠ : ٢٠ — ٢٣ .

ونحن نسأل الله سبحانه أن يكشف ما بكم من بشع الضلالة ، ويتلقاكم بالهداية ، فهـــو فعال لما يريد .

قال المراجع لهذه الرسالة : ليعلم كل ذى بصيرة : أن ما على الأرض عقيدة دين أعـــدى على حقيقة الإيمان من عقيدة ملة النصارى ! ولا يعبد حى بمقول من الآراء أبلغ فى السخافة من قواعدهم فى عبادهم !

و لم أتعرض فى هذه الرسالة للكثير منها ، لأن عرض حكاية الكفر إثم نفسه ، وإن كنت قد اضطررت إلى حكاية شئ من ذلك ، فما أضربت صفحاً عنه أبشع وأشنع مما إضطررت إلى حكايته .

وقد كان يجب [علىّ] ألا ألتفت إلى شئ من مقالتهم ، فإن " مناقشتها " إخـــلال فى العقل ، وفى صحة الدين .

فأما ، وقد ندبنا الله سبحانه وتعالى إلى إقامة الحجة وإسطاع البراهين ، وأكد ذلك علينا فى محكم كتابه من مكالمة اليهود فى ذلك **أولاً** ! ورجاء ثواب الله تعالى . **ثانياً** : فالملة النـــصرانية خارجة عن اليهودية ، وفرع من أصلها [فالمسيحيون] يؤمنون بكل ما فى أيدى اليهود حرفـــاً حرفاً ، وإنما يخالفونهم فى تأويلات وخيمة تأولوها ، وبدع من ضلالتهم تناقلوها ، وليس ذلـــك الفرع الذى هو النصرانية من ذلك الأصل الذى هو اليهودية كسائر فروعه وفرقه ، من العنانية ، والعيسوية ، واليوذعانية ، والسامرة ، وغيرها من فرق اليهود على اختلاف مذاهبها ، وإنما ذلك فرع ذهب من الضلالة كل مذهب .

وقد أوردت فى هذه الرسالة من الأدلة ما فيه الكفاية على سوء ما انتحلوه ، و لم أنقل من التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف الأنبياء ، إلا ما هو بأيديهم فى وقتنا هذا .

فإذا رأى القارئ نصًّا من نصوصهم ، وقد أضافوا فيه الأفعال ، والحول ، والقـــوة ، إلى عيسى بن مريم من دون الله تعالى ، فليعلم أن ذلك تحريف منهم .

وقد قدمت فى صدر هذه الرسالة دلائل من كتبهم على أنه ما ادعى الألوهية ، وإنما نقلت من أناجيلهم حرفاً حرفاً – على ما فيها من إضافة الفعل ، والقوة ، والحول إلى غير الله تعـــالى ، لأن من شأنهم وشأن اليهود ، إذا قيدوا بشئ [ليس] مكتوباً عندهم أنكروه – ، فلم أورد من

ذلك إلا ما قرأته فى كتبهم العبرانية ، ووقفت عليها بنفسى ، وطالعت فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها .

ومن جرى [فى المناظرة] هذا المجرى ، ثم طرح الهوى ، فنظر بعين الإنصاف ، كان الحق له أبين من فلق الصبح ،والهدى هدى الله - لا إله إلا هو - يهدى به من يشاء ، والحمد لله على ما خصنا به ، وهو ذو المن والطول ، لا إله هو تعالى عن قول الكافرين علوًّا كبيراً .

وصلوات الله وسلامة على نبيه المصفى ، ورسوله المرتضى ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى آله الطاهرين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وصحابته الأبرار ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

الثانية:

ومع ذلك أيها المغرور ، فعلى كثرة اختلاف أقوالكم فى المسيح ، وتنازعكم فيه فكلكم زعمتم :

أن المسيح عليه السلام هو الله تعالى ، وإنما نزل إلى الأرض ليخلص العالم من خطيئة آدم ، فتصير نفوس أهله زكية ، راضية مرضية .

وينصركم على اليهود ، ويشرق فى سماء مجدكم شمس العود ، مع أن الأبلغ فى أبهة الجلالة الصمدية ، وحرمة العظمة الإلهية ، أن يفعل ذلك على أيدى رسله المرضيين ، وخاصته المقربين .

فما الذى أوجب نزوله عن مجده الرفيع المنيع ، إلى حضيض الآفات ، مقر الملومات ؟ فولج بطون النساء ، واغتذى بالدماء ، ولبث فى الأرحام ، منغمساً فى المشيمة ، والأحوال الوخيمة ، إلى أن ولدته أمه ، وأرضعته ، وفطمته ،وأدبته ، وأمرته بحقوقها ، ونهته عن عقوقها ، وترددت به إلى المواسم ، وأرته الشعائر والمعالم ، حتى شب ، وترعرع ، وتشوق إلى شرف الرجولية ، وتطلع .

فلما شرع فيما أنزل إليه ، عارضته اليهود ، فنكدوه ، وطردوه ، وعزموا أن يقتلوه .

فلما أعياه أمرهم ، تحصن بالإستتار خلف الجدار ، وأمر أصحابه بكتمانه ، وأن يبالغوا فى إخفاء مكانه .

وأقام على ذلك مدة واليهود تطلبه ، حتى دل عليه " يهوذا " صاحبه ، فأسلمه لأعدائه ، وأوقعه فى شبكة بلائه ، فسحبوه على الشوك حزيناً ، وبقى هذا الإله المسكين فى أيدى اليهود بالعذاب رهيناً ، يرون أقبح ما يفعلونه [به] حسناً ، وأشد ما يهينونه به مستحسناً ، فلما بلغوا من إهانته المراد ، ومضوا به إلى بقعة الأرض ، تزعمون أنه دحاها ، وحَمَّلوه خشبته التى تقولون : إنه أنبت لحاها . وألبسوها ثياباً حمراً للشهرة ، قد كان خلق – على رأيكم – درسها ، وأوقفوه بحر الشمس الذى هو أسخن مسها . وسألهم شربة من الماء – الذى فجره – ، حين وصلت روحه للحنجرة .

ولما صالت عليه الأمم الدواهى ، نادى فوق جذعه ، إلهى ! إلهى ! وقد صار بين اللصوص مصلوباً .

ثم زهقت نفسه ، وحضر رمسه وصار فى بطن اللحد سرًّا مكتوباً ، وعـاد الإلـه الأزلى – بزعمكم – معدوماً .

ثم خرج بعد الثلاث من ذلك المكان ، وعاد كما كان ، بعد ما اتصف بالأحوال الوبيلة ، وبقيت حسرتكم عليه طويلة ، وتضاعفت الخطيئة بالجناية على رب البرية ، وعظم تسلط اليهود وكفر أهل الجحود .

و لم يعظمه ، ويؤمن به إلا النفر القليل ، والعدد اليسير ، فكيف الرأى السقيم ، والتصرف الذميم ، الذى لا يصدر إلا من معتوه ، أو فاسد الرأى ، ناقص الهمة ، مظلم الفكـرة يُعَـرِّض نفسه للمحن ، ويثير بين العبادة الإحن . إن هذا لمن أعظم الشين لهذه الربوبية ، وإزالة بهجتها ، وطمس نورها ، وإطلاق ألسنة الأعداء بإبطالها .

وأين هذا من قولنا – نحن معشر المسلمين – الذى نجل الله تعالى عن الاتصاف بـصفات الأجسام ، ونحيل على جنابه الكريم أن تناله الآفات والآلام .

بعث عيسى عليه السلام ، نبيًّا مكرّماً ، ورفعه إليه مجيداً معظَّماً ، لم يهنه بأيدى الأعداء ، ولا سلط عليه أسباب البلاء .

ولو أن إنساناً نشأ ببعض الجزائر لا يعرف الأديان ، ولا يخالط نوع الإنسان فقيل له : إن لك رباً ، خلقك وأبدعك ، وهو رجل مثلك ، يغوط ، ويبول ، ويمخط ، ويبصق ، ويجـوع ، ويعطش ، ويعرى ، ويكسى ، ويسهر ، وينام ، ويتنازع مع الآنام الكلام .

وإن رجلاً مثلك ومثله ، بغضه فضربه ، وسجنه ، ثم صلبه ، وقتله بعد أن حطم شعره ، ولطم نحره ، فجاور الأموات ، وتعذت عليه روح الحياة ، لاستنكف العقل الـسليم ، والطبـع المستقيم ، الاعتراف بوجود هذا الإله ، فضلاً عن الاعتراف بربوبيته ، وأنف أن يكون عبداً له ، ويرى نفسه أفضل من هذا الإله ، لسلامته عن هذه الآفات !

اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغـضوب علـيهم ولا الضالين ، آمين .

***

الكشـــــــاف

- الأعلام
- الأماكن والبلدان
- القبائل والأقوام
- الآيات القرآنية
- فقرات من الكتاب المقدس
- أهم المراجع العربية
- المراجع الأجنبية
- محتويات الكتاب



(ن)

الأماكن والبلدان

(ب)

القبائل والأقوام

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فقرات من الكتاب المقدس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

أهم المراجع العربية

المرجع	الطبعة
* القرآن الكريم	
* العهد القديم	القاهرة ١٩٦٢
* العهد الجديد	القاهرة ١٩٦٣
* إبن الأثير : الكامل فى التاريخ ، تحقيق : عبد الوهاب النجار	القاهرة ١٣٤٩هـ
* أبو الأعلى المودودى : تفهيم القرآن	لاهور ١٩٧٣
* البخارى : صحيح البخارى – طبعة الشعب	القاهرة –
* البستانى : دائرة المعارف	بيروت ١٩٥٦
* بطرس البستانى : معارك العرب فى الأندلس	بيروت ١٩٥٠
* الثعالبى : قصص الأنبياء	القاهرة –
* جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى	بيروت ١٩٦٧
* ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح البخارى	– –
* ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل	القاهرة ١٩٦٤
* ابن حيان : المقتبس فى تاريخ بلاد الأندلس ، تحقيق : عبد الرحمن على الحجى	بيروت ١٩٦٥
* رحمة الله الهندى : إظهار الحق ، تحقيق : عمر الدسوقى	الدار البيضاء ١٩٦٤
* الزر كلى : الأعلام	بيروت ١٩٦٩
* سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ترجمة : حسن حنفى	القاهرة ١٩٧١
* الطبرى: جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق : محمود ، وأحمد شاكر	القاهرة ١٩٧٤ وطبعة بولاق ..

	الطبعة
* الطبرى : تاريخ الطبرى ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم	القاهرة ١٩٦٠
* ظفر الدين خان : الإسلام يتحدى	القاهرة ١٩٧٣
* عباس العقاد : الله	القاهرة ١٩٦٩
* عبد الكريم الخطيب : المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل	القاهرة ١٩٦٦
* عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء	القاهرة ١٩٦٦
* على عبد الواحد وافى : قصة الزواج والعزوبة فى العالم	القاهرة –
* الفخر الرازى : التفسير الكبير	القاهرة –
* ابن كثير : البداية والنهاية	بيروت والرياض ١٩٦٦
* ابن كثير: قصص الأنبياء ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد	القاهرة ١٩٦٨
* ابن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد	القاهرة ١٩٦٦
* ابن كثير : شمائل الرسول ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد	القاهرة ١٩٦٧
* لسان الدين الخطيب : تاريخ أسبانيا المسلمة ، تحقيق : ليفى بروفنسال	بيروت ١٩٥٦
* ليفى بروفينسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة : عبد العزيز سالم	القاهرة ١٩٥٦
* مالك بن نبى : مشكلة الثقافة ، ترجمة ، عبد العزيز سالم	القاهرة ١٩٥٦
* مالك بن نبى : مشكلة الثقافة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين	بيروت ١٩٧١
* محمد البهى : الجانب الألهى من التفكير الإسلامى	القاهرة ١٩٤٥
* محمد حسين هيكل : حياة محمد	القاهرة ١٩٦٢
* محمد عبد الله دراز : الأخلاق فى القرآن ، ترجمة : عبد الصبور شاهين	بيروت ١٩٧٣

* محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر — القاهرة ١٩٦٠
* محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام الخلافة الأموية والدولة العامرية — القاهرة ١٩٦٠
* محمد عبد الله عنان : الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية — القاهرة ١٩٥٨
* محمد عبد الله عنان : دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى — القاهرة ١٩٦٠
* محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين — القاهرة ١٩٥٨
* مسلم : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى — القاهرة ١٩٥٥
* ابن هشام : السيرة النبوية — القاهرة –
* ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون — القاهرة ١٩٥٥
* ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد — القاهرة ١٩٦٣
* الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — القاهرة ١٩٥٣
* هـ . جـ . ويلز : موجز تاريخ العالم ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد — القاهرة ١٩٥٨
* ياقوت : معجم البلدان — القاهرة ١٣٢٥هـ

أهم المراجع الأجنبية

- Anwander, Anton: Wörterbuch der Religionen, Würzburg 1962.

- Bouesse, Humbert: Le sauveur de monde, le mystere de l'incarnation, Paris 1953.

- Mensching Gustav: Leben und Legende der Religionsstifter.

- Folle – Verlag; Darmstadt, Baden – Baden, Genf o.D.

- Nolle, Wilfried; Wörterbuch der Religionen, München 1960.

- Stahlin Rudolf u.a.; Christliche Religion, Fischer Bücherei 1961.

- Staufer: Botschaft.

-Theologisches Wörterbuch zum Neuen Testament, herausgegeben von Gerhard Friedrich, Stuttgart 1954.

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

رسالة أبى عبيدة إلى القسيس

١١٧ - ٢٧٠

الصفحة

خاتمتين

الكشـــــاف

الإنتاج العلمى لـ أ. د / محمد شامة

أولاً: الكتب باللغة العربية :

١- بين الإسلام والمسيحية (تحقيق وتقديم وتعليق لكتاب أبى عبيدة الخزرجى المتوفى ٥٤٨هـ)

٢- بحوث فى علم الأديان المقارن.

٣- الإسلام قوة الغد العالمية (مترجم من اللغة الألمانية).

٤- الإسلام فى الفكر الأوروبى (عرض وتحليل لكتاب صدر باللغة الألمانية تحت عنوان : الإسلام قوة عالمية متحركة).

٥- الخطر الشيوعى فى بلاد الإسلام.

٦- أثر البيئة فى ظهور القديانية.

٧- الإسلام دين ودولة.

٨- فى رحاب القرآن.

٩- الإسلام طهارة ونقاء.

١٠- الحسد فى القرآن الكريم بين الحقيقة والأسطورة.

١١- محاضرات فى علم الخطابة النظرية والعلمية (بالإشتراك مع آخرين)

١٢- عقائد وتيارات فكرية معاصرة (بالإشتراك مع آخرين)

١٣- التخلف فى العالم الإسلامى بين الداء والدواء

١٤- الشباب مرآة المجتمع

١٥- الإسلام إصلاح وتهذيب - رؤية معاصرة للحدود والتعزير.

١٦- العقيدة - مفهومها وتطورها.

١٧- لا ... لتطوير الخطاب الدينى .

١٨- الإسلام كما ينبغى أن نعرفه .

ثانياً : الكتب باللغة الألمانية :

19- Razi als Quranausleger und Philosoph.

20- Die Stellung der Frau im sunnitischen Islam.

21- Rituelle Handlungen im Islam.

22- Zur Fragen der Frauen im Islam.

23- Philosophie der Ehe im Islam.

24- Der Islam wie wir ihn verstehen sollen.

25- Ad-Daʿ Wah (Einladender Aufruf zum Islam)

ثالثاً :

أكثر من خمسين بحثاً قدمتَ لمؤتمرات وندوات دولية وإقليمية ، ونشرت فى مجلات ودوريات علمية متخصصة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٨٨٨ / ١٩٧٩